بين التاريخ والواقع

الجزء الثالث

تأليف

د/ راغب السرجاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة

لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

السرجاني، راغب.

بين التاريخ والواقع / تأليف: راغب السرجاني. ط١ القاهرة

مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ٢٠٠٩

ج٣ (١٧٦ ص)، ٢٤ سم

تدمك: ٩ - ٧٤٤ - ٤٤١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

١ - المقالات العربية

أ - العنوان

٨١٤

رقم الإيداع: ١٥٣٣٦ / ٢٠٠٩

للتجهيز الفني
0141808326

مؤسسة اقرأ

للنشر والتوزيع والترجمة

١٠ ش أحمد عمارة - بجوار حديقة الفسطاط

القاهرة ت: ٢٥٣٢٦٦١٠ - ٢٥١٤٢١٦٧ محمول: ٠١٠٥٢٢٤٢٠٧ - ٠١٢٦٣٤٤٠٤٣

Email:iqraakotob@yahoo.com

مقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدًا.. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

أمّا بعد..

فإنه قد تبين لي بعد دراسة أحسبها مستفيضة، واطلاع لا بأس به، أنه لا جديد على الأرض!!.. فالتاريخ يكرر نفسه بصورة عجيبة.. ونفس الأحداث نراها من جديد رأي العين، فقط باختلاف يسير، يكاد لا يتعدى الأسماء والأمكنة..

ولذلك فالمتعمق في التاريخ يقرأ ببساطة ما يحدث على وجه الأرض من أمور، ولا يُخدع بسهولة، مهما تفاقمت المؤامرات، ومهما تعددت وسائل المكر والمكيدة.. فهو وكأنه فعلاً يرى المستقبل!! إنه يعرف بوضوح أين يضع قدمه، ويعرف كذلك كيف يقود نفسه ومجتمعه وأمته.. فهو كالشمس الساطعة، تنير الطريق لأجيال تتلوها أجيال، وقد يمتد أثره إلى يوم تقوم الساعة، كيف لا؟!.. وقد ذكرنا من قبل أنه لا جديد على الأرض..

ويكفينا للدلالة على أهمية التاريخ أن نفقه الأمر الإلهي الحكيم: ﴿ **فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٧٦]، فقصُّ القصة، أو رواية الرواية، لا يغني شيئاً إن لم يُتبَع بتفكر.. ودراسة التاريخ ليست دراسة تكميلية أو جانبية أو تطوعية، إنما هي ركن أساسي من أركان بناء الأمة القوية الصحيحة.

في جمعنا بين التاريخ والواقع نعرض لأمور لا تستقيم حياة المسلمين بغيرها، فنحن نعرض لأمور من العقيدة، وأمور من الفقه، وأمور من الأخلاق، وأمور من

المعاملات، وأمور من الأحكام.. ونعرض كذلك لفقه الموازنات، وفقه الأولويات، وفقه الواقع.. أو إن شئت فقل: نعرض لكل أمور الدين..

هكذا علمنا الله ﷻ في كتابه الحكيم، فهو يقص القصة، ويعرض فيها الحُجَّة التي تقنع العقل، ثم يعرض فيها الرقيقة التي تلمس القلب، وقد يعرض فيها أمراً عقائدياً، وقد يعرض فيها حكمًا فقهيًا، ثم هو يربط القديم بالحديث، والتاريخ بالواقع، والماضي بالحاضر.. فتشعر أن التاريخ حيٌّ ينبض، ولسانٌ ينطق.. وتكاد تجزم أنه لا يحدثنا عن رجال ماتوا ، ولا عن بلاد طواها التاريخ، إنما هو يحدثنا عن أحداثنا، وينبئنا بأنبائنا، ويخبرنا بأخبارنا.

والتاريخ – من هذا المنظور – ثروة مدفونة تحتاج إلى بذل مجهود، وتفريغ وقت، وحشد طاقات، وتحتاج إلى عقول وقلوب وجوارح.

لقد واجه المسلمون في تاريخهم كل أشكال المآزق والمحن والمشكلات، كما واجهوا عديدًا من الأعداء، وقد أثمر ذلك تجارب ضخمة تضم في ثناياها ما واجهته البشرية على مدار تاريخها الطويل.

وقد قامت الحضارة الإسلامية في بقاع مختلفة من العالم: في الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وكان تنوع الأصول العرقية المسلمين دافعًا لتنوع الثقافات، ومع ذلك فإنَّ الدين الإسلامي قد صهر الجميع في بوتقة واحدة يشعر الجميع فيها بشعور واحد؛ فيفرحون لنفس الأسباب، ويحزنون لنفس الأسباب؛ فهي إذن أمة واحدة منحت البشرية رصيدًا ضخمًا من التجارب الإنسانية.

والتاريخ الإسلامي هو – ولا شك في ذلك – أنقي وأزهي وأعظم وأدق تاريخ عرفته البشرية، وسعدت الدنيا بتدوينه... فالتاريخ الإسلامي هو تاريخ أمة شاهدة، وأمة خاتمة، وأمة صالحة، وأمة تقية نقية، وهو تاريخ أمة آمرة بالمعروف، ناهية عن المنكر، داعية إلى كل خير، محاربة لكل شر.

التاريخ الإسلامي هو تاريخ رجال ما عرف التاريخ أمثالهم أبداً، فهم رجال فقهوا دينهم ودنياهم، فأداروا الدنيا بحكمة، وعيونهم على الآخرة.. فتحققت المعادلة الصعبة العجيبة: عزٌ في الدنيا، وعزٌ في الآخرة، ومجد في الدنيا، ومجد في الآخرة، ومُلك في الدنيا، ومُلك في الآخرة.

التاريخ الإسلامي هو تاريخ حضارة جمعت كل مجالات الحياة في منظومة رائعة راقية، جمعت الأخلاق و السياسة و الاجتماع و الاقتصاد والمعمار والقضاء والترفيه والقوة والإعداد والذكاء والتدبير.. جمعت كل ذلك جنباً إلي جنب مع سلامة العقيدة، وصحة العبادة، وصدق التوجه، ونبل الغاية.. وصدق الله تعالي إذ يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

هذا هو التاريخ الإسلامي في أصله وجوهره..

ولا يمنع ذلك أن هذا التاريخ العظيم يحوي أخطاءً، بعضها عظيم، ويشمل عيوباً بعضها خطير، وإنه لمن العبث أن ندعي أنه بياض بلا سواد.. ونقاء بلا شوائب، لكن من الظلم البين أن نلصق أخطاء المسلمين بدين الإسلام.. فالإسلام دينٌ لا ثغرة فيه، ولا خطأ فيه، ولا عيب فيه.. فهو دين مُحكَم تام كامل، أنزله الذي يعلم السر وأخفى.. سبحانه هو الحكيم الخبير.. ومن خالف دين الإسلام من المسلمين فوباله على نفسه، وليس على الإسلام..

وكثيرًا ما يخالف الناس فتحدث هزات وسقطات، لكنها ما تلبث أن تتبع بقيام، وذلك إذا ثابوا إلى رشدهم، وعادوا إلى دينهم، وإلا استبدلهم القوي العزيز بغيرهم من المجاهدين الصابرين الطاهرين..

ثم وقفة وسؤال!!

هذه الثروة الثمينة، وهذا الكنز العظيم.. ثروة التاريخ الإسلامي الطويل..

مَن مِن البشر في زمانا أَمِنَّاه عليها؟!

مَـن مِـن البـشر أعطينـاه مفـاتيح الكنـوز التاريخيـة لينقـب فيهـا ويـستخرج جواهرها ؟!

مَن مِن البشر أسلمناه أُذُننا وعقولنا وأفئدتنا ليلقي عليها ما استنبط من أحكـام وما عقله من أحداث؟!..

وا عجباً لأمتنا!! .. لقد أعطت ذلك لحفنة من الأشرار.. طائفة من المستشرقين الأجانب، وطائفة من المفتونين بهم من أبناء المـسلمين!!.. لقـد تـسلم هـؤلاء كنـز التاريخ، لينهبوا أجمل ما فيه، وليغيروا ويبدلوا ويزوروا !!.. حتى خرج التاريخ إلينا مسخًا مشوهًا عجيبًا.. وقُطعت بذلك حلقة المجد، وانفصل المسلمون في حاضرهم عن ماضيهم، كما تنفصل الروح عن الجسد تماماً بتمام..

لقد انتبه الشباب فوجدوا بين أيديهم سجلاً حافلاً من الـصراعات والمـؤامرات والخيانات والسرقات.. صفحات سوداء تتلوها صفحات أشد سـوادًا .. واحتـار الشباب في تاريخهم، أيمسكونه على هونٍ، أم يدسونه في التراب ؟!! ..

يا للجريمة البشعة!!

فويلٌ ثم ويل لمن افترى على الله كذبًا ليضل الناس بغير علم ..

وويل ثم ويل لأبناء المسلمين الذي فتنوا بمنـاهج العلمانيـة، فـصاغوا التـاريخ صياغة مشوهة مزورة محرفة، فحرموا المسلمين من أمثلة عملية تطبيقية رائعـة لكـل أمر من أمور الدين..

وويل ثم ويل لمن يقدر على التصحيح فلم يفعـل ، ولمـن يقـدر عـلى التوضـيح والتبيين فلم يفعل.. ولمن يقدر على النصح والإرشاد فلم يفعل..

يقول جابر بن عبد الله رضي الله عنه: (إذا لعن آخر هذه الأمة أولها، فمن كان عنده علـم فليظهره، فإن كاتم العلم يومئذٍ ككاتم ما أنزل على محمد ﷺ)..

إن التاريخ الإسلامي ليس قصصًا للتسلية، وليس كذلك سبيلاً للفخر بأمجاد المسلمين الأوائل في أوقات قوتهم دون أن نتعلم منهم كيف أسسوا الدول والحضارات، وإنما هو – في حقيقته – دروس نتعلم منها كيف نقرأ الحاضر ونصنع المستقبل، ونعرف منها ماذا يريد أعداؤنا منّا على الحقيقة، ونعرف لماذا علا أسلافنا في عهود قوتهم، ولماذا انتصر عليهم العدو في أوقات الضعف، ولماذا كانت تلك القوة، وكان الضعف من الأساس.

وبين أيدينا هذه المحاولة الطيبة التي تسعى لربط التاريخ بالواقع، والتي نُشِرت وما زالت تُنشَر على موقع (قصة الإسلام www.islamstory.com) لتتجلَّى الحقائق ناصعة أمام أعين الجميع، وليبصر من أراد البصر، وآتاه الله البصيرة؛ فيحيا من حيَّ عن بينة، ويهلك من هلك عن بينة.

والله أسأل أن يتقبَّل مني، ومن كل من أسهم في نشر هذه المادة، كما أسأله سبحانه أن ييسر لنا جميعاً الفقه لتاريخنا وواقعنا، وأن يستعملنا لخدمة شرعه، ورفعة دينه.. إنه ولي ذلك والقادر عليه..

فستذكرون ما أقول لكم، وأفوض أمري إلى الله، إن الله بصير بالعباد..

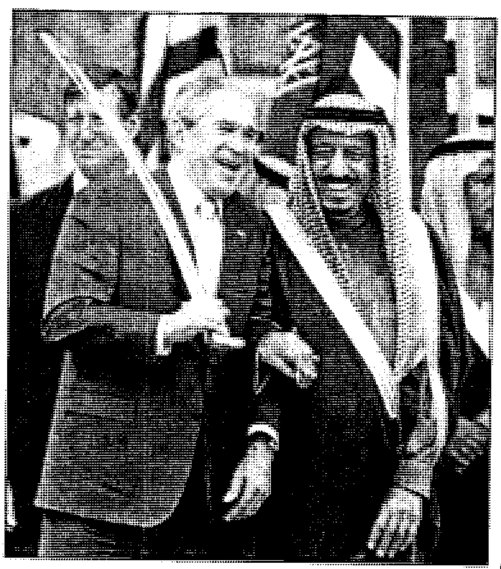
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

د/ راغب السرجاني

(١)
بوش يفشل في تلميع صورته!![1]

بذلت أمريكا جهدًا كبيرًا خلال السنوات القليلة السابقة لتجميل صورتها في أوساط العالم المختلفة، وخاصة العالم الإسلامي، ولكن يبدو أن هذا التجميل باء بالفشل، ويبدو أيضًا أن الجهد الضخم الذي بُذل قد ذهب أدراج الرياح!

لقد شَوَّهت إدارة الحكم الأخيرة -والتي حكمت أمريكا مدة ثماني سنوات متصلة- صورة أمريكا في كل مكان، وأصبحت رموزها المشهورة رموزًا شريرة مكروهة في أنحاء الأرض، وفي مقدمتهم بالطبع الرئيس الأمريكي جورج بوش الابن، ومن ورائه جهاز حكومته بكامله، رجالاً ونساءً.



لقد أنفقوا أموالاً طائلة، ووضعوا خططًا وبرامج؛ لمحو الآثار السيئة لهذه الحكومة، ولكن هيهات.. لقد أظهرت هذه الحكومة العجرفة الشديدة في التعامل مع الأمور، وتَصرَّف الرئيس بوش وكأنه الزعيم الأوحد في العالم، وفرض رأيه لا بقوة الإقناع والحجة ولكن بقوة السلاح والبارود، وحوَّل الحق إلى باطل، والباطل إلى حق، ونزل بجيوشه المدمرة بلاد المسلمين، فاحتل

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٥/ ١٢/ ٢٠٠٨م.

أفغانستان ثم العراق، وأزهق أرواح الكثير والكثير، وقتل كثيرًا من الرموز، وفتح أبواب السجون لآلاف الأبرياء، واحتفظ بعدد ضخم من المسلمين في معسكرات جوانتانامو دون محاكمة، ودمَّر الآلاف من المنشآت والبنى التحتية، ونهب البترول والثروة، ووضع العملاء والخائنين على قمة الحكم في البلاد التي احتلها.

لقد فعل كل ذلك وهو يعلن بغباء أنه ما أتي إلا ليُقِرَّ العدل، وينشر الأمان، ويحقق الحرية والديمقراطية للشعوب الإسلامية.

وللأسف فقد انخدع في أقواله بعض المسلمين في بادئ الأمر، حتى تمنى بعضهم -وقد سمعت هذا بنفسي- أن تأتي أمريكا وتحتل بقية بلاد العالم الإسلامي لتنتشر الديمقراطية في كل مكان! ولكن مع مرور الوقت ظهرت الحقائق، وانقشع الظلام، وعلم الجميع أن الإفساد في الأرض لا يمكن أن يكون فضيلة، وأن السلب والنهب والقتل والإبادة ليست من شيم الصالحين!

وُضعت أمريكا نتيجة هذه التصرفات الهوجاء، ونتيجة هذه الممارسات الدموية في أزمة حقيقية.. لقد بدأ العالم يكره أمريكا بعد أن كانت حُلمًا للكثيرين، وصار الجميع يتمنون لها المشاكل والأزمات، بل الإهلاك والتدمير، وكلما ظهرت دراسة تشير إلى قرب زوال أمريكا تلقفها الناس بالإقبال والتداول، وكلما حدثت أزمة أمريكية سعد الناس وفرحوا وتناقلوا الأخبار، وظهرت الشماتة في كل مصائب أمريكا، سواء كانت مصائب سياسية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية، وحتى في الكوارث الطبيعية كنا نجد شعورًا جارفًا من السعادة يجتاح العالم وهم يشاهدون آلام الأمريكيين في الأعاصير والطوفان والحرائق والنكبات!!

إننا -وإن كنا لا نؤيد الفرح بالكوارث الإنسانية- إلا أننا يجب أن نبحث عن أسباب هذا الشعور العام بالراحة والسعادة لكل أزمة أمريكية حادة.. إن هذا ما جنته أيديهم من أعمال وذنوب.. وهو رد فعل طبيعي عند البشر الذين عانوا من ويلات السياسة الأمريكية. ولا شك أن الإدارة الأمريكية ترصد مثل هذه الظواهر،

وتعرف أن العالم الآن أصبح يتمنى الشر لأمريكا، ويفرح بالمصيبة لها، وهذا أمر لا يأتي بخير أبدًا؛ فالمصالح الأمريكية ستُضرب نتيجة هذا الشعور المتنامي من الكراهية، والعالم سيتجه إلى القوى الأخرى المتصاعدة شرقًا وغربًا بدلاً من التوجه إلى أمريكا. ولا يخفى على أحد التقدم المذهل في قوة الصين والاتحاد الأوربي، كما أن روسيا بدأت تفكر جديًّا في استعادة دورها القديم.

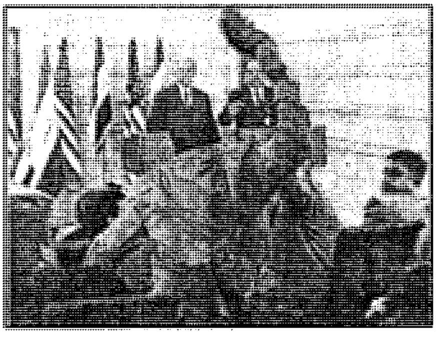
كل هذا دفع الإدارة الأمريكية إلى محاولة تجميل صورتها في أنحاء العالم المختلفة، خاصة في العالم الإسلامي الذي عانى من ويلات الأمريكان؛ فبدأت أمريكا في الظهور في دور الوسيط لحل المشاكل المختلفة هنا وهناك، وحاولت أن تبدو في شكل المحايد الذي لا يحقق فوائد أو مصالح، وبدأت في تقديم البعثات المختلفة والمنح المجانية للتعلم، وقامت كذلك باستقدام وفود من الطلاب والشباب -بل والأطفال- إلى أمريكا ليشاهدوا صورة أخرى لأمريكا قد تساعد في محو الصورة التقليدية المكروهة، ووضعوا عشرات الآلاف من الصور التي تحبِّب الناس في أمريكا، ونشروها في السفارات الأمريكية، وفي وسائل الإعلام، كصور المساجد في أمريكا، وأصحاب الأعمال المسلمين الذين يعيشون في أمريكا بأمان، وصور الزعماء الأمريكيين وهم يزورون المراكز الإسلامية ويتبادلون التهنئة بالأعياد مع القيادات الإسلامية في أمريكا.



فعلوا ذلك وأكثر ليجمِّلوا الصورة، ويغيِّروا الانطباع ..لكن كل هذا كان يحدث وما زالت الجيوش الأمريكية قابعة هنا وهناك، وما زالت الحكومات العميلة لهم في كراسي الحكم، وما زالت الثروات المسلمة منهوبة، وما زالت الأراضي الإسلامية محتلة.. وهذا كله دفع الشعوب العالمية -وفي مقدمتها الشعوب المسلمة-

لرفض هذه المحاولات الطفولية لتجميل الصورة، وبالتالي فإنها ما زالت تكره هذا الوجه القبيح للإدارة الأمريكية.

وكان الأمر بين شدٍّ وجذب، وإصلاح وإفساد، ومحاولة تجميل وتغيير، واختلاف في الإدارة الأمريكية حول تقييم هذه الحملة التي استهدفت الشعوب الإسلامية، والتي سعت إلى تحسين رؤيتهم لأمريكا من جديد، حتى جاء حادث قذف الحذاء في وجه بوش أثناء الندوة الصحفية في العراق، والذي أثبت أن الجهود الأمريكية المكثفة لتجميل الصورة قد ذهبت سُدى!!



وأنا لا أعني أن هذه الضربة التي وجَّهها الصحفي العراقي منتظر الزيدي هي التي عكست رأي المسلمين في الإدارة الأمريكية، ولكن أعني في المقام الأول ردَّ الفعل العام الذي شاهدناه في شوارع ومنتديات المسلمين، بل والعالم.

لقد عمَّت فرحة طاغية في كل مكان، وقلَّ أن تجد مسلمًا في بيت أو شارع أو مقهى أو مستشفى أو شركة أو مصلحة إلا ويتحدث عن الحذاء الذي ألقي في وجه بوش! بل تجاهل المسلمون -وهذا خطأ كبير- ما كان يقوله بوش في خطابه من أن بقاء القوات الأمريكية في العراق أمرٌ ضروري لحفظ الأمن هناك !وصار المسلمون يتحدثون فقط عن شماتتهم في بوش الذي تلقى هذه الصفعة المهينة قبل رحيله.. وتلقيتُ -كما تلقى الملايين- عشرات الدعابات والنكات على الإيميل والتليفون تفرغ كل شحنتها في الرئيس الأمريكي جورج بوش! فهذا يتحدث عن «الجزمة» القلبية التي أصيب بها بوش، وذاك سيكتب له «نعل» في الجرنال، وثالث يتحدث عن علو «كعب» المقاومة العراقية، ورابع يهدد أن «أحذية» الدمار الشامل قد تصيب أمريكا. كما أن بعضهم ناقش مسألة عقد المؤتمرات الصحفية الرئاسية بعد ذلك في

المساجد، وناقشوا كذلك مسألة أن شركة أديداس للأحذية تدرس توسيع استثماراتها في المنطقة العربية!!

إن هذه النكات والطرائف لتعكس بشكل واضح مدى سعادة المسلمين بهذا الحدث، ناهيك عن التعاطف الإيجابي الكبير مع الصحفي الذي ألقى الحذاء، والمظاهرات التي قامت تؤيده، والأعداد الكبيرة للمحامين الذين عرضوا الدفاع عنه.

ولم يكن هذا الشعور الجارف خافيًا عن الإدارة الأمريكية، بل إنها ترصد كل هذه المظاهر بدقة.. ولقد أرسلت السفيرة الأمريكية في القاهرة رسالة رسمية إلى الحكومة المصرية تعرب فيها عن أسفها ورفضها لطريقة الصحف المصرية في التعامل مع الحادث، وأنها رأت عددًا من النكات وردود الأفعال التي لا تنبغي.

إن هذا أثبت أن الشعوب الإسلامية ما زالت تقرأ الأحداث، وما زالت تفهم أن التجميل الذي قامت به أمريكا لصورتها إنما هو تجميل مزيف لا يستند إلى جمال طبيعي ذاتي، إنما هو الخداع والتضليل؛ فالوردة الموضوعة فوق البندقية لا تريح نفسيَّة المقتول!

وعلى ذلك فإنه على الإدارة الأمريكية الجديدة برئاسة أوباما أن تعي هذا الدرس جيدًا، وأن تفهم أن الرسالة التي تلقاها بوش في وجهه في نهاية حكمه هي رسالة طبيعية نتيجة ثماني سنوات من الظلم والتعدي، وإنه لكي يتجنب أوباما وإدارته بقية أحذية الشعوب المسلمة، فإنَّ عليهم التعامل مع الأمور بموضوعية وتعقل، ولن يكون ذلك إلا بإعادة الحقوق إلى أصحابها، وبرفع الجيوش الظالمة من أراضي المسلمين، وبإطلاق سراح المظلومين، وبالعودة للوقوف على أرضية الإنسانية المشتركة، والتي تقضي بالتعايش مع الآخر، لا التطفُّل على الآخر وانتهاكه.

ونسأل الله ﷻ أن يعزّ الإسلام والمسلمين!

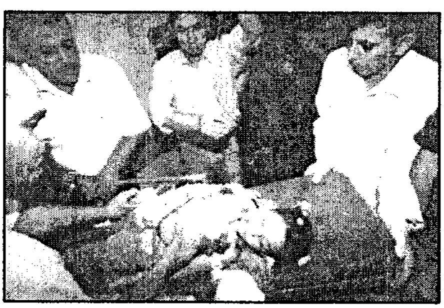
(٢)
صبرًا آل غـزة !! (١)

الحمد لله الذي أرانا بأعيننا أن أمتنا ما زالت حية، وأن الخير فيها إلى يوم القيامة، والحمد لله الذي أنعم بالصبر والثبات على أهل غزة(٢) الكرام، فحققوا من البطولة ما تعجز عن تحقيقه شعوب الأرض. والحمد لله الذي أراد لأمة الإسلام أن تنتفض من جديد، فتتحرك العواطف في قلوب المسلمين من إندونيسيا إلى المغرب، وتهب الجاليات المسلمة في أمريكا وأوربا وغيرها نشطة أبيَّة على الرغم من ظروف التضييق التي يعلمها الجميع.



الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات..

إن الذي نراه في غزة الآن هو نوع من النصر الفريد الذي لا يحققه إلا كرام الناس.. إنه نصر من نوع خاص لا يفهمه إلا من نوَّر الله قلبه وشرح صدره ..إنه الثبات الذي لا يستوعبه إلا أهل الإيمان واليقين، أما أهل الدنيا فيعتبرونه نوعًا من أنواع الجنون، وضربًا من العبث وعدم تقدير الأمور.



لقد تحمَّل شعب غزة الكريم عبء الحفاظ على كرامة الأمة الإسلامية بعد أن

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢/١٠/ ٢٠٠٩م.

(٢) للمزيد عن غزة انظر (حصار غزة) على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٨/ ١/ ٢٠٠٨م.

رأينا الانهيارات الأخلاقية الشنيعة في كثير من الذين يحملون أسماء إسلامية، ولكنهم باعوا القضية تمامًا، وتواطئوا علنًا مع اليهود على ذبح الشعب المناضل، وسحق القضية الشريفة.. قضية فلسطين.



إن ما يحدث في غزة هو معجزة حقيقية لا يمكن أن تُفهم إلا إذا أدخلنا العامل الرباني في القضية، فهذا الثبات ليس ثباتًا بشريًّا، إنما هو منحة وهبة من ربِّ العالمين لمن يشاء من عِباده الصالحين..

﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

إن هذا الشعب الأصيل قد تحمّل ما لا يتحمله البشر عادةً من فَقْد الأبناء وهدم الديار، وضياع الأعمال، بل والافتقار إلى طعام وشراب وكساء ودواء ..وهذا – والله– لهو خير أعمال النصر.. فهو نصر على النفس، ونصر على الشيطان، ونصر على الدنيا، وكذلك نصر على الأعداء.

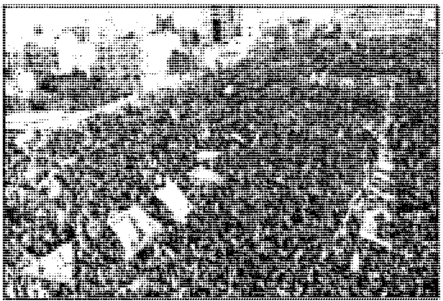
كيف حدث هذا مع كونهم حوصروا قبل هذا القصف عامًا ونصف عام؟! وكيف حدث هذا وقد تخلى عنهم عامة زعماء المسلمين؟! وكيف حدث هذا وقد تعاون بعض إخوانهم من أبناء جلدتهم مع أعدائهم؟ وكيف حدث هذا والآلة العسكرية اليهودية الجبارة تدكُّ البلاد ليلَ نهار؟ وكيف حدث هذا والدولة الأولى في العالم تقف وراء الصهاينة الظالمين تؤيدهم بالسلاح والرأي والمال والإعلام والفيتو؟!!

كيف حدث هذا الثبات والنصر؟!!

إنها معجزة ربانية بكل المقاييس، وحُقَّ لكل المسلمين أن يقبِّلوا رءوس الفلسطينيين، بل ويقبِّلوا أيديهم وأرجلهم.. وكيف لا، وقد رفعوا رءوسنا، وبيّضوا

وجوهنا، وستروا عورتنا، ووقفوا بصدورهم في الصف الأول أمام أعداء الله والدين.

إنها -والله- نعمة تستحق الحمد، فالحمد لله رب العالمين.



ومع هذا الصبر الجميل الذي نراه من أهل غزة، ومع هذا السمو الإيماني، والنبل الإنساني إلا أننا نسمع بعض الصيحات المنكرة، من هنا أو من هناك تُلقِي التبعة على المظلومين، وتحمِّل المنكوبين ذنب تكبُّر المتكبرين، وإثم إجرام الظالمين! ويقولون في خنوع وذلة: لماذا لا يقدِّرون حجمهم؟ ولماذا لا يكفُّون عن إزعاج اليهود بصواريخهم؟ أو يقولون: لماذا لا يرحمون الشعب الفلسطيني ويسلِّمون الحكم إلى السلطة الفلسطينية؟!!

ونحن نقول عن أي سلطة فلسطينية تتكلمون؟

إن السلطة الفلسطينية الحقيقية هي التي اختارها الشعب بإرادته في انتخابات حرة نزيهة.. وليست هي السلطة التي تمردت على حكم الشعب، وأرادت أن تسرق رأيه وجهده وماله وقُوتَه.



هل ما زالت السلطة الفلسطينية القديمة تحتفظ بهذا اللقب منذ عام ١٩٩٤م؟!!

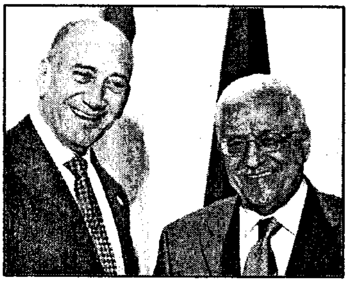
هل ما زالت تحتفظ بهذا اللقب مع رؤية الجميع للأموال الفلسطينية التي جمعت من شتى بلاد العالم الإسلامي

تنهب، وتتحول إلى بنوك أوربا وأمريكا لمصالح من لا دين له ولا أخلاق؟

هل ما زالت تحتفظ بهذا اللقب بعد أن لَفِظَها الشعبُ، وبعد أن كُشفت أوراقها أمام الجميع؟

هل ما زالت تحتفظ بهذا اللقب بعد أن وقفت إلى جوار اليهود، ووقف اليهود إلى جوارها؟

هذه هي السلطة المزعومة التي يريدون لأهل غزة الشرفاء أن يسلموها زمام الأمور.. فهل يا تُرى لو تسلَّمت مقاليد الحكم سنرى منها موقفًا شجاعًا كالذي نراه الآن؟! وهل سنرى عزة وكرامة ومجدًا وشرفًا كالذي تتمتع عيوننا وقلوبنا برؤيته الآن؟!



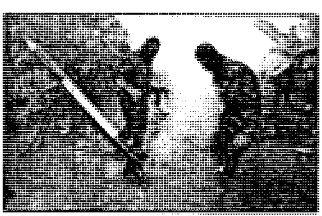
كلاَّ والله، وألف كلاَّ..

إن الله لا يصلح عمل المفسدين، وهيهات أن تُنصر الأمة بالمنافقين والأفّاكين..

إنهم قوم أضاعوا حق الله ﷻ فكيف يحافظون على حقوق العباد؟!

إننا نقف بكل طاقتنا، وبكل أرواحنا وأموالنا، وبكل جهدنا وفكرنا مع المناضلين الثابتين المجاهدين من أهل فلسطين الحبيبة، ونقول لهم بقلوب توقن في رحمة الله وكرمه: «**صبرًا آل غزة، فإن موعدكم الجنة بإذن الله**».

ثم إنني أوجِّه كلمة إلى عموم المسلمين في الأرض الذين قد يحبطون عند رؤية هذه الآلام والجراح، وعندما يشاهدون مئات الشهداء وآلاف المصابين..



أقول لكل المسلمين الأوفياء الذين تتفطّر قلوبهم حرقة على إخوانهم وأخواتهم في فلسطين: لماذا الإحباط واليأس؟!

﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إن منشأ اليأس ينبع من خلط في المفاهيم، وعدم إدراك لحقيقة الأمور، ولو تدبرت الأمر لعلمت أن ما نراه من أحداث هو الخير كل الخير لفلسطين وللأمة جميعًا.



إن الذين يَئِسوا لم يدركوا حقيقة معادلة النصر في الإسلام، فالنصر في الإسلام شيء عزيز وغالٍ ونفيس، لا ينزله ربُّ العالمين إلا على طائفة معينة من عباده، ولا بد لهذه الطائفة أن تثبت عمليًّا أنها تحب الله ورسوله، وتعشق الجهاد في سبيل الله، وتدفع أغلى الأثمان للحفاظ على الدين والأرض والعرض، وبدون هذا الإثبات العملي لا ينزل النصر؛ لأن الكلام سهل هيِّن، والعمل صعب عسير، فكل الناس يتكلم وقليل هم العاملون.

وعلى ذلك فما نراه الآن في غزة هو ثمن لا بد منه لرؤية النصر في يوم من الأيام، ومن المستحيل أن نرى النصر بعد جلسة على طاولة مفاوضات، ومستحيل أن نراه على يدِ بائعٍ لدينه وأرضه، ومستحيل أن نراه على يد قوم لا يحسنون الوضوء ولا الصلاة، ومستحيل أن نراه دون بذل وعطاء وتضحية وإقدام.



إنها معادلة مفهومة واضحة، والذي لا يعرفها لا يعرف حقيقةَ دين الإسلام.. وإلا فلماذا يمر رسول الله ﷺ على ياسر وسمية -رضي الله عنهما- في مكة، فيقول لهما: «صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ، فَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْجَنَّةُ»؟[1] ولماذا يمر الصحابة بكل ما نعرفه من تعذيب وإيذاء

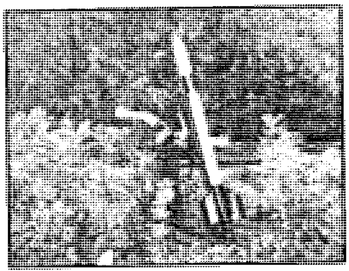
---

(١) رواه الحاكم في مستدركه (٥٦٤٦)، والطبراني في الكبير (٢٠٧٩٠)، وصححه الألباني في تخريج فقه السيرة ص١٠٣.

واضطهاد؟ ولماذا يتنكر لهم قومهم وأبناء جلدتهم؟ ولماذا يُحاصَرُون في الشِّعْب ثلاث سنوات؟

ولماذا يهاجرون من أرضهم وديارهم؟ لماذا كل هذا العناء ورسول الله ﷺ في وسطهم وبين أظهرهم؟ ولماذا لم يختصر ربُّنا هذه المدة اختصارًا ونرى نصر بدر بعد عام أو عامين من التعذيب، بدلاً من أن يتأخر إلى العام الثاني من الهجرة بعد خمسة عشر عامًا من المعاناة؟!

إن كل هذا حدث لأنه لا طريق إلى النصر إلا بهذه الصورة.. ومن بحث عن النصر بطرق أسهل ليس فيها ألم ولا معاناة فهو واهمٌ في رؤيته، سطحي في نظرته.



إن العالم أجمع قد تكالب على الصالحين وألقى على ظهورهم تبعات الأمر، وكذلك فعل العالم يوم جهر رسول الله ﷺ بدعوته في البلد الأمين. وما أجمل ما قاله العبَّاس بن عُبادة الأنصاري ﷺ يوم بيعة العقبة الثانية يوضِّح للأنصار طبيعة البيعة لهذا الدين: «إنكم تبايعونه على حرب الأحمر والأسود من الناس»[1].

هذا هو الطريق الصحيح للنصر الذي غفل عن رؤيته الكثير والكثير، لكن -بحمد الله- رآه أهل غزة وفلسطين.

يا شعوب الإسلام.. لا تَهُولَنَّكُمْ رؤية الشهداء على أرض فلسطين، فهؤلاء هم الذين نجوا وأفلحوا، وهم في حواصل طير خضر يسرحون في الجنة حيث يشاءون.

ويا أمتي، لا تفزعي.. فالله غالب على أمره، ولكن أكثر الناس لا يعلمون، وسيأتي يومٌ تعود فيه الحقوق إلى أصحابها، ويرفع الشرفاء راية الإسلام فوق الأرض المباركة.

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية ١/ ٤٤٦.

والله إني لأراه ؛ لأن رسول الله ﷺ رآه، وقد أعطاه الله ﷻ مفاتيح الشام، وستظل المفاتيح بيده، مهما تقادم الزمن أو تعاقبت السنون والأيام.. فهذا وعد الله، والله لا يخلف الميعاد.

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين![1]

*****

(١) لمعرفة دورك في قضية فلسطين يمكن الرجوع إلى محاضرة:(فلسطين لن تضيع.. كيف؟!) للمؤلف من إنتاج شركة النور للصوتيات.

(٣)
الشعوب المسلمة وفلسطين[١]

أحزن كثيرًا عندما تصلني رسائل أو مكالمات أشعر منها أن بعض المسلمين يشعرون أنهم مهيضو الجناح، وضعفاء الجانب، ولا حيلة لهم ولا قوة .. إن الشعور بالعجز شعور قاتل، وهو أمر يحتاج الإنسان أن يستعيذ منه، وأن يسأل الله ﷻ أن ينقذه من أخطاره، وقد علَّمنا رسول الله ﷺ ذلك فقال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ...**»[٢].



إن كل فرد من أبناء هذه الأمة يستطيع أن يكون فاعلاً، ويمكن أن يكون إيجابيًّا، ويمكن كذلك أن يكون مؤثِّرًا في الأحداث لا متأثِّرًا بها؛ بل إن الذي يرضى بواقعه دون أن يحاول أن يُغيِّره ما هو إلا إمَّعة، وذلك كما وصف رسولنا ﷺ.

قال رسول الله ﷺ : «**لا تَكُونُوا إِمَّعَةً؛ تَقُولُونَ: إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَحْسَنَّا، وَإِنْ ظَلَمُوا ظَلَمْنَا. وَلَكِنْ وَطِّنُوا أَنْفُسَكُمْ إِنْ أَحْسَنَ النَّاسُ أَنْ تُحْسِنُوا، وَإِنْ أَسَاءُوا فَلاَ تَظْلِمُوا**»[٣].

إنه لا عذر لأحد في أن يكون له دور في كل قضايا المسلمين، وأولها الآن ـ وبلا جدال ـ قضية فلسطين.

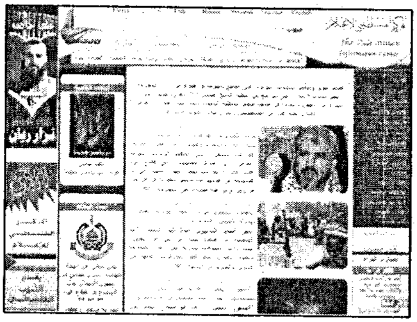
---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام **www.islamstory.com** بتاريخ: ٩/ ١/ ٢٠٠٩م.

(٢) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب ما يتعوذ من الجبن (٢٦٦٨)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب التعوذ من العجز والكسل وغيره، (٢٧٠٦).

(٣) الترمذي: كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الإحسان والعفو (٢٠٠٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب.

أعلم أن الحكام قد تخاذلوا عن نصرة إخوانهم المسلمين في فلسطين، بل وأعلم أن منهم من يمارس ضغطًا ماديًّا ومعنويًّا ليُعلنوا الاستسلام أمام جحافل اليهود، وأكثر من ذلك فهم يتتبَّعُون من "يُتَّهم" بنصرة المجاهدين في فلسطين، فيزجُّون بهم في السجون، ويُشَهِّرُون بهم في وسائل الإعلام.



أعلم ذلك وأشاهده، لكن ليس للحكام أن يُكَبِّلوا طاقات الشعوب، وليس لهم أن يُضْعِفوا من عزيمة المخلصين، وليس لهم أن يوقفوا طوفانًا حقيقيًّا كطوفان الإيمان في قلوب الصالحين.

فليفعل الحكام ما يشاءون، لكننا كشعوب مسلمة في أيدينا الكثير والكثير ممَّا تعجز قوى البغي والظلم عن منعه أو إحباطه.

إننا نملك لسانًا نستطيع أن نحفظ به قضية فلسطين حيَّة أبد الدهر.. إننا سنتكلم عنها في كل المحافل الإسلامية وغير الإسلامية.. سنشرح ونُفَصِّل في حَقِّ الفلسطينيين في أرضهم، وسنشرح ونُفَصِّل ظلم اليهود وبغيهم، وسنصل بلساننا إلى مشارق الأرض ومغاربها، إننا سنُبَلِّغ، وسيحمل ربنا البلاغ إلى العالمين.

إن من أخطر الآفات التي يمكن أن تُصيب قضية فلسطين أن تموت القضية في قلوب أبناء الأمة، فلا ننشط لها إلا عند حدوث كوارث ضخمة، أو عندما يسقط الشهداء بالمئات.

إن فلسطين ما زالت محتلة، وحتى ولو هدأت الأمور تمامًا، وتوقَّفت الصواريخ، وانسحبت الجيوش اليهودية من غزة، حتى لو حدث كل ذلك ففلسطين ما زالت محتلة، ولا يجب أن تهدأ قضيتها أبدًا، وهذا من ألزم أدوارنا كشعوب، ولا يستطيع حاكم ولا ظالم أن يُوقفه ما دامت هناك حميَّة في قلوب المسلمين، وما دام المسلمون يعيشون حياة الجدية والجهاد.

إذا كنا نتألَّم الآن لأحداث غزة فلماذا ننشغل عن القضية بأمور قد تكون تافهة وبسيطة، بل أحيانًا قد تكون من باب المعاصي؟! ليس هذا إلا لأننا نتعامل مع القضية بعواطفنا لا بعقولنا، والعقل يُلزم الشغل الدائم بالقضية حتى مع هدوء الأمور؛ لأن تحرير البلاد من العدو فرض عين كالصلاة والصيام، والذي ينساه كالذي ينسى الصلاة تمامًا بتمام.

وليس هذا فقط الذي نملكه كشعوب..

إننا نملك أموالاً كثيرة، حتى وإن كانت في أعيننا قليلة، فالقليل إلى جوار القليل يُنْشِئ الجبال الرواسي، وإخواننا في غزة يحتاجون المال لا شكَّ في ذلك، والجهاد بغير مال لا يستقيم، وقد جعل الله عز وجل المال قرين النفس، فجمع في أكثر من موضع بينهما عند الحديث عن الجهاد، فقال على سبيل المثال: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التوبة: ٨٨]. بل إن الرسول ﷺ يُسعدنا ببشارة رائعة عندما يقول: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ الله بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا»(١). أما الكثير من الشباب الذين حال الحكامُ بينهم وبين الجهاد في أرض فلسطين، فالفرصة أمامهم سانحة ليأخذوا أجر الجهاد؛ وذلك بمساندة المجاهدين بالأموال ولو كانت بسيطة، ولا نريد عطاءً متحمِّسًا في لحظة واحدة من لحظات الأزمة، ولكن نريد عطاءً مستمرًّا دائمًا يحفظ مسيرة الجهاد من التوقُّف، وفي ذات الوقت يحفظ القضية حيَّة في قلوبنا.

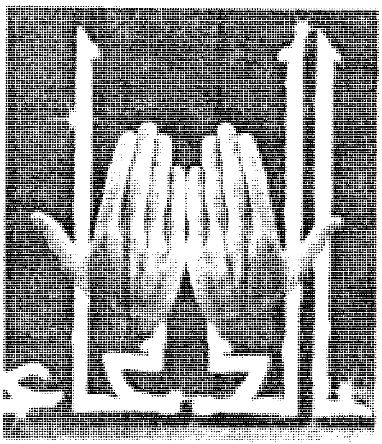
ونملك أيضًا أن نقاطع بضائع عدونا ومن يسانده، وهذا السلاح العظيم -المقاطعة- ليس الغرض منه فقط إحداث خسارة اقتصادية عند أعدائنا، ولكن الغرض الرئيسي أن نُثْبِتَ لأنفسنا وللجميع أننا لا نقبل أن نتعامل مع مَن يقتلون

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب فضل من جهز غازيًا أو خلفه بخير (٢٦٨٨)، ومسلم: كتاب الإمارة، باب فضل إعانة الغازي في سبيل الله... (١٨٩٥).

أبناءنا وإخواننا، ومن يحتلون أرضنا ومقدساتنا، وإذا كنا نطالب حكامنا بوقف التطبيع مع الأعداء، فيجب علينا أن نكون أوَّل المطبِّقين لذلك بوقف التطبيع مع البضائع اليهودية والأمريكية والإنجليزية، ومع كل حكومة تتبنَّى موقفًا مساندًا للظلم اليهودي في فلسطين .

وفوق كل ما سبق فإن حكامنا لا يملكون أن يمنعوا أيدينا من أن ترتفع إلى الله ﷻ، وألسنتنا من أن تلهج بالدعاء، وقلوبنا أن تتوجَّه إلى خالق السماوات والأرض، أن ينصر إخواننا المجاهدين في فلسطين، وأن يُثَبِّتَ أقدامهم، ويرزقهم من خزائنه التي لا تنفد، كما لن يستطيع الحكام أن يمنعونا من أن ندعو على الظالمين، سواء كانوا غير مسلمين أو مسلمين، فالمظلوم لا تُرَدُّ دعوته، وليس بينها وبين الله حجاب .



هذا بعض ما في أيدي الشعب، وإن كان في أيديهم الكثير والكثير، ولا بُدَّ لشعوب الإسلام أن تتحوَّل من كونها مضغوطًا عليها من حكامها، إلى كونها ضاغطة عليهم، ولا بُدَّ أن يسعى المسلمون لتغيير الواقع الأليم الذي يعيشونه، وليس الحكام واقعًا مريرًا كُتب علينا أن نقبل به أو نرضى به، إنما علينا أن نسعى إلى إصلاح حياتنا والخروج من أزمتنا، وقد فعلت ذلك شعوب كثيرة في الأرض ليست مسلمة، فليس مقبولاً لهذه الأمة العظيمة أن تكون أهون من عامَّة الخلق، وهي التي جعلها الله ﷻ خير أمة أُخرجت للناس.

لعلَّ الكثير يتساءل وكيف الخلاص؟ أقول: إن الذي يسأل ويحتار لم يصل بعدُ إلى درجة الإخلاص واليقين التي تنير الطريق، وتهدي السبيل، وإلا فراجعوا قول

الله ﷻ الذي يُثْبِتُ فيه الهداية لمن رسخ إيمانهم، وثبت الصدق في قلوبهم.. ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

إن السبيل الصعب الذي نغيّر به أحوالنا، ونُعِزّ به أُمَّتَنَا، سيصبح واضحًا جليًّا إذا عشنا بصدق حياة المجاهدين، واطَّلع الله ﷻ على ذلك في قلوبنا، وعندها لن نسأل أبدًا أين الطريق!

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين..

*****

(٤)
حماس .. وما أدراك ما حماس!! (١)

يتحيّر كثير من المؤرخين في تسمية الفترات التاريخية التي تشهد تفرقًا في الأمة الإسلامية، ولذا فهم يلجأون عادة إلى تسمية الفترة بأبرز ما فيها من علماء ومجاهدين ومخلصين.. فعهد السلاجقة مثلاً معروف في التاريخ الإسلامي، وإن لم يكونوا يحكمون العالم الإسلامي كله، ولكنهم كانوا أفضل ما فيه، كذلك عهد الزنكيين والأيوبيين والمماليك، فهذه كلها فترات لم تشهد إلا وَحْدة محدودة بين بعض الأقطار، فلم يجد المؤرخون أفضل من تسميتها بأفضل ما فيها حتى وإن لم تكن التسمية شاملة لكل الدول المعاصرة آنذاك.

ولست أستبعد أبدًا أن تُعرف الفترة التي نعيش فيها الآن بفترة "حماس"، ويصبح المؤرخون لفترتنا يتجاهلون الكثير والكثير من الحكومات والأنظمة، ويعرِّفون فترتنا بأنها هي الفترة التي ظهرت فيها جماعة حماس، وحملت على عاتقها مهمَّة تحرير فلسطين من اليهود، بل لا أستبعد - إن استمرت الجماعة على نهجها وإخلاصها وعطائها وفكرها - أن تكون سببًا في توحيد المسلمين تحت راية واحدة بعد طول فُرقة وشتات.. وليس ذلك على الله بعزيز.

حماس.. وما أدراك ما حماس !!

قومٌ حملوا أرواحهم على أكفهم، وقاموا يجاهدون في سبيل الله لا يخافون لومة لائم..

قومٌ جعلوا مهمتهم الأولى أن يحرروا الأرض التي بارك الله فيها للعالمين..

---

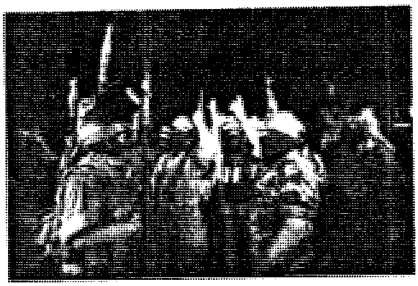
(١)تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام **www.islamstory.com** بتاريخ ١٥/ ١/ ٢٠٠٩م.

قومٌ ألقوا الدنيا خلف ظهورهم، وعاشوا تحت قصف النيران، وحصار الأعداء والأصدقاء، ولو أرادوا لتركوا البلاد والعباد، ولعاشوا لأنفسهم، ولكثرت في أيديهم الأموال، ولكنها الجنة تملأ عليهم فكرهم وحياتهم.

قومٌ دفعوا من أرواح قادتهم وزعمائهم الذين لم يقبلوا أن يعيشوا في قصور وقلاع - كعامَّة الحكام العرب - بينما الشعب يعاني الألم والحصار..

قومٌ يحملون القرآن والسنة، ويقرءون التاريخ والواقع، ويفهمون معاني الجهاد والهدنة، وقوانين الحرب والسلام، وآليات القتال والتفاوض، ويعرفون كيف يأخذون بالأسباب مع كامل التوكل على الله.

هم بالجملة قوم يحملون بأمانة مهمة رفع رأس الأمة الإسلامية، وإعادة الكرامة المسلوبة، والشرف المفقود..



فجزاهم الله خيرًا كثيرًا!!

إنني والله أسعد بأني عشت في زمانهم، وكلما داخلني حزن أو ألم لما يحدث في بلاد العالم الإسلامي من جراح وأزمات، وخشيت على نفسي من إحباط مذموم، أو يأس مرفوض، أذهبُ إلى تاريخ حماس وواقعها، فأراجع بعض الصفحات، فأعود نشيطًا كما كنت، وسعيدًا من جديد، فأندفعُ إلى العمل والإنتاج بقوة أكبر، وحمية أعظم.

إن هذا يحدث دومًا عند قراءة قصص المجاهدين والمصلحين والعلماء..

إننا نأخذ دفعات كبرى جدًا عند قراءه تاريخ الصحابة والتابعين، وعند تصفح حياة ألب أرسلان ونور الدين محمود وصلاح الدين وقطز، وعند مراجعة سيرة البخاري ومسلم والشافعي وابن حنبل والعز بن عبد السلام وابن تيمية.

وهذا يحدث أيضًا عند دراسة حياة أحمد ياسين والرنتيسي وأبو شنب وعقل ويحيى عياش، وكذلك هنية ومشعل والزهار وغيرهم وغيرهم من أبطال الأمة.



وليس معنى هذا الكلام أنهم قوم بلا أخطاء، أو أنهم معصومون كالأنبياء، فأنا أعلم أنهم يصيبون ويخطئون، ويختارون الأولى وخلاف الأولى، وينجحون ويفشلون، لكنهم في النهاية دُرَّة غالية في جبين الأمة الإسلامية.

ولكل ما سبق فإنني أحزن كثيرًا عندما أفتح كثيرًا صفحات الجرائد العربية، وعند مشاهدة الكثير من البرامج التلفزيونية الحكومية، فأجد حربًا ضروسًا على هذه الجماعة المباركة، وأرى هجومًا ضاريًا قد لا نجده في صحف اليهود ذاتها! ونرى كذلك شبهات وتشكيكات وادعاءات وافتراءات؛ فهذا يتهمهم بالولاء لإيران، وذاك ينعتهم بمحبي السلطة، وثالث يدَّعِي أنهم لا يقرءون الأحداث بعمق، وكأن الحكيم في هذا الزمن هو من رفع الراية البيضاء، وأعلن الاستسلام دون شروط!!

إن هذا يحزنني ولكن لا يدهشني!

إن كل زمان ومكان لن يخلو أبدًا من المنافقين!

والمنافقون هم قوم يحملون أسماءً إسلامية، ويعيشون في بلاد المسلمين، وقد يؤدون بعض الشعائر كالصلاة والصيام، ولكنهم يحملون في قلوبهم غلاً وضغينة على المسلمين أشد مما يحمله اليهود والنصارى والملحدون..

فالكفار قد أعلنوها صريحة أنهم يحاربون الإيمان والمؤمنين، أما هؤلاء المنافقون فأجبن من أن يعلنوا ذلك؛ لذا فهم يعيشون حياة التذبذب والحيرة والاضطراب، فيصلون وهم يكرهون المصلين، ويشهدون أنه لا إله إلا الله وهم يمقتون الموحِّدين، ويعيشون في بلاد المسلمين وهم يريدون لها السقوط في يد أعداء الدين.

ولذلك فإن هذه النفسيات المعقَّدة، والعقليات المنحرفة تكره أشد ما تكره صور المجاهدين والمخلصين، فتنطلق تنهش في أجسادهم دون رحمة ولا شفقة، وتتحيّن الفرص للكيد لهم والبطش بهم.

لقد كان هؤلاء المنافقون يعاصرون رسول الله ﷺ، فما أقنعتهم الآيات المحكمة، ولا الأدلة الباهرة، ورأوا كرام الصحابة ﷺ أجمعين يتنافسون في فعل الخيرات فأكل الحقد قلوبهم، وانطلقوا يسخرون منهم ويلمزونهم، فإذا رأوا غنيًّا يجاهد بماله قالوا: هذا يرائي الناس، وإذا رأوا فقيرًا يأتي بالقليل الذي يملكه قالوا: وماذا يفعل هذا الشيء الحقير في دولة كبيرة، وجيش عظيم؟! فهم قد قرروا أن ينتقدوا كل أفعال المؤمنين مهما كانت جليلة، وسيبحثون عن كل مبرر منطقي يؤكد فِرْيتهم، ويثبت باطلهم.

ولقد ذكر الله ﷻ أمرهم هذا في كتابه الكريم عندما قال: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لاَ يَجِدُونَ إِلاَّ جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩].

إنهم يسخرون الآن من الذين يجاهدون مع أن المجاهدين يمارسون شعيرة هي ذروة سنام الإسلام، ويسخرون من صواريخهم البدائية، مع أنهم بذلوا في صناعتها أقصى ما يستطيعون، وما دفعهم إلى استعمالها إلا أن العرب المحيطين يمنعون عنهم الصواريخ الحديثة والأسلحة المتطورة، بل وأحيانًا يمنعون الطعام والشراب!

إنني لا أخشى هؤلاء المنافقين لا من قريب ولا من بعيد، فإن الله قد وعد بذلهم وإهانتهم ﴿سَخِرَ اللهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٢].

إن المنافقين لا يرهبونني أبدًا، ولكن الذي أخشى منه فعلاً أن تستمع طائفة من المؤمنين إلى شبهاتهم ومنكراتهم، فيتأثروا بباطلهم، ومن ثَمَّ يتخاذلون عن نصرة المجاهدين، ويتقاعسون عن نجدتهم.. لقد قال الله ﷻ مخاطبًا المؤمنين ومحذِّرًا لهم: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

أي أن فيكم أيها المؤمنون من يستمع إلى المنافقين، بل ويُكثِر السماع، فنجد بعض المخلصين من أبناء الأمة يردِّدون هذه الشائعات المغرضة، ويتناقلونها فيما بينهم، وهذا فيه من الخطورة ما فيه، فالحذرَ الحذرَ أيها المسلمون، فإن وَحْدة صفِّنا من أهم عوامل نصرنا.

إننا قبل أن نشكِّك في جماعة كريمة كحماس، وفي أبطال مجاهدين كقادتهم وجنودهم، علينا أن ننظر إلى من يطعن فيهم من زعماء وإعلاميين، فنسألهم: وماذا فعلتم أنتم يا من تملكون الشعوب والطاقات، ويا من تسيطرون على مخازن السلاح والذخيرة، ويا من تهيمنون على وسائل الإعلام والسياسة؟! اذكروا لنا ماذا قدمتم للمسلمين قبل أن تسخروا من الذين يبذلون جهدهم ولو كان في أعينكم قليلاً؟!

أما أنتم يا حماس.. فهنيئًا لكم جهادكم وبذلكم وعطاءكم، وهنيئًا لكم فَهْمكم وعلمكم وعملكم، وأسأل الله لكم الإخلاص والثبات.

اللهم إني لا أملك أن أجازيهم، فجازهم أنت خير الجزاء!

اللهم ثبِّت أقدامهم، وسدِّد رميهم، وانصرهم على عدوِّهم!

اللهم آمين..

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين.

*****

(٥)
ألا شكرًا لأولمرت!! (١)

كثيرًا ما يأخذ الجبابرة والطغاة قراراتٍ مصيريةً يكون فيها كثير من النفع للأمة الإسلامية! وهم لا يقصدون بالطبع نفعها، ولكن هذا تقدير رب العالمين.. ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

وفي القرآن الكريم نجد قصة فرعون كبير الطغاة في العالم، ومضرب المثل لهم، وقد رأينا أنه جمع جيشه بكامله لمطاردة النبي موسى ﷺ، ومَن معه من بني إسرائيل، ثم شاهد بعيني رأسه المعجزة الخارقة وانشقاق البحر؛ لكنه ما اعتبر ولا اتعظ، فأخذ القرار المتكبّر بخوض البحر المشقوق ليكمل المطاردة اللئيمة، فقاد قومه إلى الهلكة، وتحقق النفع للمؤمنين. وبعده جاء فرعون الأمَّة الإسلامية أبو جهل، الذي أصرّ على دفع قومه إلى القتال ضد رسول الله ﷺ في يوم بدر، على الرغم من معارضة قادة مكة لهذا القتال، ومع ذلك تمّ القتال، فكان يوم الفرقان بآثاره المجيدة على الأمة، وتداعياته الخطيرة على المشركين.



وفي ٢٧ من سبتمبر سنة ٢٠٠٠م قام رئيس وزراء الكيان الصهيوني الأسبق «**شارون**» زيارة المسجد الأقصى، في موقف لا داعي له مطلقًا، وليس من ورائه فوائد كثيرة، إلا أن الله أراد أن يكون هذا الحدثُ

(١)تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام **www.islamstory.com** بتاريخ ٢٢/ ١/ ٢٠٠٩م.

العابرُ شرارة الانطلاق للانتفاضة الفلسطينية المباركة، التي ما زالت آثارها الحميدة موجودة إلى الآن..

وفي ٢٧ من ديسمبر سنة ٢٠٠٨ أخذ «**أولمرت**» قرارًا غاشمًا بضرب غزة عسكريًّا جوًّا وبحرًا ثم أرضًا آملاً أن يُقصي حماس عن قيادة قطاع غزة، وراغبًا في إبعاد الإسلام عن معادلة الصراع، ومحققًا آمال العلمانيين من الفلسطينيين والعرب الذين يرغبون في عودة "أبو مازن" وأعوانه إلى قيادة القطاع.



لكنْ تأتي الرياحُ بما لا تشتهي السفن!

يقول تعالى: ﴿**إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا * وَأَكِيدُ كَيْدًا**﴾ [الطارق: ١٥، ١٦].

حقًّا.. ألا شكرًا لأولمرت!!

لقد حقق أولمرت بهذه الخطوة الهوجاء فوائد جمَّة للأمة الإسلامية لا يمكن حصرها في مقال واحد..

ولعلّ من أعظم هذه الفوائد كشف الأوراق وتوضيح الرؤية..

لقد وضحت أمور كثيرة للشعوب الإسلامية وكذلك للعالم أجمع، وكنا نحتاج في الحقيقة إلى عشرات السنين، فإذا بقرار أولمرت الغاشم يحقق هذه الرؤية الواضحة، في أقل وقت، وبشكل حاسم.

لقد كُشفت أوراق معظم الحكّام العرب بشكل واضح وجلي، وظهر التعاون الأكيد مع الكيان الصهيوني ضد مصلحة الشعب الفلسطيني وضد مصلحة القضية

برمتها.. والحقُّ أن أوراق هؤلاء الحكام مكشوفة منذ زمن، إلا أن الأمر الآن ازداد وضوحًا، حتى صار موضع إنكار من الغربيين أنفسهم، ولسنا ببعيدين عن انتقاد سكرتير الأمم المتحدة **بان كي مون** للقادة العرب الذين تخاذلوا عن نصرة إخوانهم في فلسطين، وفشلوا في كل شيء حتى في مجرد الاجتماع والكلام!!

لقد حرص الزعماء العرب في سنة ١٩٤٨ على القيام بتمثيلية حرب ضد اليهود وكأنهم يحررون فلسطين، ولكنها كانت تمثيلية لتكريس الوجود الصهيوني في فلسطين، فقد كانت الجيوش العربية تحت زعامة إنجليزية، وما حاربت الجيوش العربية إلا في المناطق التي قسمتها الأمم المتحدة للعرب في قرار التقسيم الظالم سنة ١٩٤٧، ولم تدخل الأراضي المقسومة لليهود إلا مرة واحدة على سبيل الخطأ، وقام الجيش العراقي الذي أخطأ بدخول الأراضي المقسومة لليهود بالانسحاب فورًا منها بناءً على أوامر الجامعة العربية..

لقد كانت تمثيلية حقيرة بكل المقاييس!!

وصلت في حقارتها إلى أنهم قاموا باعتقال كل المجاهدين من مصر وسوريا والأردن، ووضعوهم في السجون بتهمة الجهاد في فلسطين ضد اليهود..

هذه كانت تمثيلية سنة ١٩٤٨..

لكنْ في غزة «ديسمبر ٢٠٠٨م» وما بعده لم تكن هناك تمثيلية، إنما كان اللعب على المكشوف!

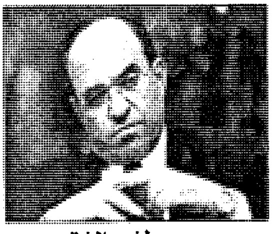
لم يكلّف الزعماء العرب أنفسهم بحَبْكِ تمثيليةَ لخداع الشعوب؛ أنهم يقاتلون من أجل فلسطين، أو تمثيلية لإقناعهم أنهم ما زالوا شرفاء كرماء أوفياء للوطن والدين..

لم يكلف الزعماء العرب أنفسهم عناء الخداع والغش..

بل أعلنوها صريحة واضحة: إننا لا نهتم لا من قريب ولا من بعيد بهذه الأحداث الدامية في أرض غزة.. لن يتحرك جيشٌ، ولن تقطع علاقة مع الكيان

الصهيوني، ولن يوقفَ تطبيع، ولن ينقطعَ ضخّ الغاز إلى اليهود، ولن يمارسَ أيَّ ضغط على الحكومة الإسرائيلية، بل أعلنوا –وبجرأة عجيبة- أنهم ضد الحكومة الفلسطينية التي اختارها الشعب بنفسه، وأنهم سيقفون مع السلطة الفلسطينية القديمة بقيادة «**أبو مازن**»، وهي السلطة التي لفظها الشعب وكرهها بعد رؤية سرقاتها ومنكراتها، وبعد تفريطها في الحقوق الفلسطينية، وبعد ولائها الصريح لليهود والأمريكيين..

لقد كُشفت الأوراقُ كأوضح ما يكون..


د. مصطفى الفقي

لقد ذكر الدكتور **مصطفى الفقي** -وهو أحد أكبر رجال الحكومة المصرية- في حوار معه في جريدة الأهرام المصرية يوم الجمعة ١٦ يناير ٢٠٠٩ أن مصر لن تسمح بقيام إمارة إسلامية على حدودها الشرقية! وأن هذا مسألة أمن قومي!!

فالأمن القومي المصري يخشى من قيام حكومة ذات توجّه إسلامي كحكومة حماس في فلسطين، لكن الأمن القومي المصري لا يجد غضاضة في قيام دولة عسكرية صهيونية نووية في ذات الأرض المجاورة أرض فلسطين!

لقد أصبحت حماس في حسابات بعض الزعماء العرب أخطر من أولمرت وباراك وليفني!!

هل يمكن أن يقول عاقل مثلَ هذا الكلام؟! إنه كلام غير مقبول لا عقلاً ولا شرعًا..لكن هذا الكلام قيل بالفعل..إن المسألة كما يقولون مسألة أمن قومي!

إنهم يخشون بوضوح أن ينتقل النموذج الإسلامي الذي تطبقه حماس إلى غيرها من الدول المحيطة.. فهم يدركون تمامًا أن حماس لا تفكر في غزو مصر أو الأردن أو السعودية، ولا تفكر في منافسة الزعماء العرب على كرسي حكمهم، لكنهم يخشون تمام الخشية من إعجاب الشعوب الإسلامية بهذا النموذج، ومن ثَمَّ تطبيقه في البلاد

المختلفة، وعندها ستضيع الكراسي والسلطات، وتصبح الكلمة الأولى للإسلام، وهذا ما يرفضونه تمامًا!!

إن الزعماء العرب ينظرون للإسلاميين على أنهم منافسون لهم في الحكم، ولذلك يكرهونهم بل يمقتونهم، والجميع يعرف أن الدكتور مصطفى الفقي على سبيل المثال لم يدخل مجلس الشعب المصري إلا بعد تزوير الانتخابات في دائرته الانتخابية، وإقصاء الرجل الإسلامي الذي كان ينافسه.. إنهم يعلمون أن الشعوب لو تُرك لها حرية الاختيار ستختار نظيف اليد سليم العقيدة، ولن تختار من عاش لنفسه فقط ولم ينظر مطلقًا إلى مصالح الأمّة..

لقد أعلنها الحكام صريحة: نحن ضد رغبات الشعوب، وضد الإسلاميين، وضد النظافة والشرف والكرامة والمجد..

إن أولمرت صديق، وإسماعيل هنية عدو!

وليفني تمثل شرعية قانونية سليمة، أما الزهّار فشرعيته مفقودة، ودولة إسرائيل دولة حقيقية، أما دولة فلسطين فدولة وهمية!!

وهذه الأمور كانت واضحة منذ زمن.. لكنها ازدادت وضوحًا بعد رعونة أولمرت الأخيرة، وقصفه الوحشي لقطاع غزة..

إنّ كشف الأوراق هذا مرحلةٌ إيجابية جدًّا، وهي تحمل مبشراتٍ عظيمة؛ لأن التاريخ يعلّمنا أن التغيير الحقيقي في الأمم لا يحدث إلا بعد أن تُكشف أوراق الجميع.. فتعلم الشعوب مَن الصالح ومَن الطالح، ومن المجاهد ومن المنافق، ومن الذي يدفع روحه لنجدة شعبه، ومن الذي يدفع أرواح شعبه بكامله لينقذ روحه!

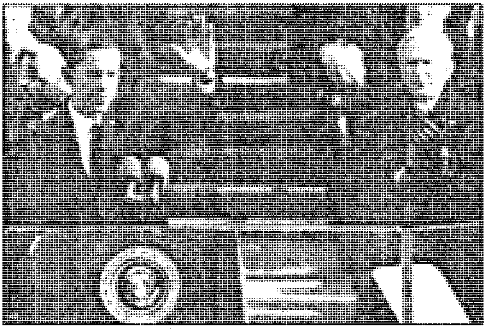
إنها بشارات خير وأمل..

﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٥١].

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

(٦)
أوباما.. ممثل جديد في سيناريو قديم!![1]

يخطئ كثير من المسلمين عندما يقيسون الأوضاع السياسية في أمريكا وبلاد العالم الغربي بمثيلاتها في بلادنا العربية والإسلامية، فيظنون أن السيد الرئيس هو الرجل الذي لا تردّ له كلمة، وأن الدولة بكاملها ستتجه يمينًا إذا ما أراد أن يتجه إلى اليمين، وأنها ستتجه يسارًا إذا أراد أن يتجه إلى اليسار. إنهم يظنون ذلك لطول معاشرتهم للحكام الدكتاتوريين العرب الذين يمسكون بكل المقاليد في أيديهم، ويصدرون القرارات تبعًا لأهوائهم ورغباتهم دون أدنى اعتبار لرغبات الشعوب ولا للمجالس النيابية ولا للوزراء أو المستشارين.



لكن الوضع في أمريكا ليس كذلك!

إن القرار في أمريكا ليس قرارًا فرديًّا يأخذه رئيس أو وزير، إنما هو قرار مؤسسي يشارك في صناعته الحزب بكامله، كما يشارك فيه أيضًا مؤسسات غير تابعة لأيّ من الحزبين الديمقراطي أو الجمهوري، وذلك من مؤسسات الأمن القومي ومراكز صنع القرار، والمجالس الاستشارية المتخصصة والمخابرات الأمريكية والهيئات العلمية المتطورة ومجلس الشيوخ والكونجرس، وغير ذلك من هيئات.

إن الرئيس الأمريكي مهما كان ليس هو الذي «يأخذ» القرار، إنما هو الذي «يُعلِن» القرار!!

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٩/ ١/ ٢٠٠٩م.

وعلى ذلك فهو مجرَّد ممثل في مسرحية سابقة التأليف والإخراج.. وليس له أن يخرج على النص بحال من الأحوال.. نعم لكل ممثل طريقته في التمثيل، وإبداعاته في عرض رؤية المؤلف والمخرج.. ونعم قد يكون الممثل جيدًا كأوباما أو فاشلاً كبوش، ولكنه في النهاية ممثل يؤدي مسرحية مكررة تم تأليفها منذ عشرات السنين.



ومسرحية إسرائيل وفلسطين، والصهاينة والعرب، واليهود والمسلمين مسرحيةٌ قديمة جدًّا كتبها مؤلفون أمريكيون أصيلون منذ قرن من الزمان، ويتناوب على تمثيلها عدة ممثلين حسب الظروف..

فترومان الذي اعترف بإسرائيل بعد ١١ دقيقة من إعلان دولتها في ١٤ من مايو ١٩٤٨م لم يفعل ذلك لعاطفته الشخصية تجاه اليهود، ولكن لأنّ الأمر كان معدًّا سلفًا بلا شك .وجونسون الذي أيّد غزو إسرائيل لسيناء والضفة الغربية وغزة والجولان في سنة ١٩٦٧م كان لا يؤيدها إلا بتزكية من الكونجرس .وكارتر الذي كان يرعى مباحثات كامب ديفيد، والتي كرّست ـ وللمرة الأولى ـ الاعتراف بدولة إسرائيل لم يكن يفعل ذلك من منطلق شخصي خاص به .وريجان الذي أيد غزو لبنان سنة ١٩٨٢م وأمدَّ إسرائيل بالقنابل المحرمة دوليًّا لم يفعل ذلك من وراء حكماء أمريكا .وجورج بوش الأب الذي أنزل نصف مليون جندي أمريكي في أرض المسلمين سنة ١٩٩٠م لم يفعل ذلك لتحامله الشخصي على العراق أو المسلمين .وكلينتون لم يقم برعاية اتفاقيات أوسلو -والتي كان من أهم أهدافها تركيع المقاومة الفلسطينية، وقمع حماس[1]، وإعطاء السلطة الفلسطينية الجديدة صلاحيات التحدث باسم الشعب الفلسطيني، وأمل وهمي في إنشاء دولة في مقابل الاعتراف لليهود بسرقة أكثر من ٨٠٪ من أرض فلسطين- لم

(١) للمزيد عن «حماس» انظر (سلسلة حماس وفتح) على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com.

يفعل كل ذلك لأنه شخصيًّا يريد ذلك .وجورج بوش الابن لم يحتل أفغانستان[1] والعراق عسكريًّا؛ لأنه رجل عدواني جرَّ أمريكا إلى ما لم تكن تتمناه!

إنّ كل هذه الحوادث وغيرها لا تعدو أن تكون مسرحية قديمة مكتوبة بعناية من أطراف عدَّة، وشارك في كتابتها يهود بروتستانت، وساهم في إعطاء صورتها النهائية عدد كبير من السياسيين والعسكريين والاقتصاديين والعلماء، ثم في النهاية يقوم السيد الرئيس «بإعلان» القرار!

كل ذلك يؤكد أن أوباما لن يختلف لا كثيرًا ولا قليلاً عمّن سبقه من الرؤساء بخصوص الملف الفلسطيني اليهودي، وقد نوَّهت إلى ذلك في مقال سابق بعنوان «الآمال الواقعية»[2]، نرجو العودة إليه لأهميته لاستكمال الصورة التي نحن بصددها.

ولقد حاول أوباما أن يكون ذكيًّا في الشهر الذي سبق ولايته عندما سألوه أن يقول رأيه في قصف غزة بهذه الوحشية، فأحال الأمر إلى إدارة بوش، وقال: إن أمريكا لها الآن رئيس يأخذ القرارات المناسبة في هذا الأمر، وكأن أوباما رجل مؤدب لا يعلِّق سلبًا ولا إيجابًا على أفعال وآراء بوش، ونسينا أن برنامجه الانتخابي من أوَّله إلى آخره كان قائمًا على نقد بوش واتهامه بسلبيات كثيرة، لكن في هذا الموقف الخاص بفلسطين أظهر ورعًا كبيرًا في نقد بوش أو الاعتراض عليه، ولمَّا ضغطوا عليه ليقول رأيه قال: إن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها إذا قُصفت بالصواريخ، ولم يسأل نفسه: ولماذا تقصف حماس إسرائيل بالصواريخ؟! ولم يحاول أن يعرف ما الذي أتى باليهود من كل بقاع الدنيا ليحتلوا فلسطين ويطردوا أهلها، ولم يحاول أن يبحث عن أسباب الحصار المهلك الذي تضربه إسرائيل على قطاع غزة

---

(١) للمزيد عن (أفغانستان) انظر: المقالات، ملفات خاصة، جروح نازفة، أفغانستان، على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٢/ ٣/ ٢٠٠٨.

(٢) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٦/ ١١/ ٢٠٠٨م.

منذ سنة ونصف.. إنه لم يحاول أن يعرف كل ذلك؛ لأن الممثل في المسرحية ليس من دوره أن يعرف أو يبتكر أو يتبنى اتجاهًا معينًا، إنما دوره فقط أن يقوم بتمثيل النص المكتوب سلفًا.

وعندما تولى أوباما الحكم وألقى خطاب التنصيب كان لا بد أن يُعلِن سياسته بوضوح، فقال بلا تردد: إنه يؤيد اليهود في دفاعهم عن «دولتهم» إسرائيل، وأعلن أن على حماس أن تعترف بالكيان الصهيوني، وأعلن أيضًا أن على الدول المحيطة ـ وفي مقدمتها مصر ـ أن تمنع وصول الأسلحة إلى المقاومين، وأعلن دعمه للسلطة الفلسطينية القديمة بقيادة «أبو مازن»، على الرغم من رفض الشعب الفلسطيني لها، وعلى الرغم من تاريخها المليء بالسرقات والاختلاسات والعمالات. وأعلن أيضًا أن أمريكا ستستمر في حربها ضد الإرهاب والتطرف، وأن على الدول العربية أن تتعاون في هذا الشأن. ولا شك أننا كلنا نعرف أن المنظمات الإرهابية المعنية بالكلام هي المنظمات الإسلامية التي لا تقبل بالاحتلال الصهيوني أو الأمريكي، وأن المطلوب من الشعوب العربية والإسلامية أن تكون شعوبًا «وديعة» تقبل بالذل والإهانة دون اعتراض، وإلا تُوصم بالإرهاب وتُتَّهم بالعنف والتطرف!



ونتساءل في وضوح: ما هو الفارق في هذا الخطاب بين أوباما وبوش وكلينتون وغيرهم من رؤساء المؤسسة الأمريكية؟! ولماذا يعتقد بعض المسلمين أن عهدًا جديدًا سيبدأ؟! وما الذي يملكه أوباما ولا يمتلكه غيره من الرؤساء؟!

لكن الذي يحزنني حقًّا هو أنّ الإعلام العربي نسي كل ذلك، والتقط "لفتة" أوباما إلى العالم الإسلامي والعربي في خطابه، والذي قال فيها: إنه يحترم العالم الإسلامي، وخرج الإعلام العربي بهذه الكلمات، وأخرجها في مانشيتات رئيسية

بصيغة الفخر والعزة!! وكأنهم سعيدون جدًّا بأن أوباما بنفسه قد تذكرهم، وقال في حقهم كلمة!! بصرف النظر عن كامل تأييده لليهود، وعن كامل تضييعه لحقوق الفلسطينيين، وبرغم الوضوح السافر لسياسته الموالية للصهيونية.

لا يا أمة الإسلام !!

ليس لكِ أن تفخري أنك ذُكِرت في كلمة على لسان أوباما أو غيره..

وليس لكِ أن تعيدي تاريخ الجاهلية الأولى عندما كان يفخر العربي أبد الدهر أنه قابل قيصر ولو مرة، أو لأنه ركع في إيوان كسرى!

لقد تبدل الموقف تمامًا بعد نزول الإسلام وصار المسلمون سادة للشرق والغرب، وصدق الفاروق ﷺ حين قال: «نحن قوم أعزَّنا الله بالإسلام، وإذا ابتغينا العزة في غيره أذلَّنا الله». وهذا القول من الفاروق ﷺ يفسر لنا أحداثًا كثيرة، ومواقف عِدَّة، فهو يبيِّن لنا لماذا يرفع قادة وجنود حماس رؤوسهم عالية على الرغم من الحصار والتضييق، وعلى الرغم كذلك من الشهداء والجرحى. وهو يفسِّر لنا أيضًا لماذا نرى حكام العرب أذلَّة ضعفاء، يعطون الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، على الرغم من وجودهم في كراسيِّ السلطان، وعلى الرغم من الأبّهة والقصور والأموال والكنوز!

إن الذي يريد أن يبحث عن العزة الحقيقية لن يجدها في لفتة من أوباما، أو في منحة من سلطان، إنما سيجدها فقط عند رب العزة ومالك الملك.. ويا ليت قومي يعلمون!

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين.

*****

(٧)
أردوجان.. عملاق في زمان الأقزام!! [١]

على مدار سنوات طويلة ألفت الشعوب العربية رؤية القادة والزعماء يركعون، بل وينبطحون، للغرب وللكيان الصهيوني، ولذلك كان عجيبًا جدًّا ومفاجئًا لهم أن يشاهدوا رئيس الوزراء التركي رجب طيب أردوجان وهو يعترض على الرئيس اليهودي شيمون بيريز، ويقاطعه أكثر من مرة، ثم ينسحب من منتدى دافوس معترضًا على إدارة الجلسة بشكل غير حيادي! لقد كان موقفًا نادرًا حقًّا..


رجب طيب أردوجان

إن الجميع يعلم أهمية هذا المنتدى الاقتصادي الذي يعقد في مدينة دافوس (Davos) السويسرية منذ ٣٨ سنة، ويضم كبرى الكيانات الاقتصادية في العالم من الدول والهيئات والشركات العملاقة، وتزداد هذه الأهمية في أيامنا الآن والتي تشهد أزمة مالية اقتصادية كبرى، والجميع يدرك كذلك شدة احتياج تركيا لمزيد من العلاقات الاقتصادية التي تدعم مسيرتها الناهضة للخروج من الكبوة الاقتصادية الخانقة التي مرت بها الدولة التركية في التسعينيات، والجميع يعلم أيضًا مدى تغلغل التأثير اليهودي في اقتصاديات العالم بأسره، سواء اقتصاد الدول أو الشركات.

إن هذه الخلفية المهمة لخطورة هذا المنتدى لتلفت انتباهنا إلى عظمة موقف أردوجان، والذي أعاد إلى الأذهان العظمة والعزة التي كان يتكلم بها أسلافه السلاطين العثمانيون الشرفاء الذين قادوا الدنيا بأسرها عدة قرون..

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٥/ ٢/ ٢٠٠٩م.

لقد وقف الرئيس الصهيوني شيمون بيريز يتحدث في برود عجيب عن الظلم الذي يتعرض له اليهود في أرض فلسطين، وعن الألم الذي يصيب الشعب الإسرائيلي نتيجة صواريخ حماس، وعن صعوبة الحياة عند الأطفال اليهود في هذه الأجواء، مبررًا بذلك المذابح البشعة التي قامت بها قواته الإجرامية في قطاع غزة، ولقد أعطاه رئيس الجلسة ضعف الوقت الذي أعطاه لغيره، وتركه يتكلم كيفما يريد، ثم بعد انتهائه من الكلمة قام عدد من الحضور ممن يتزلفون إلى الكيان الصهيوني بالتصفيق له، والموافقة على ما أدلى به من كلمات!!

لقد كان من المتوقع أن يمر الموقف بسلام كما مر غيره من آلاف المواقف، وكان من المتوقع أن يكتفي المعترضون بالسكوت، وأن يتحرك العموم في اتجاه ترضية الرئيس الصهيوني، لولا أنه كان بالقاعة رجلٌ في زمن عزّ فيه الرجال، وعملاق في زمان الأقزام! وهذا الرجل هو أردوجان !


أردوجان يقاطع بيريز خلال مؤتمر دافوس

لقد قام هذا البطل الشجاع في فروسية ظاهرة يقاطع شيمون بيريز، ويقول له: «إسرائيل هم أدرى الناس بالقتل، وليست حماس هي التي دفعت إسرائيل إلى القتل، بل أنتم قتلتم الأطفال على شاطئ غزة دون أي ذنب، وقبل إطلاق الصواريخ».

ثم إنه توجه إلى الحضور الذين صفقوا منذ دقائق لبيريز وخاطبهم في صراحة نادرة: «من المحزن أن يصفق الحضور لأناس قتلوا الأطفال، ولعملية عسكرية أسفرت عن مقتل الآلاف من الأبرياء، وليس هناك مبرر أبدًا لقتل المدنيين بشكل عشوائي».

ثم توّج أردوجان موقفه البطولي بالانسحاب من المنتدى كُلِّية، وهو يتوجه بالكلام إلى رئيس الجلسة المنحاز إلى بيريز قائلاً له: «بيريز تحدث ٢٥ دقيقة، وأنا لم

أُعطَ الفرصة لأتحدث نصف هذه المدة، ولذا سأغادر، ولا أعتقد أني سأعود إلى دافوس!».

الله أكبر ولله الحمد!!

وقامت الدنيا ولم تقعد.. إن ما حدث في دافوس قد يكون شرارة لتداعيات خطيرة قد تؤثر في مسيرة الأحداث في السنوات القادمة.. وإنه لتحول ملموس في السياسة التركية يلفت الأنظار إلى تنامي الدور التركي المهم في المنطقة الإسلامية.

ولا شك أن هذا الموقف لم يأتِ من فراغ، إنما هو تصعيد مستمر في اللهجة التركية تجاه العدوان الصهيوني على غزة.. ولقد شاهد الجميع الاعتراضات التركية المستمرة على هذا العدوان الغاشم، ولقد خطب أردوجان في ٦ من يناير ٢٠٠٩م (بعد ١٠ أيام من القصف الإسرائيلي) وقال في خطابه: «إن تركيا حكومة ودولة وشعبًا لم ولن تكون إلى جانب الظالمين الإسرائيليين». بل إنه خاطب وزيرة الخارجية الإسرائيلية «تسيبي ليفني»، ووزير الدفاع «إيهود باراك» قائلاً: «إن التاريخ سيسجل لكما هذا العار، ويجب عليكما التخلي عن الحسابات الضيقة الخاصة بالانتخابات؛ فإن دماء الأطفال والنساء والعزل من الفلسطينيين يجب أن لا تكون ثمنًا لهذه الحسابات».



أردوجان يغادر مؤتمر دافوس

ثم توجه لكل اليهود بكلمات يذكرهم فيها بفضل المسلمين عليهم في زمان أزمة اليهود أيام سقوط الأندلس، فقال: «إن الأتراك العثمانيين أنقذوا أجدادكم اليهود من مظالم الصليبيين في الأندلس عام ١٤٩٢م لدى سقوط الدولة الإسلامية الأندلسية» وكانت الخلافة العثمانية قد قبلت باستضافة اليهود الفارين من الأندلس بعد سقوطها، وذلك لشدة اضطهاد الصليبيين الأسبان لهم، فهنا يلفت أردوجان انتباه

اليهود والعالم إلى أن المسلمين عطفوا على اليهود في أزمتهم، بينما يدور الزمان الآن وبدلاً من أن يحفظ اليهود هذا الجميل إذا بهم يقابلونه بالبغي والاستبداد، ويحتلون أراضي المسلمين ويقتلونهم وينكلون بهم..إنه فارق بين منهجين مختلفين تمامًا..

منهج يقوم على التعايش والرحمة والحضارة، ومنهج لا يرتوي إلا بدماء الآخرين، ولا يعيش إلا بالظلم والتعدي..

وهكذا تعامل أردوجان مع القضية كرجل شريف شجاع يقرأ التاريخ، ويفهم الواقع، ويعيش هموم أمته، ولا يرى فرقًا بين فلسطيني وتركي، فالكل في النهاية مسلم، ولا يرهبه صهاينة ولا أوربيون، ولا يداهن أو ينافق، ولا يركع أو ينبطح.. إنه حقًّا قائدٌ فذٌّ نسعد بوجوده في هذا المنصب الحساس في دولة مهمة كتركيا.. ونتمنى من الله أن يبارك له في خطواته، وأن يلهمه رشده، وأن يحفظه من مكر الماكرين وكيد الكائدين.. إننا لكي نفقه قيمة هذا الموقف الجليل علينا أن نقارنه بمواقف الزعماء الآخرين، والذين ينتمون إلى الفلسطينيين بعلاقات الدم والقربى والجوار وغير ذلك، لكنهم للأسف لا يضعون الإسلام في حساباتهم، ولا يهتمون به، بل إنهم للأسف الشديد يحاربونه في بلادهم، ويتتبعون أهله، ويعتقلون مؤيديه؛ ولذلك فإننا عندما نرى قائدًا كأردوجان فإننا ندرك قيمته، ونعلم قدره، ونغبط الشعب التركي الأصيل على وجوده تحت قيادة هذا القائد المسلم..



ثم كلمة أخيرة في آذان المرعوبين من الصهاينة، والخائفين على كراسيهم وسلطانهم.. أقول لهم: هل تدرون ما هو رد فعل شيمون بيريز على هذا التحدي الإسلامي التركي؟ وهل تدرون ماذا فعل رئيس الدولة الصهيونية الذي كان منتشيًا في مؤتمر دافوس يتحدث بقوة عن جرائمه ومنكراته؟!

لقد قام الرئيس الصهيوني شيمون بيريز بعد ساعة واحدة من انسحاب أردوجان بالاتصال هاتفيًا بأردوجان، واعتذر له رسميًا، ونقلت وسائل الإعلام هذا الاعتذار!!

الله أكبر!!

هل فقهتم اللغة التي يفهمها اليهود، بل والتي يفهمها العالم؟!

وهل علمتم لماذا يرفع أردوجان رأسه، ولماذا يرفع كذلك إسماعيل هنية والزهار وسعيد صيام ونزار ريان وغيرهم رءوسهم؟!

إن هؤلاء يرفعون رءوسهم لأنهم يعتزون بالإسلام، فيعطيهم الله ﷻ قوة فوق قوتهم، ويمدهم بمدد من عنده، فيراهم العدو كثرة ولو كانوا قلة، ويراهم في كامل البهاء والشموخ، ولو كانوا بسطاء فقراء..

إن قوة تركيا لا تقارن الآن بقوة الصهاينة أو الأمريكيين أو الأوربيين، لكن الجميع ينظر إلى نهضتها الإسلامية وزعيمها الإسلامي وتاريخها الإسلامي فيرتعب ويرتبك ويعيد حساباته ألف مرة قبل استثارة الغضب، ويعتذر عما بدر منه من أخطاء..

رأينا ذلك مع أردوجان، ورأيناه مع قادة حماس، وسنراه مع كل من تمسك بدين الإسلام، وسار في طريق رسول الله ﷺ ..أما ما زاد من سعادتي حقًا فهو التفاعل الإيجابي من شعب تركيا مع موقف أردوجان، واستقباله بالآلاف في الجو البارد جدًا في المطار عند وصوله إلى تركيا، والمسيرات المؤيدة، والصحف المستبشرة، ولا يضره بإذن الله إنكار بعض العلمانيين، فجموع الناس معه، وقبل ذلك وبعده فالله ﷻ يؤيده ما دام سائرًا في طريقه..

لعله بقي بعد هذا التعليق استفسارات مهمة في أذهان القراء، لعل من أهمها: لماذا لا يقوم أردوجان بقطع العلاقات مع الكيان الصهيوني؟ وما سر العَلاقات

الحميمة بين تركيا والكيان الصهيوني على مدار السنوات السابقة؟ ومن هو البطل أردوجان؟ وكيف نشأ على هذه الصورة البهية في دولة علمانية عسكرية كتركيا؟

إنها أسئلة مهمة، والإجابة عليها تكشف لنا أمورًا كثيرة من الأحداث التي تجري حولنا، ونفهم بها جذور الصراع الإسلامي اليهودي، كما نفهم بها مستقبل العلاقات مع هذا الكيان الصهيوني البغيض، والإجابة عن هذه الأسئلة ستكون في المقالات القادمة بإذن الله..

اللهم وفِّق أردوجان إلى ما تحبه وترضاه، ويسِّر له أمره، وسدِّد خُطاه، وثبته بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة..

اللهم آمين!!

ونسأل الله ﷻ أن يعز الإسلام والمسلمين.

*****

(٨)
جذور العلاقة بين تركيا واليهود[1]

سؤال يتردد في أذهان الكثيرين من الغيورين على هذه الأمَّة العظيمة أمَّة الإسلام، وهو لماذا لا تقطع تركيا عَلاقتها مع الكيان الصهيوني خاصةً أن التوجُّه الإسلامي واضح الآن في تركيا؟ بل لماذا تُصِرّ تركيا على استمرار التعاون العسكري مع الكيان الصهيوني، والذي يشمل صفقات سلاح، وتدريبات مشتركة، إضافةً إلى تبادل معلومات استخباراتية؟!



لا شك أنه سؤال يراود أذهان الكثير والكثير..

والإجابة عليه صعبة، وتحتاج إلى عودة إلى الوراء لتحليل التاريخ، ودراسة جذور العلاقة، وفهم خلفيات هذا التعاون..

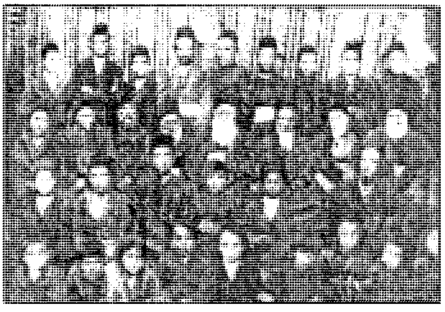
إنه علينا أن نعود لأكثر من مائة سنة لنفهم هذه الأمر! بل قد نحتاج إلى قراءة بعض الأحداث التي مرّ عليها مئات السنوات!!

لقد كانت الخلافة العثمانية خلافة إسلامية من الدرجة الأولى، وكان لها الكثير من الأيادي البيضاء على الأمَّة الإسلامية، وكانت تمثل القوة الأولى في العالم لأكثر من مائتي سنة متصلة، وفي أثناء قوتها قبلت أن تستضيف في ديارها العائلات اليهودية الهاربة من الأندلس بعد سقوطها سنة ١٤٩٢م، وأكرمتهم كرمًا بالغًا، وأعطت لهم بعض الإقطاعيات في مدينة سالونيك باليونان (وكانت تابعة للخلافة

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١١/ ٢/ ٢٠٠٩م.

العثمانية)، وعاش اليهود في كنف الخلافة العثمانية في غاية الأمن والاستقرار.

لكن مرت الأيام وبدأت الخلافة العثمانية في الضعف كدورةٍ طبيعية من دورات الحياة، وفي نفس الوقت تظاهر عدد كبير من اليهود بالإسلام، وعرفوا بيهود الدونمة، أي اليهود الذين ارتدوا عن اليهودية إلى الإسلام، لكن هؤلاء ظلوا على ولائهم الكامل لليهود وإن كانوا يحملون أسماءً إسلامية..



ووصل بعض هؤلاء اليهود إلى بعض المناصب الرفيعة في الدولة، وتعاونوا في السر مع إنجلترا وفرنسا واليهود لإسقاط الخلافة العثمانية، وتعطل مشروعهم بشدة عند ظهور السلطان عبد الحميد الثاني - رحمه الله - الذي حكم الخلافة العثمانية من سنة ١٨٧٦ إلى سنة ١٩٠٩م، ولكن قام هؤلاء اليهود بإنشاء جمعية تسمى «جمعية تركيا الفتاة» تدعو إلى الأفكار العلمانية والقومية، ومناهضة الفكرة الإسلامية بقوَّة، ثم ما لبث أن التحق بها عدد كبير من أفراد الجيش مُكوِّنين ما عُرف بحزب الاتحاد والترقي، وهو الجناح العسكري بجمعية تركيا الفتاة.. وكان الشيء الجامع لكل هؤلاء الأعضاء هو علمانيتهم الشديدة، وكراهيتهم العميقة لكل ما هو إسلامي، وولاءَهم الكامل لليهود والإنجليز والفرنسيين.



السلطان عبد الحميد الثاني

قام «حزب الاتحاد والترقي» بالانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني في سنة ١٩٠٩م وبدءوا في نشر الأفكار العلمانية في الدولة، ووضعوا في الخلافة أحد الخلفاء الضعفاء جدًّا، وهو محمد رشاد الملقَّب بمحمد الخامس، وحكموا البلاد من وراء الستار.

ظهرت بعد ذلك شخصية من أسوأ الشخصيات في التاريخ الإسلامي وهو

شخصية مصطفى كمال (الملقب بأتاتورك)، وكان علمانيًّا كارهًا للإسلام تمامًا، ومواليًا للإنجليز واليهود بشكل كامل، وساعده الإنجليز في قلب نظام الحكم في الخلافة العثمانية، بل وإلغاء الخلافة العثمانية تمامًا، وإنشاء الجمهورية التركية، والانفصال الكامل عن كل بلاد العالم الإسلامي، ثم قام مصطفى كمال أتاتورك بوضع دستور الدولة التركية، وفيه أكّد بوضوح وصراحة على أن دولة تركيا علمانية لا دين لها، وألقى الشريعة الإسلامية، وصاغ القانون من القانون السويسري والإيطالي، وأتبع ذلك بعدة قوانين منعت كل مظهر إسلامي في البلد؛ كإلغاء الحروف العربية من اللغة التركية، واستخدام اللاتينية بدلاً منها، وإلغاء منصب شيخ الإسلام، ومنع الأذان للصلاة باللغة العربية، ومنع الحجاب من المؤسسات الحكومية والجامعات والمدارس، وإغلاق عدد كبير من المساجد، وقتل أكثر من ١٥٠ عالمًا من علماء الإسلام، وغير ذلك من القوانين والمواقف التي رسّخت العلمانية في تركيا.


كمال أتاتورك

وبحكم أن مصطفى كمال أتاتورك كان قائدًا من قوّاد الجيش، فإنه أعطى للجيش التركي صلاحيات هائلة، ووضع في بنود الدستور ما يكفل للجيش التدخُّل السافر لحماية علمانية الدولة! وأصبحت العلمانية والبُعد عن الإسلام هدفًا في حد ذاته، وكان ذلك بالطبع بمباركة واضحة من الغرب الصليبي ومن الصهاينة في أنحاء العالم المختلفة، بل إن أفراد حزب الاتحاد والترقي - الذين صاروا قوادًا للجيش التركي - لهم جذور يهودية معروفة أو انتماءات ماسونية يعرفها الجميع.

سيطر أتاتورك وآلته العسكرية الجبارة على الإعلام والتعليم، ومن خلالهما غيّروا أفكار الشعب التركي تمامًا، وحوّلوه إلى العلمانية المطلقة، ولعدة عشرات من السنين..

وفي ١٩٤٨م قامت دولة الكيان الصهيوني «إسرائيل» في فلسطين، وفي سنة ١٩٤٩م اعترفت تركيا بدولة إسرائيل، وكانت هي الدولة الإسلامية الأولى التي تصدر هذا الاعتراف.



وقامت تركيا بعلاقات حميمة مع الكيان الصهيوني، وأعلن بن جوريون قيام حلف الدائرة ليحيط بالعالم العربي، وكان هذا الحلف مكوَّنًا من تركيا وإيران (أيام الشاه) وإثيوبيا، وهو بذلك يقيم علاقات مع دول لها حساسية خاصة في التعامل مع العرب، وخاصةً أن هذه الدول كانت تامة العلمانية في ذلك الوقت.

ومع مرور الوقت زادت أواصر العلاقة بين اليهود والأتراك العلمانيين، وتوثقت الأواصر العسكرية بين الطرفين بشكل مبالغ فيه، وليس هذا أمرًا مستغربًا في ظل معرفة الخلفية اليهودية لقيادة الجيش التركي من أيامه الأولى..

ولقد حرص أتاتورك وخلفاؤه من بعده على استقلال المؤسسة العسكرية بشكل كبير، ومِن ثَمَّ فرئيس الوزراء يكوِّن وزارته من عدة وزراء منهم وزير الدفاع، ومع ذلك فلا يحق لهذا الوزير أن يغيِّر شيئًا في منظومة الجيش، بل يعودُ ذلك إلى «المجلس العسكري الأعلى»، والذي يختار رئيس الأركان بعناية شديدة، ثم يُصدِّق على هذا الاختيار رئيس الجمهورية، ومع أن الدستور ينصّ على أن رئيس الجمهورية هو الذي يختار رئيس أركان الجيش إلا أن هذا لا يتم في أرض الواقع، وبذلك يصبح الجيش مؤسسة مستقلة لها قيادتها البعيدة عن سيطرة رئيس الدولة أو رئيس الوزراء!

وزاد النظام التركي من التعقيد في الأمور بإضافة ما يسمى بـ«مجلس الأمن القومي»، والذي يضم بعض العسكريين وبعض المدنيين، وذلك للتدخل بشكل

رسمي في الأمور السياسية، وحرص الجيش على أن يكون عدد العسكريين أكبر، وبذلك صار تدخل الجيش في السياسة والانتخابات والأحزاب أكثر من أي مؤسسة أخرى في الدولة.

كل هذه الأمور جعلت التوجُّه العلماني في الدولة أمرًا مفروضًا بالقوة، كما جعلت العلاقة مع اليهود موثّقة بشكل يصعب الفكاك منه..

ولم يكن الجيش يتردد في أن يقوم بانقلاب عسكري على الحكومة إذا ظهرت أي بوادر احترام للإسلام، أو سماح له بالظهور! ولقد قام الجيش بانقلاب دمويّ خطير سنة ١٩٦٠م للإطاحة بحكومة عدنان مندريس، الذي لم يكن إسلاميًّا، إلا أنه سمح لبعض القوى الدينية الإسلامية بالحركة، فاعتبر الجيش ذلك خرقًا لعلمانية الدولة، وقاموا بانقلاب، وحكموا بالإعدام على رئيس الدولة عدنان مندريس، وكذلك على ثلاثة من خاصَّته!

وحدث انقلابان آخران في سنة ١٩٧١م وسنة ١٩٨٠م، وكان الذي قام بالانقلاب الأخير هو الجنرال كنعان إيفرين، الذي وضع عدة قوانين في الدستور التركي تعطي صلاحيات أكبر وأكبر للجيش للسيطرة على أي دوافع إسلامية في الدولة.

لقد كانت حربًا ضروسًا شنّها قادة علمانيون كارهون للإسلام تمامًا، وزادوا في كراهيتهم للإسلام على الصليبيين واليهود، وإن كانوا يحملون أسماءً إسلامية!!

في ظل هذه السيطرة العسكرية العلمانية نستطيع أن نفهم أن القرار في تركيا ليس خالصًا في يد رئيس الدولة أو رئيس الوزراء، وأنه ليس بالضرورة أن تكون مقنعًا حتى تنفذ ما تريد، بل إن الجيش يُمِلِي إرادته بصرف النظر عن الحُجَّة والدليل، وهنا تصبح كل الرغبات الإصلاحية في مهبّ الريح إذا ما أراد الجيش العلماني أن يقف ضد الإصلاح.. ومِن ثَمَّ فعلى المحللين للأوضاع في تركيا أن يراعوا هذه الأمور عندما يتوقعون قرارًا من رئيس الوزراء أو غيره، كذلك عليهم أن يفهموا أن ارتباط

الجيش التركي بالصهاينة هو ارتباط أيدلوجي فكري، وليس فقط قائمًا على المصالح.

ولذلك فإنه إذا كان للعَلاقات التركية الصهيونية أن تنقطع فإن ذلك سيتطلب وقتًا كافيًا، إما لتغيير الدستور لتقليص سيطرة الجيش، وإما لتغيير الجيش نفسه!!

كان هذا هو تدبير أتاتورك وحلفائه من اليهود والإنجليز والصليبيين، ولكن كان هناك تدبير آخر لم يطلع عليه كثير من المراقبين، وهو تدبير رب العالمين!

إذ إنه مع كل هذا الضغط العلماني في الجيش والإعلام والتعليم والسياسة إلا أن الإسلام ظهر من جديد في هذه الدولة الإسلامية الأصيلة، وكان كنباتٍ أخضر جميل نبت في صخور صمّاء لا تبدو عليها آثار الحياة!

كيف حدث هذا؟ وكيف تغيَّر الشعب؟ وكيف ظهر أربكان؟ وكيف وصل أردوجان لمنصب رئيس الوزراء؟ وماذا كان ردّ فعل المؤسسة العسكرية؟ وما هو المتوقع لمستقبل العلاقة بين رئيس الأركان العلماني ورئيس الوزراء الإسلامي؟!!

هذه أسئلة تطول الإجابة عنها، وهي موضوع مقالنا القادم.

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين!!

*****

(٩)
قصة الحركة الإسلامية في تركيا[1]

لعلّ من أكثر الأمور عجبًا أن نشهد صحوة إسلامية حقيقية في بلد شديد العلمانية مثل تركيا، فالعلمانية في تركيا غير العلمانية في أوربا ذاتها؛ لأن الأوربيين في علمانيتهم أرادوا فقط فصل الدين عن السياسة، بينما العلمانيون في تركيا لم يكتفوا بذلك، إنما بنوا علمانيتهم على أساس محاربة الدين في أصوله وفروعه، وفي جوهره ومظهره، وهذا من أيام أتاتورك وإلى زماننا الآن، والذي يتولى كبر هذا الأمر هو الجيش التركي، كما فصّلنا في المقال السابق.

ومع هذه العلمانية الشديدة إلا أن الإسلام ظل باقيًا في هذه البلاد العظيمة، وهذا أمر لافت للانتباه حقًّا، وإن كان يدل على شيء فهو يدل على أن هذه الأمة الإسلامية أمة كريمة لا تموت، وأن بقاء الإسلام أمر حتمي لا يمكن أن يقاومه إنسان، كما يدل فيما يدل على أصالة الشعب التركي، وعلى وجود رموز إسلامية باهرة ظلت تحمل الراية في مواجهة الطاغوت أتاتورك، ومن جاء بعده من حماة العلمانية في تركيا الإسلامية.



لقد كان سقوط الخلافة العثمانية في سنة ١٩٢٤م سقوطًا مروِّعًا كارثيًّا، ليس فقط لغياب رمز الخلافة التي كانت تجمع المسلمين، ولكن لغياب من ينادي بإسلامية قضايا المسلمين، ولم يعد هناك صوت مسموع إلا

---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٩/ ٢/ ٢٠٠٩م.

أصوات القوميين والعلمانيين، ليس في تركيا فقط، ولكن في كل بلاد العالم الإسلامي، وبلا استثناء.

ومع هذا فلم يكن هذا السقوط بلا مقاومة، لقد ظهرت في تركيا بعض الرموز الإسلامية الرائعة التي حرصت على حمل اللواء حتى في أشد عصور الظلام والقهر.

لقد قامت حركة الشيخ سعيد بيران للمناداة بعودة الخلافة الإسلامية، ومناهضة القوانين العلمانية التي شرعها أتاتورك وحزبه، ولكن للأسف الشديد فإن الطاغية أتاتورك جابه هذه الحركة بدرجة كبيرة جدًّا من العنف، وأعدم الشيخ سعيد بيران، وعددًا كبيرًا من أتباعه، ونفى أعدادًا أخرى إلى خارج البلاد؛ ليحافظ على علمانية الدولة منذ أيامها الأولى.

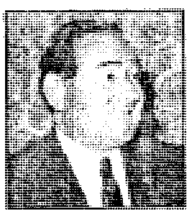
والعجيب في أمر الشيخ سعيد بيران -رحمه الله- أنه كان من صوفية الأتراك، وكان من أتباع الطريقة النقشبندية، وهو بذلك يعطينا انطباعًا مختلفًا تمامًا عن الصوفية الذين نعرفهم؛ فهو يفهم واقعه تمامًا، ويعرف في أمور السياسة، ويجابه الطغاة الظالمين، ويقول كلمة الحق، ويقود تمردًا مسلحًا، ويُقبِل على الإعدام بشجاعة، ولا يُظهِر اعتزالاً أو بُعدًا عن قضايا أمته.. وهذا يدعونا إلى إعادة النظر في ملف الصوفية في تركيا بالذات، وحقيقة الأمر أن الخلافة العثمانية منذ أيامها الأولى، وهي تتبنى الطرق الصوفية المختلفة، وليس عجيبًا أن تعرف أن كبار سلاطين الخلافة العثمانية مثل محمد الفاتح ومراد الثاني وبايزيد الصاعقة وسليم الأول وغيرهم كانوا من أتباع الطرق الصوفية، والواضح أن الصوفية في تركيا هي مرادف لكلمة الإسلام، وليس مقصودًا منها البدع والمنكرات التي نراها في كثير من بلاد العالم الإسلامي، ولا يعني هذا أن الصوفية في تركيا بلا أخطاء أو بدع، ولكنها بالتحقيق النزيه تعدّ من أفضل الطرق الصوفية فهمًا للدين على مستوى العالم الإسلامي، وهي تعني عند كثير من أتباعها هناك تزكية النفس، وتطهيرها من الآثام، والاتّباع الكامل لرسول الله ﷺ.

ولم تمُتِ الحركة الإسلامية بإعدام الشيخ سعيد بيران، بل إنها ازدادت قوة


بديع الزمان النورسي

بظهور نجم صوفي جديد من أتباع الشيخ سعيد بيران، وهو العلاّمة الكبير، والمجدِّد العظيم بديع الزمان سعيد النورسي، الذي أعلن بوضوح رفضه لمبادئ العلمانية الوقحة التي أتى بها أتاتورك، فنُفِي إلى مدينة نائية من مدن تركيا هي بوردو، ثم إلى مدينة أورفة، وظل في المنفى طيلة حياته حتى مماته، وذلك من سنة ١٩٢٥م إلى سنة ١٩٦٠م (٣٥ سنة متصلة)، ومع ذلك فرسائله إلى أتباعه في داخل تركيا لم تنقطع، ومؤلفاته لم تتوقف، وهو أحد أهم أسباب انتشار الإسلام في تركيا، وهو من العلامات الفارقة في تاريخ الأمة الإسلامية؛ فقد كانت كلماته تنفذُ إلى القلب والعقل، فتثبِّتُ المسلمين في تركيا على الرغم من القهر الشديد لأتاتورك وأتباعه.. وفي العموم فإن قصة بديع الزمان النورسي تحتاج إلى دراسة خاصة، وإلى تعمق ووعي؛ لأن آثاره الحميدة على الشعب التركي ما زالت موجودة إلى الآن.

وفي خطوة لترسيخ العلمانية بشكل أكبر قامت الحكومة الأتاتوركية سنة ١٩٣٠م (بعد سقوط الخلافة العثمانية بست سنوات) بإغلاق مدارس الأئمة والحفّاظ التي كانت منتشرة أيام الخلافة الإسلامية، والتي كانت تقوم بتخريج الطلبة المتخصصين في العلوم الدينية، لكن بعد وفاة مصطفى كمال أتاتورك سنة ١٩٣٨م عادت المطالبة من جديد بفتح هذه المدارس، وخاصة في القرى التي ما زالت تحتفظ بشيء من تراثها الإسلامي الأصيل، وتم ذلك بالفعل في سنة ١٩٤٧م، وفي نفس السنة تم إنشاء بعض الجمعيات الإسلامية على استحياء لتنادي ببعض المظاهر الإسلامية البسيطة، وذلك مثل جمعية الإسلام، وجمعية التطهير.

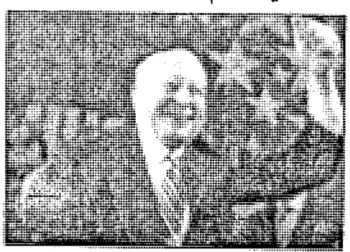

عدنان مندريس

في سنة ١٩٥٠م حدث تغيرٌ مُهِمٌّ في الحكومة التركية صعد على إثره عدنان مندريس إلى رئاسة الوزراء في تركيا، وظل في منصبه إلى سنة ١٩٦٠م، ولم يكن عدنان مندريس إسلاميًّا ولكنه كان وطنيًّا يُظهِر إمكانية التعامل مع كافة القوى من

أجل مصلحة تركيا. وفي هذه الظروف نشط الاتجاه الإسلامي نسبيًّا، وبدأت هناك بعض المطالبات بحريات أكثر وأكثر للتيار الديني، وزادت أعداد مدارس الأئمة والوعاظ، وبرز دور علماء الدين بشكل أوضح.

لم تكن هذه التغيرات خافية بطبيعة الحال عن الجيش التركي الذي يقوم بدور حامي العلمانية والأتاتوركية، فقام الجيش بانقلاب دموي رهيب في سنة ١٩٦٠م، ونفذوا حكم الإعدام في عدنان مندريس، وكذلك في جلال بايار (مؤسس الحزب الديمقراطي الذي ينتمي إليه عدنان مندريس) وفي عدد من أتباعه، مع التصدي بمنتهى العنف للتيارات الإسلامية المتنامية، وكانت هذه صدمة كبيرة للحركة الإسلامية في تركيا، خاصةً أنها جاءت في وقت متزامن مع وفاة العلاّمة الفذّ بديع الزمان النورسي في منفاه بمدينة أورفة في نفس السنة .ولكي ندرك مدى الحقد الذي كان في قلوب العسكريين ضد بديع الزمان النورسي، يكفي أن نعلم أنهم هجموا على قبره، وأخذوا جثته حيث دفنوها في مكان غير معلوم، ولا يعرفه أحدٌ من الأتراك حتى يومنا هذا!

ظل الوضع على هذه الصورة القاتمة إلى أن ظهرت شخصية محورية في تاريخ تركيا، وهو القائد الإسلامي الجليل نجم الدين أربكان، الذي قام بتأسيس حزب «السلامة» سنة ١٩٧٢م، وكان ينادي بإقامة «النظام العادل»، ويبرز آفات العلمانية التركية المتشددة، ولم يكن حزبه الأول «السلامة» واضح الإسلامية؛ لكي لا يُقتل في مهده، ولكن كان يبدو إصلاحيًّا وطنيًّا.


نجم الدين أربكان

وبعد تأسيس هذا الحزب الجديد التقى نجم الدين أربكان مع رجب طيب أردوجان، وكان طالبًا في كلية الاقتصاد والسياسة بمرمرة، وأعجب به إعجابًا شديدًا وضمه إلى حزبه السلامة؛ ليبدأ أردوجان خطواته السياسة مع أستاذه الموقَّر أربكان.

لم تكن هذه التحركات بعيدة عن أعين النظام التركي العلماني، فقام بحل حزب السلامة في سنة ١٩٨٠م، وظنوا أن الأمر انتهى بهذا القرار، لكن المُخَضْرَم أربكان عاد وأنشأ حزبًا آخر سنة ١٩٨٣م أسماه حزب الرفاه، والتي كانت توجهاته إسلامية بشكل واضح..

في هذا الحزب الجديد لمع نجم أردوجان بسرعة، وصار أردوجان رئيسًا لفرع الحزب في إسطنبول سنة ١٩٨٥م (وكان عمر أردوجان آنذاك ٣١ سنة فقط).

انتشرت فروع حزب الرفاه بسرعة في تركيا، وبدأت صحوة إسلامية حقيقية في ربوع هذا البلد الإسلامي العريق، ولم تعد هذه الصحوة في القرى فقط، بل وصلت إلى المدن، بل وأصبحت السيطرة الكاملة لهذا الحزب الإسلامي في أهم مدينتين في تركيا، وهما إسطنبول وأنقرة.



وفي سنة ١٩٩٤م حقق الحزب مفاجأة كبيرة بفوزه في انتخابات البلدية في عدة مدن، والأعظم من ذلك والأعجب هو فوز أردوجان بمركز رئيس بلدية اسطنبول!!

لقد كانت مفاجأة مدوِّية أن يصعد إسلامي إلى رئاسة بلدية إسطنبول؛ مما يشهد أن الانتخابات في تركيا نزيهة ليس فيها التزوير المشهور في البلاد العربية، وحقق أردوجان في منصبه الجديد إنجازات هائلة؛ ففي خلال أربع سنوات (من سنة ١٩٩٤م إلى سنة ١٩٩٨م) استطاع أن ينتشل المدينة من الإفلاس، وأن يحلَّ مشكلات كثيرة مثل انقطاع الكهرباء والمياه، واستطاع أن يحوِّل المدينة من مدينة تتفشى فيها القذارة والإهمال إلى واحة خضراء متميزة، وعندما سألوه عن السر وراء هذا النجاح منقطع النظير، قال في وضوح وشجاعة: «لدينا سلاح أنتم لا تعرفونه، إنه الإيمان، ولدينا الأخلاق الإسلامية، وأسوة رسول الإنسانية عليه الصلاة والسلام». وهذه الروح العالية والإنجازات الباهرة أكسبت أردوجان شعبية كبيرة

جدًّا في تركيا، بل إنها كانت من أبلغ الوسائل للدعوة إلى الإسلام.

وفي سنة ١٩٩٥م حدثت مفاجأة كبرى بفوز حزب الرفاه بأغلب المقاعد في الانتخابات البرلمانية في تركيا (١٥٨ مقعدًا من أصل ٥٥٠ مقعدًا)، ولكن الرئيس العلماني سليمان ديميريل عهد إلى الأحزاب العلمانية بتكوين ائتلاف ضد حزب الرفاه، ومع ذلك شاء الله ﷻ أن ينهار هذا الائتلاف ليصعد نجم الدين أربكان إلى منصب رئيس الوزراء في سنة ١٩٩٦م، ويصبح أول رئيس وزراء إسلامي في تركيا منذ سقوط الخلافة العثمانية سنة ١٩٢٤م.

حدثت أزمة كبرى في داخل الجيش التركي، وفي داخل المؤسسة العلمانية، وكان من رأي بعض قادة الجيش أن يتركوا أربكان في منصبه حيث كانوا يتوقعون فشله، وعدم نجاح مشروعه الإسلامي، وبذلك تصل رسالة سلبية إلى الرأي العام في تركيا، لكن حدث ما لم يتوقعوه، ونجح أربكان خلال عام واحد في خفض ديون تركيا من ٣٨ مليار دولار إلى ١٥ مليون دولار، واقترب من حل المشكلة الكردية العويصة، ونجح في إقامة علاقات دبلوماسية قوية على الساحة العالمية، وتقدم الاقتصاد التركي خطوات واسعة، وبات واضحًا تمامًا أن السر في هذا النجاح هو الإسلام!

شعر الجيش التركي بالخطر العظيم فأقدم على الخطوة الآثمة وهي الانقلاب العسكري على حكومة أربكان، ودخلت الدبابات التركية إلى شوارع أنقرة وإسطنبول، وأجبر أربكان على الاستقالة، وتم حل حزب الرفاه، وقُدِّم أربكان إلى المحاكمة العسكرية بتهم كثيرة أهمها انتهاك علمانية الدولة، وصدر القرار بمنعه من مزاولة النشاط السياسي لمدة خمس سنوات، وفي نفس الوقت قُدِّم أردوجان رئيس بلدية إسطنبول إلى المحاكمة بتهمة إثارة الفتنة، وكان من أدلة الحكم ضده أنه قال بعض الأبيات الشعرية في إحدى خُطَبِهِ وفيها «المساجد ثكناتنا، والقباب خوذاتنا، والمآذن حِرابنا، والمؤمنون جنودنا». وصدر القرار بسجن أردوجان عشرة أشهر،

ودخل بالفعل السجن لمدة أربعة أشهر، ثم أفرج عنه لحسن السير والسلوك! كما تم منعه من مزاولة النشاط السياسي خمس سنوات هو الآخر.

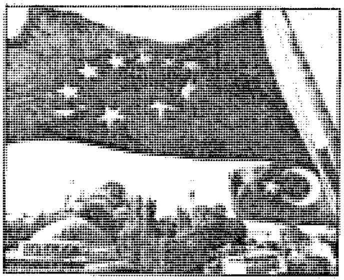
لم ييأس أربكان وأردوجان من هذه الصدمات، فأسس أربكان حزبًا جديدًا أسماه حزب الفضيلة سنة ٢٠٠٠م، ولم يكن هذا الحزب باسمه؛ لأنه ممنوع من مزاولة العمل السياسي لمدة خمس سنوات، إنما كان باسم أحد أهم أتباعه وهو قوطان، وانضم إلى هذا الحزب أردوجان وعبد الله جول (الرئيس التركي الحالي).


أردوجان وعبدالله جول

وجد أردوجان وجول أن مصير الحزب سيكون كسابقه، ومن ثَمَّ قادا حركة إصلاحية في داخل الحزب، بل وترشحا ضد قوطان في انتخابات داخلية في الحزب، لكن وقوف أربكان خلف قوطان أدى إلى نجاح قوطان؛ مما دفع أردوجان وجول إلى ترك الحزب مع كامل تقديرهما لأستاذهما وأستاذ الحركة الإسلامية السياسية في تركيا نجم الدين أربكان.

قام أردوجان وجول بتأسيس حزب جديد سنة ٢٠٠١م، وهو حزب العدالة والتنمية، ونفّذا فيه مشروعهما الإصلاحي، ووجد هذا الحزب قبولاً واسعًا في الأوساط التركية الشعبية؛ مما أدى إلى مفاجأة ثقيلة جدًّا سنة ٢٠٠٢م حيث فاز حزب العدالة والتنمية بأغلبية مطلقة في الانتخابات البرلمانية، حيث حصل على ٣٦٨ مقعدًا من أصل ٥٥٠ مقعدًا، وأوكل إليه تشكيل الوزارة برئاسة عبد الله جول؛ وذلك لأن رئيس الحزب أردوجان كان في فترة المنع من مزاولة النشاط السياسي، وبعد قليلٍ استطاع البرلمان أن يضغط لتغيير الدستور ليصعد رئيس الحزب أردوجان إلى منصب رئيس الوزراء في تركيا، وذلك في نفس السنة ٢٠٠٢م.

وفي سنة ٢٠٠٣م زال الحظر عن أربكان، فأسس حزبًا جديدًا هو السعادة، لكن الشياطين العلمانيين كانوا له بالمرصاد، وفعلوا ما توقعه أردوجان قبل ذلك، حيث تربصوا به واعتقلوه بتهمة اختلاس حزب الرفاه المُنحَلّ، وتم الحكم عليه بالسجن لمدة سنتين، مع أنه كان قد تجاوز السابعة والسبعين من عمره!



وفي سنة ٢٠٠٦م أكد أردوجان شعبيته بالفوز مرة أخرى في انتخابات البرلمان، بحصوله على ٣٣١ مقعدًا من أصل ٥٥٠ مقعدًا؛ مما يثبت بوضوح أن الشعب التركي أصبح طالبًا للإسلام بشكل يهدِّد العلمانية بشكل صارخ.

أين الجيش التركي في هذه التغييرات الجديدة؟!

قد يفكِّر الجيش التركي في التعامل مع ملف أردوجان مثلما تعامل مع ملف أربكان، ولكن الواقع الذي نراه يرجِّح خلاف ذلك!

فالرأي العام التركي - بل والإسلامي في دول العالم الإسلامي المختلفة - قد يهدِّد سلامة وأمن الجيش التركي إذا أقدم على إزاحة رجل له هذه الشعبية الجارفة، كما أن رغبة القادة الأتراك في الجيش وفي غيره في الالتحاق بالاتحاد الأوربي تضع عليهم قيودًا حقيقية في التعامل مع ملف أردوجان؛ لأن تدخل الجيش التركي في اختيار الشعب سينسف كل الجهود السابقة للالتحاق بركب الاتحاد الأوربي. وأضف إلى ذلك الخطورة الاقتصادية الكبيرة لتدخل الجيش، وليس ببعيد ما حدث من انهيار البورصة التركية بنسبة ١٠٪ لمجرد تقديم أردوجان في عام ٢٠٠٨م للمحاكمة للطعن في شرعية حزبه، مع أن المحكمة حكمت في النهاية لصالح أردوجان، وليس ببعيد أيضًا أن تركيا في ظل حكومة أردوجان قد انتقلت اقتصاديًّا من المرتبة ١١٥ على مستوى العالم في مسألة جذب الاستثمارات إلى المرتبة الثالثة والعشرين!

إننا لا نضمن الجيش التركي ولا العلمانيين فيه، ولكننا نضمن ونطمئن تمامًا إلى أن الله ﷻ لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وإلى أن الإسلام قادمٌ قادم، وإلى أن البركات التي يُنزِلها الله ﷻ على الذين اختاروا منهجَ الإسلام أكثر وأعظم من أن تُحصى بورقة وقلم، أو تُحسب بالطرق المادية.

إنه يكفينا أن نتدبر في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين!!

*****

(١٠)
المصالحة بين فتح وحماس (١)

تنشغل الأوساط الفلسطينية والعربية والإسلامية الآن بمسألة التصالح بين حركتي فتح وحماس، ولا ينكر أحدٌ أهمية الوَحْدة والائتلاف لكي يمكن تحقيق نتائج إيجابية، والسؤال الذي يختلف عليه الناس كثيرًا هو: هل هذا التصالح ممكن؟ وهل إذا تم يمكن أن يكون دائمًا، أم أنه سينهار بعد فترة محدودة؟!


مشعل و عباس

إننا لكي نستطيع الإجابة عن هذا السؤال لا بد لنا من العودة إلى جذور المشكلة، ولا بد لنا من فَهْم تاريخ كلٍّ من الحركتين، كما ينبغي لنا مراجعة المناهج التي يتبناها كل فريق، وعندها يمكن أن نتوقع سير الأمور..

لقد تأسست حركة فتح في نهاية الخمسينيات، وكانت في بدايتها حركة كفاح لتحرير فلسطين من العدو الصهيوني، وتبنّت الكفاح المسلح ابتداءً من سنة ١٩٦٥م، وكانت ترى أن الصهاينة لا حقَّ لهم في أرض فلسطين، وأنهم معتدون مغتصبون، ومن ثَمَّ فلا يمكن الاعتراف بدولتهم..

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٦/ ٢/ ٢٠٠٩م.

ثم قامت الجامعة العربية بمحاولة استيعاب فتح في المنظومة الحكومية العربية، فأنشأت كيانًا موازيًا سمّته منظمة التحرير الفلسطينية، ثم بعد محاورات وضغوط كثيرة قامت بدمج الكيانين معًا؛ منظمة فتح ومنظمة التحرير الفلسطينية تحت قيادة ياسر عرفات.

كانت توجُّهات فتح في بداية الأمر فيها شيء من الإسلامية، وإن لم يكن صريحًا، لكن بعد الاحتواء من قِبل الجامعة العربية تحوّلت مبادئها إلى العلمانية والاشتراكية تدريجيًّا، وبالتالي خرج الإسلام كُلِّيَّة من معاييرها، بل إنهم احتفلوا - على سبيل المثال - في سنة ١٩٧٠م أسبوعًا كاملاً في ذكرى ميلاد الزعيم الشيوعي لينين!!

لكن هذا التوجُّه العلماني لم يوقف الحركات المسلحة ضد الكيان الصهيوني، فظلَّ في ارتفاع وانخفاض، وقوة وضعف، وتفاعل معه الشارع الفلسطيني، وكذلك الشارع العربي بشكلٍ كبير..


مباحثات أوسلو والاعتراف بإسرائيل

لكن حدث تحوُّل محوري خطير في أوائل التسعينيات عندما سئمت حركة فتح هذا الجهد الكبير، وشعرت أن الطريق أطول مما تخيلت، إضافةً إلى الضغوط الأمريكية والأوربية، وكذلك الضغوط العربية الموالية للغرب، فقَبِلَتْ في مؤتمر مدريد للسلام سنة ١٩٩١م، وفي مباحثات أوسلو سنة ١٩٩٣م بما لم تقبله طوال السنوات السابقة، فوافقت على الاعتراف بدولة إسرائيل، وعلى أحقيتها أن تعيش في سلامٍ وأمان في أرض فلسطين، وتبادلت الرسائل في هذا المضمون مع الكيان الصهيوني، بل وقامت بحذف البنود التي تحضُّ على العداء لإسرائيل من دستورها، وحذفت البند الذي يُلغي الاعتراف بالكيان الصهيوني.. كلّ هذا التنازل في سبيل وعدٍ مكذوب بإقامة دولة فلسطينية على الضفة الغربية وغزة، مع أن هذا الوعد يَحْرِمُ - في نفس الوقت - هذه الدولة من

كل مقومات الحياة؛ فلا جيش ولا سلاح ولا مطارات ولا جوازات سفر ولا مالية مستقلة.

والسؤال: لماذا وافق الكيان الصهيوني وأمريكا والغرب على إعطاء حركة فتح أو منظمة التحرير الفلسطينية هذه الدولة الوهميَّة؟ إن الثمن كان بوضوحٍ هو ضرب المقاومة الإسلامية المتنامية في الشارع الفلسطيني، والتي تتزعمها بقوة حركة المقاومة الإسلامية حماس!

إذن ثمن الدولة الفلسطينية ـ بوضوح ـ هو ضرب حماس، وإن لم يتم هذا الضرب فلا وعد ولا دولة ولا سلطة!

وهذا يجرُّنا للحديث عن حماس ونشأتها..

تعتبر حركة حماس هي الامتداد الطبيعي لحركة الشيخ عزّالدين القسّام الذي قاد الجهاد المسلح ضد الإنجليز واليهود، واستشهد في سنة ١٩٣٥م، وهو سوري الأصل، وكان يعمل في تنسيق مباشر مع الإمام حسن البنّا مؤسس حركة الإخوان المسلمين في مصر؛ ولذلك فالعلاقة بين الحركتين القسام والإخوان كانت قوية جدًّا، حتى أصبح – مع مرور الوقت – أفراد الحركة القسّامية أعضاءً في جماعة الإخوان المسلمين فرع فلسطين، وازدادت هذه العلاقة قوة بعد المشاركة الإخوانية الإيجابية الكبيرة في حرب ١٩٤٨م، وبعد قدوم الكتائب الإخوانية من مصر والأردن وسوريا والعراق لحرب اليهود في أرض فلسطين.


الشيخ عزالدين القسّام

لكن – للأسف الشديد – تعرضت حركة الإخوان المسلمين لصدمة كبيرة نتيجة تكاتف الحكومات العميلة للإنجليز عليهم؛ مما أدى إلى اغتيال الإمام حسن البنّا مؤسس الحركة في فبراير ١٩٤٩م وصدور قرار بحلّ الجماعة، وليس هذا فقط

بل تفاقم الأمر عند قيام الثورة المصرية سنة ١٩٥٢م، حيث تخلَّى جمال عبد الناصر عن وعوده لجماعة الإخوان المسلمين، وتنكّر لمساعدتهم له في الثورة، وقام بمقاومة دموية شديدة لهم موجِّهًا ضربات شديدة العنف لأعضائها، ومن أهمها ضربات سنة ١٩٥٤م وسنة ١٩٦٥م، هذا إضافةً إلى انتشار المدّ الاشتراكي والقومي الذي كان يتزعمه جمال عبد الناصر، ومناهضة كل فكرة إسلامية على الساحة.

أدت هذه الضربات المأسوية إلى تعطُّل مسيرة العمل الإسلامي بشكل كبير؛ فالإسلاميون إما في السجون، وإما هربوا إلى بلاد العالم الواسعة، ولم يكن هذا التأثر في مصر وسوريا فقط، بل وفي بلاد العالم الإسلامي ومنها فلسطين..

ومع ذلك فالإسلام لا يموت أبدًا..

قد يضعف المسلمون فترةً، ولكن دائمًا يظهر من يحمل اللواء..

قام الشيخ العظيم والشهيد الجليل أحمد ياسين بإعادة نشاط حركة الإخوان المسلمين في أرض فلسطين، ولكن تحت أسماء مختلفة حتى لا يتعرض أفرادها للقهر الممارس ضد الجماعة في البلاد العربية، وكان من هذه الأسماء التي عمل تحتها «المرابطون على أرض الإسراء»، و«حركة الكفاح الإسلامي».



الشيخ الشهيد / أحمد ياسين

وفي عام ١٩٨٧م قام الشيخ أحمد ياسين يعاونه الشهيد الدكتور عبد العزيز الرنتيسي والقيادي الكبير محمود الزهّار بالإعلان عن تأسيس حركة المقاومة الإسلامية، والتي تختصر في كلمة «حماس»، «ح» = حركة، «م» = مقاومة، «اس» = إسلامية. وهذا في الواقع ليس تأسيسًا، إنما هو إعلان عن كيان مؤسَّس قبل

ذلك بزمنٍ طويل.. وكان هذا الإعلان متزامنًا مع الانتفاضة الفلسطينية الأولى سنة ١٩٨٧م، والتي تزعمتها بقوة حماس.

ومنذ الأيام الأولى للإعلان عن حماس، وهي تتبنى المنهج الإسلامي بوضوح، وتعلن في صراحة أنها لا تعترف بالكيان الصهيوني، بل تراه عدوًّا مغتصبًا للأرض، وأن الطريق الوحيد لتحرير فلسطين هو الجهاد في سبيل الله.

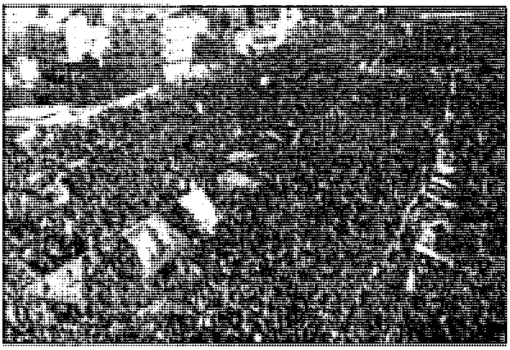
اصطدمت الحركة فكريًّا بذلك مع جماعة فتح أو منظمة التحرير الفلسطينية التي تتبنى المناهج العلمانية والاشتراكية، خاصةً أن منظمة التحرير تتلقى دعمًا حكوميًّا عربيًّا من كل الحكام العرب تقريبًا، بينما يتربص كل هؤلاء الحكام بحركة الإخوان المسلمين التي تنبثق حماس منها، ومع ذلك فالأمور سارت في شكلٍ غير عنيف عدة سنوات، حتى تم الاتفاق بين الكيان الصهيوني مدعومًا بالغرب وأمريكا على ضرب حركة المقاومة الإسلامية حماس في فلسطين؛ لأنها تؤثر تأثيرًا موجعًا في الصهاينة، إضافةً إلى التعاطف الشعبي الكبير الذي ظهر تجاهها من أفراد الأمة الإسلامية في كل مكان؛ مما أرهب الصهاينة وأعوانهم، ودفعهم إلى هذا الاتفاق.

وبالفعل قامت السلطة الفلسطينية سنة ١٩٩٤م بموافقة صهيونية، وبدعم لأفراد شرطتها البالغ عددهم ٤٠ ألف شرطي، وكان الدور الأول لهذه الشرطة هو السيطرة على حركة حماس، والقبض على كوادرها، وملء السجون الفلسطينية بالمجاهدين الإسلاميين.. ومع هذا لم تنجرّ حماس إلى صدام داخلي، وتعاملت مع الموقف بهدوء نفسي عجيب، وبترفُّع عن الصدام الأهلي الداخلي، ولكن هذا لم يزد السلطة الفلسطينية إلا شدةً وضراوة على الحركة.

وفي سنة ٢٠٠١م قامت حماس بالانتفاضة الفلسطينية الثانية، التي كانت في منتهى القوة، وتوالت العمليات الاستشهادية، وفشل اليهود، وكذلك فشلت السلطة الفلسطينية في إيقاف المد الإسلامي، وتزايد أعضاء الحركة الإسلامية حماس، وتعاطف معها الشارع الفلسطيني والإسلامي؛ مما دفع الصهاينة إلى اغتيال

مؤسسها العظيم الشيخ أحمد ياسين، وبعد أقل من شهرٍ قاموا باغتيال خليفته الشهيد عبد العزيز الرنتيسي، كان هذا في مارس وإبريل سنة ٢٠٠٤م، ومع هذا ازدادت الحركة قوةً ونشاطًا؛ مما يثبت أن الإسلام قوة كامنة لا يمكن أن يقف أمامها عدوٌّ أو عميل.

وكانت هناك مشكلة كبيرة وهي أن السلطة الفلسطينية بقيادة فتح هي التي تمثل الفلسطينيين في المحافل الدولية، ومن ثَمَّ ترتبط باتفاقات ومعاهدات تضع الشعب الفلسطيني في حرجٍ بالغ، إضافةً إلى أن الكوادر الكبرى في فتح استباحت أموال التبرعات التي تذهب إلى الفلسطينيين، فصاروا من كبار المليونيرات، بينما يعاني الشعب الفلسطيني من الجوع والألم.. كل هذا دفع حماس إلى أن تحاول حل الموضوع بشكل سلمي تجنُّبًا لإراقة دماء فلسطينية؛ فقررت الدخول في انتخابات المجلس التشريعي سنة ٢٠٠٥م، لتحدث النتيجة الطبيعية وليست المفاجئة، وتفوز حماس بأغلبية ساحقة؛ مما يتبعه تشكيل حكومة برئاسة إسماعيل هنية، أحد كبار كوادر حركة حماس الإسلامية. ومع أنّ حماس كانت تكتسح الانتخابات إلا أنها كوَّنت الحكومة بتوازن عاقل جدًّا، أعطت فيه بعض المناصب لقياديي فتح حتى تستقر الأمور في داخل فلسطين.. ثم إن حماس بدأت تضع يدها على ملفات الفساد، واكتشف العالم جرائم الاختلاس والرشوة والنهب التي لا تخطر على بال.. كما أن قيادات فتح لم تقبل بضياع السلطة، ومن ثَمَّ فقد بدأت في مواجهة صِداميَّة مع حماس رافضةً تمامًا التعاون معها، مع أن القيدة الآن في يد حماس، وحدث صدام دمويّ بين الكوادر الأمنية لحركة فتح وبين الشرطة التابعة لحماس في قطاع غزة، والتي من المفترض أن القانون يؤيدها ولا يؤيد الكوادر الفتحاوية التي لا صفة شرعية لها في هذا الوقت،



شعبية حماس

ونتيجة هذا الصدام أعلن الرئيس الفلسطيني محمود عباس - وهو رأس حركة فتح - حلَّ حكومة حماس وسلب إرادة الشعب الفلسطيني وتكليف سلام فياض بتشكيل حكومة طوارئ، ولم تقبل حماس بالطبع بهذه السرقة الفاضحة، وأعلنت أنها لن تتخلى عن قيادة قطاع غزة «حيث القوة الرئيسية لحماس» ، بينما استطاعت حركة فتح التغلب على الأمور في الضفة الغربية حيث الكثافة الفتحاوية، ومن يومها والخلاف دائم..

وحتى في الحرب الأخيرة على غزة كانت حركة فتح - للأسف الشديد - تميل بقوة للكيان الصهيوني، وتترقب الفرصة التي يقوم فيها اليهود بإسقاط حكومة حماس، لتدخل بعد ذلك قيادات فتح إلى قطاع غزة على دبابات الصهاينة، بل إن مسئولاً رفيع المستوى في قيادة فتح صرّح عند وقف اليهود للقتال أن هذا خطأ كبير، وبقاء حماس في السلطة هو أمر يسيء لنا جميعًا، ثم أتبع ذلك قائلاً: «إننا لن نسمح لحماس بأن تحوِّل الضفة الغربية إلى جمهورية إسلامية أخرى»، وهي نفس الجملة التي قالها قبل ذلك مصطفى الفقي أحد كبار المسئولين في الحكومة المصرية.

هذه هي قصة النزاع بين فتح وحماس..

إنه ليس اختلافًا في فرع من الفروع، بل هو اختلاف في عدة أصول..

إنه اختلاف في المناهج والمعايير؛ فحماس تلتزم المنهج الإسلامي، وتقيس الأمور بمقياس القرآن والسُّنَّة، وتهتم بمعرفة الحلال والحرام، بينما كل هذه الأمور لا تمثِّل أي مرجعيَّة لقياديي حركة فتح..

وهو اختلاف أيديلوجي فكري كبير؛ لأن فتح تعترف بالكيان الصهيوني، بل وتوقِّره، بينما لا تعترف حركة حماس بهذا الكيان وتعتبره مغتصبًا لأرض فلسطين، وبالتالي فإن قرارات فتح وحماس بشأن مسألة اليهود قرارات مختلفة تمامًا..



التنسيق مع الكيان الصهيوني ضد الشعب الفلسطيني

وهو اختلاف أخلاقياتٍ حيث تتبنى حماس أخلاقياتِ الإسلام الرفيعة، بينما تتعامل قيادات فتح، وخاصة الأمنيَّة منها، مع الشعب الفلسطيني بغطرسة شديدة وكِبْر وظلم وإباحية، ويكفي أن من أوائل المشاريع التي قامت بها السلطة في أريحا ناديًا كبيرًا جدًّا للقمار!

وهو اختلاف مصالح وأهداف؛ فحماس تفهم معنى الجهاد في سبيل الله، والشهادة في سبيل الله، ولذلك فأرواح القادة والجنود تُبذل بسخاء دون خوفٍ أو وجل، ويشهد لهم التاريخ أنهم قدّموا من أرواحهم وأرواح أبنائهم وعائلاتهم الكثير والكثير، بينما تنظر القيادات الكبرى في فتح إلى السلطة والمال والدنيا والوضع الاجتماعي..

وهو اختلاف في القبول المحلي والإقليمي والعالمي لكلا الطرفين؛ فاليهود يناضلون من أجل إعادة حركة فتح للسيطرة على الأمور في فلسطين، والأمريكان والأوربيون كذلك يعتبرون حركة فتح هي الأمثل في تثبيت أركان دولة الكيان الصهيوني، كما أن معظم الدول العربية تقف إلى جوارهم تمامًا، بينما يعتبرون حركة حماس - وهي فرع من حركة الإخوان المسلمين - حركة خارجة على النظام ولا يمكن التعامل معها، ويرى كثير من الزعماء العرب أن خطورة حماس الإسلامية على سلطانهم أكبر من خطورة الصهاينة!!

كلُّ هذه الاختلافات تجعل الوَحْدة بين الطرفين صعبة جدًّا، وهذا ليس تشاؤمًا، ولكن واقعية، فما تتمناه حماس هو عين ما تكرهه فتح، وما تريده فتح هو عين ما ترفضه حماس. ومع ذلك فإنني لم أَقُلْ إنّ الوحدة مستحيلة، إنما هي ممكنة ولكن بصعوبة شديدة، كما أنها لن تدوم في تصوري فترة طويلة لكل ما ذكرناه، وللتاريخ الذي استعرضناه..

والسؤال: كيف يمكن أن تحدث هذه الوحدة الصعبة؟!

إن الإجابة هي أنه يمكن ذلك إذا التقى الطرفان على مصلحة مشتركة ولو

مؤقتة، وهذه المصلحة ينبغي أن تكون مصلحة فلسطين، وليس مصلحة شخص بعينه، أو مجموعة من الأشخاص، وهذا في رأيي غير ممكن إلا إذا تحرك شرفاءُ فتح وعقلاؤها فأزاحوا القيادات الكبرى التي أفسدت في الأرض، ولوَّثت سمعة فتح، ومسحت تاريخها النضالي، وتقرّبت إلى أعدائها، وتصارعت مع إخوانها وأهلها..

إنّ هذه الإزاحة ليست صعبة؛ لأنّ الشعب الفلسطيني يؤيدها، والعقل كذلك يؤيدها، وقبل ذلك وبعده فالشرع يؤيدها؛ لأن الله ﷻ لا يُصلح عمل المفسدين.

إذا حدث هذا الأمر وتحرك الشرفاء والعقلاء، فقد تحدث الوحدة المؤقتة والمحدودة، إلى أن يقضي الله أمرًا كان مفعولاً، وتتضح الرؤية لعموم الفلسطينيين، بل وعموم المسلمين، ويدركوا أن النصر بيد الله، وأنه لا ينصر إلا مَن نصره، وأنه لا فلاح ولا نجاح في الدنيا ولا في الآخرة بغير قرآنٍ وسُنَّة، وأنه شتّان بين مَن يحرص على قيام الليل، ومن لا يُحسِن الوضوء!!

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(١١)
اعتقال البشير[1]

لم يكن قرار اعتقال الرئيس السوداني عمر البشير مُفاجِئًا لأكثرنا؛ لأننا صرنا نعيش في زمن وضوح الرؤية حيث يلعب الجميع على المكشوف، فلا مواربة ولا مداهنة، إنما العداء الصارخ، والتبجُّح الصريح!



إنهم يريدون أن يقنعوا العالم أن قلوب أعضاء المحكمة الجنائية ومجلس الأمن، وكذلك قلوب الساسة الأمريكان والأوربيين تتفطّر من أجل المدنيين في إقليم دارفور! ويريدون أن يقنعوا العالم أيضًا أن عمر البشير أكثر عدوانيةً وأشد شراسةً من ليفني وأولمرت وباراك وشيمون بيريز. كما يريدون أن يقنعوا العالم أنه من أجل العدالة والحق سيجمعون جيوش الأرض في السودان؛ لمنع ظلمٍ يقع - حسب ما يقولون - على بعض القرى الإفريقية!!

يحسبون أن العالم لا يُطالِع أخبار فلسطين، ويحسبونه لا يطالع أخبار العراق وأفغانستان، ويحسبون أننا لا نعلم تاريخهم المقيت القريب في إفريقيا ذاتها، وكيف قسَّموها على أنفسهم، وقطَّعوها إربًا، واستعبدوا أهلها، واستنزفوا ثرواتهم، وأهانوا كرامتهم، ثم الآن يعلنون أن نخوتهم تتحرك لإنقاذ الأفارقة من عمر البشير!!

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٥/ ٣/ ٢٠٠٩م.

إن الأوراق صارت حقًّا كلها مكشوفة!

إنها خطوات حثيثة لفعل الجريمة الكبرى بتقسيم البلد الإسلامي الكبير السودان، ولتكن إحدى الخطوات هي قرار اعتقال عمر البشير بتهمة جرائم حرب ضد بعض أفراد شعبه في دارفور..

ولقد بدأت هذه الخطوات منذ زمن كما يعلم الجميع، والغرب الآن يمارس سياسة النَّفَس الطويل في حربه مع العالم الإسلامي؛ فهم يؤهِّلون أنفسهم وشعوبهم، وكذلك الشعوب الإسلامية لخبر اجتياح السودان أو على الأقل تهديده بالاجتياح، ولا مانع أن يأخذوا في ذلك عِدَّة سنوات، فالمطلوب أمر كبير يحتاج إلى طول إعداد..

لقد قرأنا في الصحف الغربية لعدة سنوات أخبار السودان، وأن الغرب مهتم جدًّا بما يحدث في جنوب السودان، وفي دارفور، وأن هذه أزمة تؤرِّق نوم الطيبين في أوربا وأمريكا!

وشاهدنا رام إيمانويل، وهو يهودي بل إسرائيلي الجنسية، ويعمل كمدير موظفي البيت الأبيض، وهو يتعاون مع اللوبي الصهيوني الأمريكي في حملة هجوم على عمر البشير تحت دعوى إنقاذ أهل دارفور! بل رأيناه يقود حملة لجمع التبرعات من الشعب الأمريكي ومن أطفال المدارس لأطفال دارفور؛ وذلك حتى يكسب الرأي العام الأمريكي للضغط على الساسة من أجل الاهتمام بقضية السودان!! ويريد رام إيمانويل الصهيوني أن يُقنِعَنا أن أطفال السودان في حكم البشير يعانون أكثر من أطفال غزة تحت قصف باراك وليفني!

وما الهدف من وراء كل هذا الاهتمام، وكل هذا الإعداد؟!



رام إيمانويل و أوباما

إن الهدف واضح، ومعلن صراحةً في وسائل إعلامهم وعلى ألسنتهم.. ولقد تكفّل وزير الأمن الداخلي الإسرائيلي «آفي ديختر» بإعلان هذا الهدف في الصحف الصهيونية يوم ١٠ من أكتوبر ٢٠٠٨ في مقال تحت عنوان «الهدف هو تفتيت السودان وشغله بالحروب الأهلية»، وقال في هذا الموضوع بالحرف الواحد: «السودان بموارده ومساحته الشاسعة وعدد سكانه يمكن أن يصبح دولةً إقليمية قوية، وقوةً مضافة إلى العالم العربي».



هذا هو الهدف بوضوح .. تفتيت السودان ..

لقد تنامى خطر السودان في عيون الغرب والصهاينة في السنوات الأخيرة، وخاصةً أنه بلد كبير جدًّا تزيد مساحة على ٢.٥ مليون كم٢، ويبلغ عدد سكانه ٤٠.٢ مليون نسمة (عام ٢٠٠٨)، وهو يتحكم في منابع النيل التي تمثّل شريان الحياة لمصر ومن بعدها - كما يريدون - إسرائيل. غير أن الذي دفع الغرب إلى تسريع عملية الضغط على السودان في السنوات الأخيرة هو اكتشاف البترول بغزارة، وخاصةً في جنوب السودان وجنوب دارفور، وكذلك اكتشاف اليورانيوم في شمال دارفور، وفوق ذلك وأعظم ظهورُ الاتجاه الإسلامي بقوة في الحكومة والشعب؛ مما يمثل خطرًا استراتيجيًّا كبيرًا على مصالح الصهاينة والغربيين، فهم لا يتصورون أن يتحوَّل هذا البلد الضخم إلى قوة كبيرة تمتلك البترول واليورانيوم وملايين الأفدنة الصالحة للزراعة إلى دولة إسلامية تسخِّر كل هذه الإمكانيات لمصلحة الإسلام والمسلمين، وخاصةً أن السودان هو بوابة الإسلام إلى إفريقيا بكل ثرواتها البشرية والاقتصادية والاستراتيجية.

إن مسألة قيام دولة إسلامية في السودان أمرٌ في غاية الخطورة في الحسابات الغربية والصهيونية، ومِن ثَمَّ كرَّس الغرب كل جهوده من أجل تفتيت هذا البلد،

وسحقه قبل أن يقوم على أقدامه، ولقد اكتشفت أمريكا أن الأسلوب العسكري مكلف للغاية، سواءٌ كان بشريًّا أو ماديًّا، وأن حادث ضرب مصنع الشفاء في السودان سنة ١٩٩٨ لا يمكن أن يكون وسيلة فعّالة لتحقيق المراد، وخاصةً أن السودان بلد ضخم جدًّا له حدود مع تسع دول مما يجعل مسألة حصاره صعبة للغاية، وخاصةً أيضًا أن السودان يُنَمِّي عَلاقته مع الصين وروسيا بشكل مطَّرد.. لذا آثرت أمريكا والغرب أن يقطِّعوا السودان إربًا بأيدي أبنائه، وأن يتناوب الساسة الأوربيون والأمريكان الحديث عن أزمة السودان حتى يصبح الأمر عالميًّا وليس أمريكيًّا، وأن يستخدموا الأساليب القانونية والدبلوماسية والاقتصادية، بل والإغاثية الإنسانية لتحقيق الهدف المنشود، وهو تفتيت السودان إلى عِدَّة ولايات صغيرة يدين معظمها بالولاء للصهاينة وللغرب! خاصةً وأن العالم العربي والإسلامي يَغُطُّ في سباتٍ عميق، ويرى كل هذه الأحداث دون أن يفهمها، أو لعلَّه يفهم ولا يريد أن يتحرك!

كانت البداية أن وقف الصهاينة والغرب بقوَّة مع جنوب السودان يؤيِّدون انفصاله عن السودان الأم، وتعاونوا بشكل صريح مع جون جارانج زعيم ما يسمَّى بجبهة تحرير السودان الذي خاض حروبًا أهلية دامية مع الحكومة السودانية، وكان الغرب مؤيِّدًا له بقوة، خاصةً أن جنوب السودان به أكثر من ٨٠٪ من بترول السودان، وانتهى الأمر - للأسف الشديد - في سنة ٢٠٠٥ بما سُمِّي باتفاق السلام الشامل (اتفاق ماشاكوس)، والذي يعطي السكان في جنوب السودان الحق في التصويت لتقرير المصير سنة ٢٠١١، ومِن ثَمَّ فستُعرض مسألة فصل جنوب السودان عن دولة السودان لرأي سكان المنطقة، والذين سيصوِّتون بلا جدال إلى قرار الفصل، خاصةً أن الأغلبية في مناطق الجنوب للوثنيين والنصارى، وخاصةً أيضًا أن الغرب واليهود يؤيدون ويباركون، وليس مستغربًا أن يتحوَّل جنوب السودان إلى دولة قوية جدًّا في المنطقة.. بها بترول، وتتحكم في منابع النيل، وتحظى بتأييد أمريكا والغرب واليهود، ومِن ثَم تُصبِح دولة في منتهى الخطورة على الإسلام

تحاصره من الجنوب، وتمنع انتشاره في القارة السمراء، وتمثِّل حارسًا أمينًا للمطامع الصهيونية والغربية والأمريكية.

حدث كل هذا في ظل صمت عربي وإسلامي مُخْزٍ، وتخلَّى العرب والمسلمون عن السودان في هذه الاتفاقات والمفاوضات؛ فجلس وحيدًا أمام وحوش العالم حتى وصلوا إلى هذه النتيجة التي تمثِّل تهديدًا صارخًا لا للسودان وحده، ولكن للعالم الإسلامي بكامله، وفي مقدمته مصر التي سيتم تركيعها تمامًا بعد الإمساك بشريان النيل!

ثم فتح الغرب ملفًا جديدًا خطيرًا، وهو ملف دارفور في غرب السودان، فما المانع في فصله هو الآخر، خاصةً وأنه يمتلك مخزونًا كبيرًا من البترول واليورانيوم، فوصل الغرب - للأسف الشديد - إلى بعض المسلمين الذين يرغبون في زعامة ومنصب في دارفور، وتَمَّ التعاون معهم للقيام بحركات تمرد في دارفور مدعومين بالأمريكان والصهاينة، وهؤلاء يُنادون بفصل دارفور عن السودان ليصبح دولة علمانية - كما ينادي المتمردون - تفصل الدين تمامًا عن الدولة..

ودخل الغرب بثقله مع هذا المشروع الانفصالي، وقادوا حملات إعلامية واسعة النطاق للترويج لهذا الفصل، وأرسلوا عددًا كبيرًا من الهيئات الإغاثية بهدف توجيه شعب دارفور إلى الولاء للغرب، وهذا في ظل غياب إسلامي كبير عن الساحة السودانية..

ونادى الغرب في حملات متكررة بعزل الرئيس عمر البشير صاحب التوجُّه الإسلامي وحافظ القرآن الكريم، والمتمتع بتأييد قطاع كبير من الشعب السوداني، والمقبول بقوَّة عند كثيرٍ من علماء الأمة في السودان وخارجها، طالبوا بعزله عن قيادة السودان، وإنشاء سودان جديد علماني.. وأثاروا بالتالي قضايا جرائم الحرب - كما يقولون - وأن هناك تطهيرًا عرقيًّا في دارفور..

وقام مجلس الأمن الذي تهيمن عليه أمريكا بشكل مباشر في سنة ٢٠٠٦ بإنشاء

ما يُسمَّى بالمحكمة الجنائية الدولية، وجعل من مهمتها إصدار الأحكام على رؤساء الدول؛ وذلك لترويض مَن يشاءون من الحكام في العالم، وجعل مجلس الأمن من صلاحياته العجيبة أن يُوقِف قرار المحكمة الجنائية إذا شاء لمدة سنة قابلة للتجديد وبدون حدٍّ أقصى!!!

يعني إذا أصدرت المحكمة الجنائية حكمًا فمن حق أمريكا إذا شاءت أن تُوقِف هذا الحكم أو تنفِّذه حسب الرغبة وبالقانون!!

ومِن ثَم صارت المحكمة سيفًا بيد أمريكا تُسلِّطه على رقاب من تشاء من الحكام الخارجين عن السيطرة..

الحكم الآن صدر باعتقال البشير، ويمكن لأمريكا أن تعفو وتصفح..

ولكن ما هو الثمن؟!

الثمن هو أن ينفصل جنوب السودان ببتروله ومزارعه وموارد مياهه وسكانه..

والثمن هو أن تنفصل دارفور بكل ثرواتها وسكانها..

والثمن هو أن تتحوَّل السودان من دولة إسلامية التوجُّه إلى دولة علمانية تفصل الدين تمامًا عن الدولة..

والثمن هو أن تنفصل شرق السودان في دولة جديدة، وكذلك أن ينفصل أقصى شمال السودان في دولة أخرى، ولا يبقى إلا وسط السودان فقط مُمَثِّلاً لدولة السودان القديمة!

والثمن أيضًا هو ألاَّ يفتح أي زعيم عربي أو إسلامي أو عالمي فَمَهُ بالاعتراض على ما تريده أمريكا، وإلاّ يتم تنفيذ أحكام المحكمة الجنائية، وبقوة مجلس الأمن..

إنها أثمان باهظة جدًّا تريد أمريكا أن يدفعها السودان لكي يُوقِفوا قرار اعتقال البشير..

وهل لو سلَّم البشير نفسه أو تنازل عن السلطة ستُحَلُّ مشكلة السودان؟!

أبدًا.. أبدًا..

إن الهدف كما قال وزير الأمن الداخلي الصهيوني هو تفتيت السودان، ولن يهدأ الغرب ولا أمريكا ولا اليهود حتى يتحقق هذا الهدف الخطير..

والسؤال: أين المسلمون؟!

إننا نصرخ من عِدَّة سنوات أن المحطة القادمة هي السودان، فماذا فعلنا؟ وماذا سنفعل عندما يُفعَّل حصار السودان بشكل أكبر؟ وماذا سنفعل عندما يُقسَّم السودان إلى خمسة أقسام؟! وماذا سنفعل عندما تنتهي قصة السودان وتبدأ قصة مصر أو سوريا أو اليمن أو ليبيا أو غيرها؟!

إلى متى هذا الركوع والانبطاح؟!

إننا نوجِّه نداءً حارًّا إلى أهل السودان جميعًا في وسطها وغربها وشرقها وشمالها وجنوبها أن يقفوا صَفًّا واحدًا في مواجهة هذه الهجمة الاستعمارية، وألاَّ يعطوا قِيادَهُمْ إلى عملاء باعوا الدين والوطن ليرتموا في أحضان الصهاينة، وألاَّ يقبلوا بتمزيق جسد السودان وهم أحياء..

ونوجِّه نداءً حارًّا إلى الزعماء الذين صمتوا طويلاً ولم يتكلموا بحقٍّ منذ عشرات السنين، أنْ عُودوا إلى ربكم، وعودوا إلى شعوبكم، وعودوا إلى ما تُملِيه عليكم قواعد الشرع والعُرف؛ فالمناصب التي تسيطرون عليها سوف تُسألون عنها، وإنه - والله - لحسابٌ عسير، إذا لم يكن في الدنيا فإنه حتمًا سيكون في الآخرة..

ونوجِّه نداءً حارًّا كذلك إلى الشعوب الإسلامية بكاملها أَنِ انْتبِهُوا من غفلتكم، واتركوا متابعة أمور اللهو والترف، وعيشوا قضايا أمتكم، وافهموا جذور مشاكلكم، واقرءوا عن دارفور والسودان، وعن فلسطين والعراق، وعن أفغانستان والشيشان..

إننا نريد حركةً شعبية واسعة النطاق في كل بلاد العالم الإسلامي ترفض الظلم بكل صوره، وتنادي ليس فقط بوَحدة السودان، ولكن بوحدة كل أقطار المسلمين..

إن المسلمين قوةٌ لا نهاية لعظمتها، وأمة لا تموت، وبحور لا ساحل لها، ولكن كل ذلك مشروط بأمرين: أن يعودوا إلى دينهم، وأن يوحِّدوا صَفَّهم..

ويومها لن يتجرأ على شعوب المسلمين وزعمائهم صعلوكٌ من الصهاينة أو الغربيين!!

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(١٢)
قصة دارفور [١]

لعل من أهم الأسباب التي تفسِّر عدم وجود تعاطف شعبي إسلامي كبير مع مشكلة السودان - هو جهل المسلمين بحقيقة الأوضاع في داخل هذا البلد الإسلامي الكبير، خاصةً في منطقة دارفور، والتي برزت على الساحة فجأةً وبشكل كبير في السنوات القليلة السابقة.

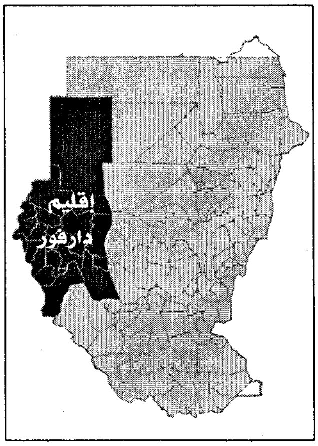
نعلم جيدًا أهمية الإعلام في إثارة اهتمام الشعوب بقضية ما، وقد دأب الإعلام الغربي والصهيوني على الحديث عن قضية دارفور من منظوره لتحقيق أهدافٍ واضحة، يأتي في مقدّمتها فصل دارفور عن السودان، وتكاسُل الإعلام الإسلامي عن القيام بدوره في هذه القضية لعدة سنوات؛ مما نتج عنه ما نحن فيه الآن من اضطراب وفقدان للتوازن.

إن المعلومة قوةٌ كبيرة، وإننا لن نستطيع أن نفهم أو نتوقع طرق حل الأزمة السودانية دون فقهٍ عميق لجذورها وأبعادها، ولن نمتلك القدرة على طرح آليات لحل المشكلة إلا بوجود قاعدة معلوماتية ضخمة تشرح لنا أبعاد الموقف كله، كما تُعنى بشكل كبير بتحقيق المعلومة، والتثبُّت من صدقها. وهذا لا يكفي فيه جهد فرد أو أفراد، إنما يحتاج إلى جهود مؤسسيَّة مخلصة، وإلى عددٍ كبير من المتخصصين والمهتمين بالشأن السوداني والإفريقي، كما يحتاج إلى زيارات ميدانية، ومتابعة للأحداث من داخلها، واستطلاعات رأي، واستبيانات مُحْكَمة، وقدرات عالية على التحليل والدراسة. وكل هذا يحتاج إلى جَهْدٍ ومال ووقت وفكر، وقبل كل ذلك

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٢/ ٣/ ٢٠٠٩م.

وبعده يحتاج إلى عقول متجردة من الأهواء، لا تبغي بعملها هذا إلا وجه الله ﷻ، وتحرص كل الحرص على عدم الميل إلى جانب على حساب جانب آخر لمصالح معيّنة، أو منافعَ ذاتية.

إننا نواجه مشكلة كبيرة حقًّا عند الحديث عن مشكلة دارفور، وذلك لعدم ثقتنا فيما في أيدينا من معلومات، فهذا يؤكِّد وذاك ينفي، وثالث يهاجم ورابع يدافع؛ كما أنّ الأطراف المتصارعة كثيرة جدًّا، وهي في ازدياد مستمر، والموقف يزداد تعقيدًا يومًا بعد يوم.. خاصةً أننا صرنا نقرأ اليوم عشرات بل مئات التحليلات عن الموضوع، ومن أسماء لا نعرف تاريخها، ولا مدى صدقها وشفافيتها؛ فمنها الحكيم الواعي، ومنها الصهيوني المُغْرِض، كما أن منها المنافق عليم اللسان.



إنها معضلة تجعل العقل يدور!!

ما هي قصة دارفور؟!

وهل يمكن أن تنفصل عن السودان؟

وما هي آليات الحل للمشكلة؟

إقليم دارفور أحد أكبر الأقاليم في السودان الآن، وهو يقع في غرب السودان، وتبلغ مساحته أكثر من نصف مليون كيلو متر مربع، ويقترب عدد سكانه من ستة ملايين إنسان معظمهم من المسلمين السُّنَّة، وعندهم توجُّه إسلامي واضح حيث تزداد فيهم نسبة الحافظين لكتاب الله بشكل لافت للنظر، حتى يصل بهم البعض إلى نسبة ٥٠ ٪ من السكان، وإن كنت أرى أن في هذا الرقم مبالغةً كبيرة، ولكنّه ـ بشكل عام ـ يعطي انطباعًا عن الطبيعة الإسلامية لهذا الإقليم، ولعلّ هذا من الأسباب التي جعلت اهتمام الغرب والصهاينة به أكثر وأعظم.

لقد ظهرت في هذا الإقليم حركات تدعو للتمرد والانفصال عن الكيان الأم

السودان، وكان هذا في فترة التسعينيات من القرن العشرين، ثم تفاقم الوضع، ووصل إلى المحاولات العسكرية للانفصال في سنة ٢٠٠٣، وازداد الوضع اضطرابًا مع مرور الوقت، وأصبحت القضية مطروحة عالميًّا: هل ينبغي أن تنفصل دارفور عن السودان؟ أم أنّ بقاءَها كإقليم في داخل الدولة أمر حتمي؟!

ولكي يمكن الإجابة عن هذا السؤال لا بد من مراجعة تاريخية وواقعية وسياسية ودينية للموقف في دارفور، كما ينبغي أن ننظر إلى الأمور بتجرُّد وحياديَّة حتى نستطيع أن نصل إلى حلٍّ منطقي للمشكلة.

إن الذي يراجع ملف دارفور يجد أن احتمالات انفصال الإقليم عن السودان واردة جدًّا!! ويجد أيضًا أنه ما لم تأخذ الحكومة السودانية مواقف حاسمة، وفي ذات الوقت عاقلة وحكيمة فإن الأمور ستخرج عن السيطرة، كما أن المسلمين ما لم يتفاعلوا مع القضية بشكلٍ أكثر عملية وسرعة فإن كابوس الانفصال سيصبح حقيقة، وعندها لن يُجدي إصلاح.

وللأسف الشديد فإن كثيرًا منا يعيش بمبدأ التواكل، متخيِّلاً أن الله سيحفظ الأمَّة حتى لو لم تعملْ، ولو كان هذا صحيحًا فقولوا لي بالله عليكم: أين الأندلس؟! وأين الهند؟ !

ويعتقد كثير من المسلمين أيضًا أن غلق الملف مؤقتًا يعني حلَّه! ولا يدركون أن تأجيل حل المشكلة قد يفاقمها، وأن ما نراه مستحيلاً الآن قد يصبح أمرًا واقعيًّا غدًا.

لا بد من الاعتراف أنّ وضع دارفور خطير للغاية، وأن احتمالات انفصالها واردة جدًّا، وأننا نريد عملاً دءوبًا ليل نهار حتى نمنع هذه الكارثة ..ولا داعي للجُمَل العنترية بأن: دارفور ستبقى سودانية إلى الأبد مهما كانت الظروف !

ولماذا نقول إن احتمالات الانفصال واردة جدًّا؟ !

إن هذا التخوُّف يأتي من عدة أمور:

أولاً: المساحة الضخمة لهذا الإقليم، والتي تؤهله أن يكون دولة مستقلة بإمكانيات قوية، حيث إنه ليس فقط أكبر من عشرات الدول في العالم، ولكنه أيضًا يمتلك البترول واليورانيوم، ولقد دأب المحللون الغربيون على وصف الإقليم بأنه يساوي مساحة فرنسا ليرسِّخوا في الوجدان أنه من الممكن أنْ يستقلَّ بذاته.

ثانيًا: الحدود الجغرافية المعقَّدة للإقليم، فهو يتجاور من ناحيته الغربية مع تشاد بحدود طولها ٦٠٠ كيلو متر، وكذلك مع ليبيا وإفريقيا الوسطى. ومن المعروف أن هذه المناطق الصحراوية والقبلية ليست مُحْكَمة الحدود كغيرها من الدول، وعليه فدخول الأفراد من وإلى دارفور سهل للغاية، وخاصةً أن هناك قبائلَ كثيرة ممن تعيش في الإقليم ترتبط بعَلاقات مصاهرة ونسب وعلاقات اقتصادية وسياسية مع القبائل في الدول المجاورة وخاصةً تشاد، وهذا جعل الكثير من المشاكل السياسية التي تحدث في تشاد تكون مرجعيتها إلى دارفور والعكس، وهذا يعني أن الدول المجاورة ستكون عنصرًا فاعلاً في مشكلة دارفور، شئنا أم أبينا.

ثالثًا: طبيعة القبائل في الإقليم تثير الكثير من القلق، فمع أن الجميع مسلمون، إلا أن الأصول الإثنيَّة تختلف، فحوالي ٨٠٪ من السكان ينتمون إلى القبائل الإفريقية غير العربية، وهؤلاء يعملون في المعظم في الزراعة، أما بقية السكان فمن القبائل العربية التي هاجرت في القرن الماضي إلى منطقة دارفور، وهؤلاء يعملون في الرعي. وهذه الخلفيات العِرقيَّة لها تأثير في الاختلاف بين الطائفتين، وهذا أمرٌ متوقَّع، ومن الغباء أن ننكره، ونكتفي بالقول بأن الجميع مسلمون، فقد حدثت خلافات قبل ذلك بين المهاجرين والأنصار، وبين الأوس والخزرج، وما لم يُؤخذ الأمر بجديَّة وتعقُّل فإن الخلافات قد تتعقد جدًّا، ومِن ثَمَّ ينعدم الأمان في المنطقة، وهذا قد يدفع السكان إلى البدائل المطروحة، ومنها الانفصال تحت قيادة موحَّدة قوية تضم الجميع .ويزيد من تعقيد الموضوع في دارفور مشكلة التصحُّر وقلةُ

المراعي؛ مما يدفع القبائل الكثيرة إلى التصارع على موارد الماء ومناطق الزراعة، وهو صراع من أجل الحياة، يصبح إزهاقُ الأرواح فيه أمرًا طبيعيًّا !

رابعًا: البُعد التاريخي المهمّ لمنطقة دارفور يجعل مسألةَ انفصالها أمرًا خطيرًا يحتاج إلى حذرٍ وحرص؛ فالمنطقة في معظم تاريخها كانت بالفعل مستقلة عن السودان، وكانت في واقع الأمر سلطنة مسلمة تضم عددًا كبيرًا من القبائل الإفريقية، وآخر سلاطينها هو السلطان المسلم الوَرِع عليّ بن دينار، الذي حكم من سنة ١٨٩٨ إلى سنة ١٩١٧م، والذي كان يرسل كسوة الكعبة إلى مكة على مدار عشرين سنة كاملةً !، وكان يُطعِم الحجيج بكثافة، لدرجة أنه أقام مكانًا لتزويد الحجاج بالطعام عند ميقات أهل المدينة المعروف بذي الحُلَيفة. وقد وقف هذا السلطان المسلم مع الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى من منطلق إسلامي، إلا أن هذا أزعج جدًّا السلطات الإنجليزية التي كانت تسيطر على السودان آنذاك، فقامت بضم هذا الإقليم إلى السودان في سنة ١٩١٧م، ومن يومها وهو جزء من السودان، وهذه الخلفية التاريخية تشير إلى نفسيَّة السكان الذين إذا لم يشعروا بالأمان والاطمئنان لحكومة السودان، فإنهم سيرغبون في العودة إلى ما كانوا عليه منذ مئات السنين، وهو التجاور مع السودان وليس الانضمام لها .

خامسًا: التدخل الغربي الصهيوني الكثيف في المنطقة يغيِّر الكثير من الحسابات، ويدفع بقوة إلى فكرة الانفصال، وذلك لتحقيق مصالح استراتيجية خطيرة، وقد أصبح هؤلاء يتعاملون بمنتهى الوضوح مع قادة التمرد في دارفور؛ لكي يدفعوهم إلى الانفصال لتقوم دولة تدين بالولاء إلى الكيانات الغربية والصهيونية الموالية، وتأتي في مقدمة الدول المهتمَّة بإقليم دارفور فرنسا، حيث تمثِّل هذه المنطقة تاريخًا مهمًّا جدًّا لفرنسا؛ لأن دارفور هي أقصى شرق الحزام المعروف بالحزام الفرانكفوني



عبد الواحد محمد نور

(أي المنسوب إلى فرنسا)، وهي الدول التي كانت تسيطر عليها فرنسا قديمًا في هذه المنطقة، وهي دارفور وتشاد والنيجر وإفريقيا الوسطى والكاميرون، وقد استطاعت فرنسا الوصول إلى شخصية من قبيلة الفور، وهي أكبر القبائل الإفريقية في دارفور، وإليها ينسب الإقليم (دارفور)، وهذه الشخصية هي عبد الواحد محمد نور صاحب التوجُّهات العلمانية الفرنسية الواضحة، ومؤسِّس أكبر جماعات التمرد في دارفور، والمعروفة باسم جيش تحرير السودان، وهي حركة مختلفة عن الجيش الشعبي لتحرير السودان، والمتمركزة في جنوب السودان، وإن كانت الأيدلوجية الفكرية للحركتين متشابهة، بل هناك تنسيق واضح بينهما .


خليل إبراهيم

أما إنجلترا فهي تضع أنفها في المنطقة عن طريق خليل إبراهيم، الذي أنشأ حركة تمرد أخرى تنتمي إلى قبيلة أخرى من القبائل الإفريقية، وهي قبيلة الزغاوة، حيث قام مدعومًا ببريطانيا بإنشاء حركة العدل والمساواة، وهي كذلك حركة علمانية تطالب بفصل دارفور عن السودان .

وإضافةً إلى فرنسا وإنجلترا فهناك أمريكا صاحبة الأطماع المستمرة ليس في دارفور فقط، ولا في السودان فحسب، بل ليس في القرن الإفريقي وحده، وإنما في العالم أجمع!! فهي تدفع بقوة في اتجاه وجود قوات دُوليَّة لحفظ السلام في المنطقة تكون تحت السيطرة المباشرة لمجلس الأمن، ومِن ثَم لأمريكا .وأخيرًا تأتي دولة الكيان الصهيوني "إسرائيل" لتشارك بقوَّة وصراحة ووضوح في مسألة دارفور، وليس فقط عن طريق تحالف جماعات الضغط الصهيونية في أمريكا والمعروف بتحالف "أنقذوا دارفور"، ولكن أيضًا عن طريق التدخل السافر للحكومة الصهيونية نفسها حيث رصدت الحكومة الصهيونية مبلغ ٥ ملايين دولار لمساعدة لاجئي دارفور، وفتحت الباب أمام الجمعيات الخيرية في إسرائيل للمشاركة.

كما أعلنت عن استعدادها لشراء أدوية ومعدات لتحليل المياه بما يعادل ٨٠٠ ألف دولار يتم جمعها من بعض الشركات الصهيونية!! كما سبق أن أعلنتَ تسيبي ليفني وزيرة الخارجية اليهودية في اجتماع لها مع بعض السفراء الأفارقة في تل أبيب سنة ٢٠٠٨ أن حكومتها ستسعى لإيجاد حل لأزمة دارفور !!

وبالطبع لن نترك المجال عند الحديث عن التدخل الأجنبي في المنطقة دون الإشارة إلى عشرات الجمعيات الإغاثية، والتي تمارس خليطًا من الأعمال الإغاثية من جانب، والتبشيرية التنصيرية من جانب آخر، والإجرامية من جانب ثالث، وليس ببعيدٍ ما فعلته جمعية«لارش دي زو» الفرنسية من خطف أطفال من دارفور لبيعهم لعائلات إنجليزية وفرنسية، حيث تم اكتشاف هذه الفضيحة في أكتوبر ٢٠٠٧، وما خفي كان أعظم !

سادسًا: الأخطاء الإدارية والفكرية الفادحة التي وقعت فيها الحكومة السودانية على مدار عِدَّة عقود أدت إلى الوصول إلى هذا الوضع المعقَّد؛ فواقع الأمر أن الحكومة السودانية لا تتعامل مع دارفور كجزءٍ مهم في الدولة السودانية، وذلك منذ عشرات السنين، وكان منطلقها في ذلك أنها أرض صحراوية تعيش فيها قبائل بدوية، وليس فيها ثروات تُذكر، وليس لها تداخل مع الشئون السودانية بشكل مؤثر؛ وهذا أدى إلى فقرٍ شديد للمنطقة، وفقدان للبنية التحتية، وانعدام للأمن، وعدم تمثيل مناسب في الحكومة أو البرلمان، وعدم وجود اتصال علمي أو إعلامي مع المنطقة، وغير ذلك من مظاهر الإهمال التي أفقدت الكثير من شعب دارفور الولاء لدولة السودان الأم، وحتى عندما تولى الرئيس عمر البشير



الأخطاء الإدارية للحكومة السودانية

الحكم بعد انقلاب ١٩٨٩م فإنه تولى في ظروف صعبة تزامنت مع الحرب المدمِّرة في جنوب السودان، والتي أخذت الاهتمام الحكومي السوداني كله، فازداد السقوط المعنوي في دارفور، وهذا كله قاد إلى تنامي حركات التمرد، وحتى عندما تتم جلسات مصالحة أو تفاوض مع زعماء المتمردين، فإنها تكتفي بتأجيل المشكلة لا حلها، وهذا يُهدِّئ الأوضاع لفترة محدودة لتعود لتشتعل بشكل أكبر بعدها بقليل !

سابعًا: الضعف العسكري الشديد للحكومة السودانية، فجيشها لا يزيد على ٩٠ ألف جندي، بإمكانيات عسكرية هزيلة للغاية، وخاصةً بعد المرور بحرب جنوب السودان على مدار عشرين عامًا كاملة، أرهقت الجيش بصورة كبيرة، وهذا الجيش الضعيف لا يستطيع بحال أن يسيطر على المساحات الشاسعة الموجودة بالسودان بصفة عامة، وفي دارفور بصفة خاصة؛ وهذا أدى إلى ظهور عصابات «الجانجويد»، وهي عصابات من قبائل عربية تركب الخيول وتلبس الملابس البيضاء وتحمل الرشاشات، وتتجول بِحُرِّية في ربوع دارفور، فتقتل وتسرق وتفرض ما تريد، ويتَّهِم الغرب الحكومة السودانية بالتعاون مع عصابات الجانجويد، وتنفي الحكومة السودانية ذلك، ولكنه في العموم مظهر من مظاهر الانفلات الأمني، والضعف العسكري غير المقبول؛ فإذا كانت الحكومة متعاونة مع الجانجويد كما يقول الغرب، فهذا مظهر من مظاهر الضعف حيث لا تستطيع الحكومة بنفسها





ضعف سيطرة الجيش السوداني

السيطرة على الأمور فتلجأ إلى البلطجية والمجرمين! وإذا كانت الحكومة غير متعاونة معهم، فهذا أيضًا مظهر من مظاهر الضعف، حيث تعلن الحكومة بصراحة أنها لا سيطرة لها على عصابات الجانجويد، وأنهم يقتلون من الجيش السوداني كما يقتلون من المتمردين، وهذا وضع في الحقيقة غير مقبول من حكومة مستقرة وجيش نظامي، وهو أمر يحتاج إلى مراجعة وحساب.

ثامنًا: حالة الجهل الشديدة التي يمر بها أهل دارفور، مع كون الكثير منهم يحفظ كتاب الله ﷻ، فمدارسهم ضعيفة جدًّا، وإعلامهم منعدم، ومِن ثَمَّ فإن السيطرة الفكرية عليهم تصبح سهلة للغاية. وليس بالضرورة أن يكون الأمر بالتحوُّل إلى النصرانية، ولكن يكفي أن يطبِّقوا ما تريده الحركات المتمردة والغرب الصليبي والعدو الصهيوني من فصلٍ للدين عن الدولة، وعلمانية المناهج، وفكرة الانفصال، وهذا أمر قد لا يستنكره الشعب هناك في ظل غياب المعلمين والدعاة والمفكرين المخلصين.



تردي الأوضاع في دارفور

تاسعًا: عدم وجود دراسات علمية موثَّقة تشرح طبيعة المنطقة، وتشعباتها الجغرافية والتاريخية والسكانية، وطرق التعامل مع القبائل المختلفة، ومناهج تفكيرهم ومنطلقاتهم، ومِن ثَم فإن الذي يسعى لحلّ المشكلة ولجمع الأطراف لا يستطيع غالبًا أن يدخل من الباب الصحيح، وقد يفشل في الحل حتى لو كان مخلصًا متجردًا؛ حيث لا يملك آليات الحل السليم، ولا المعلومات الدقيقة.

عاشرًا: حالة "الطناش" الإسلامية الشنيعة ! فهذه الأحداث المركَّبة تتفاقم منذ أكثر من عشر سنوات، ولا حراك، ولا شك أن ترك السودان بمفرده في هذه الأزمة سيجعل قضية انفصال دارفور أمرًا مسلَّمًا به، وعندها لن ينفع العويل، ولن

تفيد العواطف، ولن يجدي البكاء على اللبن المسكوب!

كانت هذه النقطة العاشرة، فتلك عشرة كاملة !

وقد يكون هناك عوامل أخرى لم نذكرها لقلة المعلومات، أو لضيق الوقت، ولكن الشاهد من كل ذلك أن احتماليات انفصال دارفور واردة جدًّا نتيجة كل هذه المعطيات.

ومع ذلك فنحن لا نذكر كل ما سبق لنقول إنّ الدنيا مظلمة، وإنّ الأمل مفقود، بل إننا نسعى لإيجاد حلٍّ منطقي ومقبول للأزمة، ولا يكون ذلك إلا بمصارحة وشفافية وكشف للأوراق، ومع أننا ضدّ قرار المحكمة الجنائية الدولية قلبًا وقالبًا إلا أننا من منطلق الأخوَّة الإسلامية، والأمانة العلمية ندعو إخواننا في الحكومة السودانية إلى إعادة النظر في "ملف دارفور" بهذه المعطيات التي ذكرناها، وبغيرها من التي لا نعرفها.

إن الأمر جِدُّ خطير، لكن الإصلاح ليس مستحيلاً، إنما له آليات معروفة، وطرق مجرَّبة، واحتفاظ السودان بدارفور واجب قومي وفريضة شرعية، لكن لا بد من الأخذ بالأسباب الصحيحة، والسير في الطرق المدروسة.

ولعلّ هذه فرصة لقُرَّاء المقال الأعِزَّاء أن يشاركونا بالرأي في آليات حل هذه الأزمة، وسوف يكون مقالنا التالي - بإذن الله - عن هذه الآليات، فنسأله سبحانه السداد والتوفيق.

حَفِظَ الله السودان، وأهل السودان!!

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

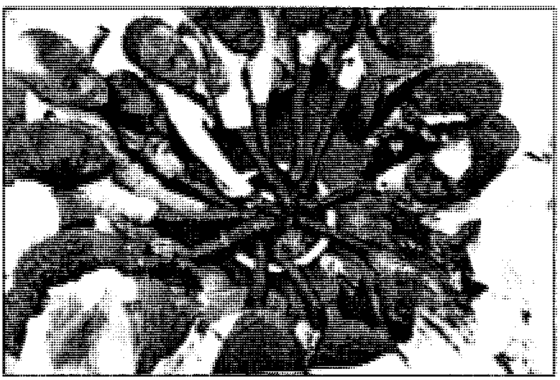
*****

(١٣)
حل مشكلة دارفور [(١)]

يحلم كثيرٌ من المتعاطفين مع قضايا الأمَّة الإسلامية أن يكتب لهم العلماءُ والدعاة "وصفة" سريعة لحلّ مشاكل الأمة، فيُبدأ في تنفيذها على الفور، ومِن ثَمَّ تخرج الأمة سريعًا من أزماتها وكبواتها!!

لكن الأمر في الحقيقة ليس كذلك؛ فطريق الإصلاح طريق طويل، وآليات التغيير قد تكون شديدة التعقيد، وليس الأمر سهلاً بسيطًا كما يظن البعض، فيختزل المشكلة في نقطة أو نقطتين، ويضع الحلّ في كلمتين، ويظنّ بذلك أنّ الأمة ستنطلق وقد تحررت من قيودها!

إن ما يحدث لأمتنا من أزمات لَهو تراكماتُ سنين، وأخطاءُ عقود، ولا يمكن أن تُحلّ هذه المعضلات إلا بصبر جميل، وخُطَّة طويلة المدى، يقوم على تنفيذها رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، وهي خطة يشارك في تنفيذها المخلصون من أبناء السودان، كما يشارك فيها كذلك المخلصون من أبناء العالم الإسلامي الواسع الذي آن له أن يفيق من سُباته، ويستعيد مكانته اللائقة كخير أُمَّة أخرجت للناس.



الجوع والفقر الشديدين في دارفور

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠٩م.

وقبل الحديث عن آليات الحل أودُّ أن أُعرب عن سعادتي الكبيرة بتفاعل القُـرّاء - على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com- من الرجـال والنـساء، وكثـرة الاقتراحات التي تقدموا بها، وهذا التفاعل - في رأيي - هو علامة رائعة على صحوة حقيقية، وعلى روح مؤمنة، وعلى رغبة إيجابية في الخروج من أزماتنا الكثـيرة، وهـذه الحميَّة والحماسة - في رأيي - هي بداية صحيحة لفترة جديدة من حياة أمتنا العريقة.

أما آليات الحل، فتشمل هذه الأمور:

أولاً: لا بد أن تدخل السودان في بؤرة اهتمام العالم الإسلامي؛ فلقـد عـاش السودان لسببٍ أو لآخر زمنًا طويلاً بمعزِل عـن فكـر ووجـدان العـالم الإسـلامي، وهذا خطأ مركَّب شـارك فيـه علماءُ ودعـاةٌ وسياسـيون واقتـصاديون وإعلاميـون وغيرهم. ومِن ثَمَّ فالبداية أن نحرِّك مشاعر المسلمين وعقولهم تجاه حُـب الـسودان، والحرص عليه، والتعاطف معه، بل والتضحية من أجله، فهو في البداية والنهاية بلدٌ إسلامي عريق، وشعبه من الشعوب التي تتميز بفطرة إسلامية أصيلة، ويغلُب عـلى أفرادها الطيبة والمودَّة والكرم، ولقـد لمـست ذلـك بنفـسي سـواء في الـسودان عنـد زياراتي لها، أو في مصر، أو العالم عند التقائي مع الجاليات السودانية. ولعلِّي لا أنـسى أبدًا الترحاب العميق الذي قابلوني به في أحـد مـساجد الجاليـة الـسودانية في مدينـة دالاس الأمريكية، وقد شعُرت عندها بمدى تقصيري وتقـصير الـدعاةِ والعلماءِ في التواصل الدائم مع هذا الشعب الكريم.

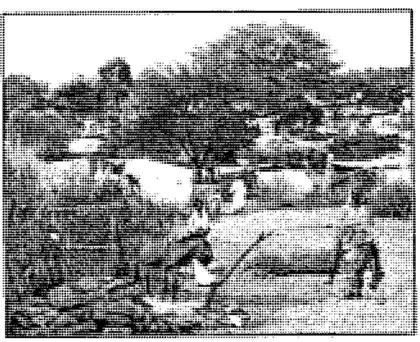
إننا نحتاج أن نضع السودان في دائرة الاهتمام الأولى مـن حياتنـا، ونحتـاج أن نجد في مكتباتنا المؤلفـات العديـدة عـن تـاريخ الـسودان وواقعـه، وعـن اقتـصاده وسياسته واجتماعياته وفنونه، وغير ذلك من أوجه النـشاط فيـه، ونحتـاج أيـضًا أن نتعرف على أعلامه ورموزه، وأن نشارك بقوَّة في فعالياته.

ولا يخفى على القُرّاء بالطبع أن ما نقوله الآن عن السودان نحتاج أن نقوله أيضًا عن باقي دول العالم الإسلامي التي نُغفِل الاهـتمام بقـضاياها، ولا تـدخل في دائـرة

اهتمامنا إلا عند الكوارث الكبرى، ولا شكَّ أننا نحتاج إلى أن نفتح بقوة ملفات الصومال واليمن والصحراء المغربية وإندونيسيا والفلبين، والدول الإفريقية الإسلامية الكثيرة التي تعيش في عشرات الآلاف من المشاكل، فضلاً عن الملفات الساخنة في فلسطين والعراق وأفغانستان.

ثانيًا: لا بد من فَهْم قضية السودان بشكل عام، ودارفور بشكل خاص، فما نكتبه من أوراق لا يمثل إلا صفحة واحدة من كتاب السودان الضخم، وبداية الحل دائمًا هي الفهم، ولا يمكن أن نقدِّم مشروعًا ناجحًا بغير فهم دقيق للأحداث، وهذه في واقع الأمر مشكلة كبرى؛ لأن المعلومات عن إقليم دارفور أو السودان بشكل عام - متضاربة جدًّا، وغير موثَّقة بالمرة، وبالتالي فإننا نريد من المخلصين المتخصصين في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية وغيرها، أن يُنفِقوا الوقت والجَهْد من أجل إخراج دراسات أصيلة ترفع الواقع الموجود بصدق، وتنقل الصورة الحقيقية لداخل السودان بكامله، وتستمع إلى كل الأطراف، ولا مانع - بل لا بُدَّ - من دراسات ميدانية تشاهد وتسمع وتسجِّل. كما لا بُدَّ من استبيانات شاملة تنقل رُؤى المواطنين ومشاكلهم وأحلامهم واقتراحاتهم، وهذا جهد لا بد أن يشارك فيه المخلصون من أبناء السودان في داخل أرضه وفي خارجها، كما لا بد أن يشارك فيه العلماء من كل بقاع العالم الإسلامي.

ثالثًا: لا بد من خُطَّة واقعية عملية طويلة المدى للارتقاء مدنيًّا بإقليم دارفور وغيره من الأقاليم الواسعة في السودان؛ فالجميع ممن عاش في دارفور أو زارها يشهد بضعف التنمية في هذا الإقليم المهمّ، وليس معنى هذا أنها لا تشهد أي تنمية، ولكن ما نراه هناك من مشروعات وأعمال لا يتوازى



ضرورة وجود خطة لتنمية دارفور

مطلقًا مع مساحة الإقليم أو عدد سكانه أو ثرواته، وهذه نقطة تحتاج إلى مراجعة دقيقة؛ لأن تنمية الانتماء عند أهل دارفور للسودان لا يمكن أن تكون بالشعارات الجوفاء أو الخطب الرنّانة، إنما يحتاج أهل دارفور إلى شعورٍ حقيقي ـ غير متكلف ـ باهتمام بقية السودان حكومةً وشعبًا بهم، وهذا لا بدّ له من انعكاس على أرض الواقع .ومِن ثَمَّ فخطوة رئيسية من خطوات الحلّ هي الإنشاء الفعلي للمدارس الجامعات والمستشفيات والهيئات التي تغطي حاجات المجتمع هناك، وبشكل كُفءٍ ومتميز. ولا بُدَّ من شبكة مواصلات قوية تسهِّل على أهل الإقليم الحركة في داخله، وتربط أطرافه الواسعة بعضها ببعض، وكذلك تربطه مع بقية الأقاليم السودانية. وكذلك يحتاجون إلى شبكة اتصالات قوية، وإلى وسائل إعلامية دائمة تنقل منهم وإليهم...، إلى غير ذلك من أمور المجتمع المدني المتحضر والصالح.

وليس خافيًا عني أنّ إصلاح كل هذه الأمور يتطلب وقتًا ومالاً، لكن لا بد من البداية، ولا بد من خطة واضحة معلنة، وبشفافية كبيرة، ولا بد من وضوح للميزانية العامة ونصيب دارفور فيها. كما لا بد أن نبدأ بالأهمّ فالمهم، وهذا يتطلب دراية واسعة بفقه الأولويات، كما يتطلب اطّلاعا كاملا على كبرى مشكلات الإقليم.

رابعًا: لا بد من مشاركة حقيقية وفاعلة لأهل دارفور في الحكومة السودانية، وفي كافة الأنشطة السودانية في المجالات المتعددة وخاصَّة السياسية والإعلامية.. وما نعلمه أن زعماء المتمردين غير مقبولين من عامة أهل دارفور، وأنهم من الشخصيات المتسلقة التي ترغب في تحقيق مصالحها الخاصة ولو كانت على حساب السودان نفسه، وتعاملاتهم مع الصهاينة والغرب واضحة ومفضوحة، لكن على الجانب الآخر فإننا على يقين من أن هناك شخصيات صالحة مخلصة كثيرة من أهل دارفور تستطيع أن تمثِّل الإقليم في كل القطاعات السودانية، وعندها ستكون دارفور ممثلة بأهلها، ويصبح تحقيق ما نريده من مشاريع هناك أمرًا طبيعيًّا؛ فنحن لا نريد من

أهل دارفور أن يستجدوا حقًّا لهم، إنما هم يطالبون بحقٍّ أصيل لا ينكره شرع، ولا يتعارض مع عُرف. كما أن هذه المشاركة الفاعلة ستكون صمام الأمان الرئيسي الذي يحفظ دارفور من تسلُّط المُغرِضين، ويرفع عند أهلها درجة الولاء بشكل طبيعي غير متكلف.

خامسًا: على هيئات الإغاثة الإسلامية الكثيرة الموجودة في معظم بلدان العالم الإسلامي، وفي كثير من البلدان الغربية أن تهتم اهتمامًا خاصًّا بهذه المنطقة الساخنة، وأنا أعلم أن القضايا الملتهبة كثيرة، لكن قضية دارفور تحمل أبعادًا ضخمة تهدِّد أمن العالم الإسلامي كلّه، فليست القضية فقط طعام وشراب، ولكنها في الأساس قضية ولاء وانتماء، وتَهديد خطير باختراق العالم الإسلامي من جنوبه؛ وعليه فإنّ توجيه هذه الهيئات لطاقاتها إلى هذا المكان لا يحقِّق مصالح إغاثية إنسانية فقط كما يحدث في عامة البقاع الأخرى، ولكنه يحقق مصالح دينية وسياسية وأمنيَّة في غاية الأهمية، ومِن ثَم فإنني أهيب بكل هذه الهيئات أن تضع دارفور على قمة أولوياتها.



الإغاثة الغربية - التنصير مقابل الغذاء

سادسًا: على المستثمرين المسلمين أن يتوجهوا بمشاريعهم الاقتصادية العملاقة إلى هذا الإقليم وغيره من أقاليم السودان، فنحن لا نريد إغاثة فقط، ولا تبرعًا فحسب، وإنما نريد عملاً دائمًا مستمرًّا، وبالتالي فإقامة المصانع والمشاريع الكبرى سيوفر مجالات العمل لأهل دارفور، كما سيورثهم خبرة وعلمًا، فضلاً عن شعورهم باهتمام الاقتصاديين في العالم الإسلامي بهم. وإننا نرى جميعًا الشركات العالمية العملاقة تنشئ مصانعها في الصين والفلبين والمكسيك وهندوراس، وغيرها من الأماكن التي توفر عمالة رخيصة تساعد في تقليل سعر المنتج، فلماذا لا نبدأ بهذه

الخطوة في دارفور؛ فيستفيد المستثمر ويستفيد أهل دارفور، ويتغير الحال.



تقوية الجيش السوداني لدعم الأمن والتنمية

سابعًا: لا بد أيضًا من تقوية وتدعيم الحالة الأمنية في دارفور بشكل خاص، وفي السودان بشكل عام، وهذا يتطلب تقوية الجيش السوداني من حيث العدد والعُدَّة، كما يتطلب تدعيمًا كبيرًا لروحه المعنوية، وتوجيه نواياه إلى إرضاء الله ﷻ وخدمة الإسلام، وهذه ليست أوهاماً خيالية، بل هو طريق واضح ومفهوم، والروح الإسلامية دافعة أكبر من أي شيء آخر. ولقد ألقيت قبل ذلك محاضرة في الجيش السوداني ووجدت تفاعلاً إسلاميًّا عظيمًا منهم، وبذور الخير موجودة بفضل الله في قلوب كل المسلمين.. وبخصوص هذا الجانب الأمني فنودُّ الإشارة إلى أن تدعيمه لن يخدم الناحية الأمنية فقط من حيث الاستقرار والأمان وحفظ الأرواح والأموال، ولكنه فوق ذلك سيكون من أهم عوامل جذب المستثمرين وهيئات الإغاثة إلى دارفور وغيرها من أقاليم السودان.



عصام البشير من أبرز علماء السودان

ثامنًا: من أهم عوامل حفظ دارفور هو التوعية الدينية القوية لأهل دارفور، ولا يكفينا هنا نشاط أحد الدعاة أو العلماء بالذهاب إلى هناك مرة أو مرتين، ولكننا نريد عملاً مؤسسيًّا مدروسًا يكفل الحفاظ على مستوى إسلامي راقٍ طوال الوقت في هذا الإقليم الكبير، ويوضح لأهل دارفور عظمة الانتماء إلى الإسلام لا إلى القبيلة، ويوضح كذلك

خطورة الانتماء إلى أعداء الله ﷻ والولاء لهم. كما يوضح لهم الحل الإسلامي الواضح لمشاكلهم وأزماتهم، وفوق ذلك يستثمر جهودهم لخدمة السودان كله، بل وخدمة العالم الإسلامي أجمع، وهذا عمل يحتاج إلى تكاتف من العلماء في كل مكان، وإلى تنسيق متقن مع علماء السودان، وهم كُثُر والحمد لله. كما يحتاج إلى اهتمام خاص من الهيئات الإسلامية الكبرى في دول العالم الإسلامي كله لإنشاء فروع لهيئاتهم في دارفور، وإرسال البعثات التعليمية المستمرة إلى هناك، والأهم من كل ذلك استقدام النابغين من أهل دارفور لتعليمهم وتثقيفهم وتربيتهم، ثم إعادتهم إلى دارفور ليحوِّلوها - بفضل الله - إلى منطقة إسلامية قوية متحضرة، تعتمد على نفسها، وتخدم غيرها.

تاسعًا: على الحكومة السودانية أن تدرس بعمق الموازنات السياسية بين القوى العالمية، وأن تفقه جيدًا أن العالم ليس أمريكا وغرب أوروبا فقط، ومن هنا فإقامة عَلاقات دبلوماسية قوية مع القوى العالمية الأخرى يؤثر بشكل مباشر على قرارات الأمريكان والأوربيين، وليس هناك مانع من إقامة علاقات مدروسة مع الصين وروسيا مثلاً، أو غيرهما من القوى المؤثّرة، وذلك طبعًا بالضوابط الشرعية والسياسية. كما أن على الحكومة السودانية أن تقوِّي علاقاتها بشكل حكيم مع دول الجوار التسعة؛ لأن ضعف العلاقة مع هذه الدول يفتح مجالاً للتدخّل الغربي من خلال هذه الدول، ونخص بالذكر دولة تشاد، التي ترتبط بحدود طويلة مع إقليم دارفور، والذي يحكم بأفراد من قبيلة الزغاوة الموجودة في إقليم دارفور؛ مما يجعل العلاقة بين تشاد ودارفور ذات طابع خاص جدًّا. كما يجب على الحكومة السودانية أن تُفعِّل المنظمات الإفريقية في المنطقة؛ كمنظمة الإيجاد وغيرها، حتى تكوِّن رأيًا عامًّا إفريقيًّا وعالميًّا يخدم الملف السوداني.



منظمة المؤتمر الإسلامي

عاشرًا: وأهم من النقطة السابقة هـو إيجـاد علاقـة قوية وفاعلة مع الـدول العربيـة والإسـلامية، والبحـث عن آليات عملية لتوحيد العالم الإسلامي حتى لا يصبح لُقمة سائغة لأهل المشرق والمغرب، وهذه الوَحدة طريق طويل وصعب، لكن ليس مستحيلاً، ولا بُدَّ للمسلمين أن يقوموا به، وقد رأينا غير المسلمين في غرب أوروبا أو في شرق آسيا أو في أمريكا اللاتينية يفعلونه، فكيف لا يستطيع فعله المسلمون؟!

كانت هذه هي النقطة العاشرة، فتلك عشرة كاملة!

وأحب أن أختم هذا المقال بنقطتين مهمَّتيْن..

أما الأولى: فهي أن ما ذكرناه من حلولٍ ما هو إلا إسهامٌ في حـلّ القـضية، وأنـا على يقين أن هناك المئات والآلاف من الاقتراحات الأخـرى البنّـاءة، والتـي تـسهم بإذن الله في حلّ المشكلة.

وأما النقطة الثانية: فهي أن هذه الحلول جميعها تـصبح هبـاءً منثـورًا في غيـاب المخلصين والمخلصات من أبناء الأمة الإسلامية؛ فالأمر يتطلب تضحيات، ويحتـاج إلى تجرُّد، وقبل ذلك وبعده يحتاج إلى توفيق مـن ربِّ العـالمين، والله ﷻ لا ينـصر إلا من نصره.

أسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ السودان، وأن يمكِّن له، وأن يحفظـه مـن شر أعدائـه، وأن يوحِّد صفَّه، ويرفع شأنه، ويُعلِي رايتـه، وأن يـستعمل أهلـه في خدمـة هـذا الـدين العظيم..

اللهم آمين!!

ونسأله سبحانه أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

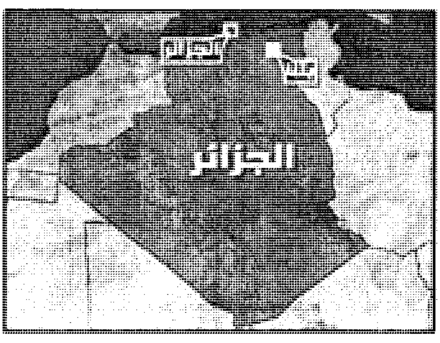
*****

(١٤)
انتخابات الجزائر [١]

تحتفظُ الجزائرُ بمكانةٍ كبيرة جدًّا في قلوب المسلمين في الأرض، فهي - دون شك - معقلٌ كبير ومهمٌّ من معاقل الإسلام، ويشهدُ تاريخها على مدار أكثر من أربعة عشر قرنًا من الزمان على حميَّة أهلها للدين، ونصرتهم للعقيدة، كما يعرف كلُّ المسلمين الذين يرتبطون بعلاقات مع الجزائريين مدى حبِّ هذا الشعب الأصيل للإسلام وأهله، ومدى استعدادهم لبذل الغالي والثمين من أجل رفعةِ هذه الأمة الكريمة، كما أنهم يتميزون بحبٍّ فطري غيرِ متكلَّف لكل رموز الإسلام وعلمائه..

فبارك الله في الجزائر، وبارك في أهلها..

وفوق ما ذكرناه فإنّ للجزائر مكانةً ريادية في كثير من القضايا التي تشغل الأمة الإسلامية، ولعلّ من أبرز الأمور التي علَّمتها الجزائرُ لبقية الأمة هي أن الأمم لا تُحرر إلا ببذل الدماء، وصرف الجهود والأعمار، ووضوح الهدف والرؤية والاستعداد الكامل للتضحية بكل شيء في سبيل تطهير الأرض الإسلامية من عدوٍّ مغتصب، ولهذا كانت الجزائر قدوة لكل المسلمين في قضايا التحرير، بعد أن شاهد الجميع الملاحم الرائعة للجهاد ضدَّ الفرنسيين، وتقديم أكثر من مليون شهيد، والعمل المستمر دون كلل ولا إحباط على مدار مائة وثلاثين سنة حتى كتب الله ﷻ للجزائر الحرية في عام ١٩٦٢ بعد هذا الجهاد المشرِّف ..



(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٦/ ٣/ ٢٠٠٩م.

كلُّ هذا يرفع الجزائر وأهله فوق قمّة سامية ينظر إليها كل المسلمين بكل الحب والتقدير..

غير أن الجزائر - كعامة الدول العربية للأسف - قد ابتليت بالفساد في نظامها الحاكم، وفي منظومتها الانتخابية، وفي هيئتها العسكرية، بشكل جعلنا نحزن كثيرًا، فقد كانت الجزائر مهيأةً لتكون مثلاً صالحًا للمسلمين في عدالة الانتخابات، وحرية الشعوب، لولا الضربات المتتالية التي جعلت الشعب الجزائري يعاني، ومن ورائه تعاني الشعوب المسلمة كلها..

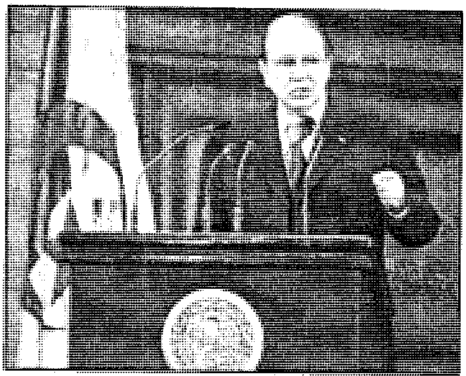
لقد رأينا انتخابات نزيهة في عام ١٩٩٠ اختار فيها الشعب بمحض إرادته التيار الإسلامي ممثلاً في جبهة الإنقاذ، وكانت بادرة رائعة للأمة الإسلامية أوضحت مدى حُبِّ الجزائريين للإسلام، ومدى ثقتهم في الشريعة، وطمأنت المسلمين جميعًا إلى أن سنوات الاحتلال الفرنسي الطويلة لم تغيِّر من فطرة الشعب الجزائري الأصيل، كما أوضحت لنا أنه من الممكن أن نرى نموذجًا عادلاً من الانتخابات في بلد إسلامي، بعد أن سيطر اليأسُ على كثير من بلادنا المنكوبة بالدكتاتوريين الأبديين!!

لكن - ويا للحسرة - تدخّل الجيشُ في «اللقطة الأخيرة»، ليحرم الشعب من اختياره، وليرفع العصا في وجه الشعب ومَن اختاروه، ودخلت الجزائر في تيه الحرب الأهلية، وتساقط الآلاف من القتلى على مدار عقد كامل - والجميع من المسلمين- ولكنها فتنة تركت الحليمَ حيرانَ!

ثم ظهر أمل من جديد، وجاء الرئيس بوتفليقة إلى الحكم في العام ١٩٩٩، وقدّم ما يعرف بمشروع «الوئام والمصالحة»، وهو ما أعاد الهدوء والاستقرار بشكل كبير إلى الجزائر، وهذا -لا شك - أمرٌ رائع، وفكرٌ سليم، وعودةٌ إلى الأصول، وهو جهد مشكور، ونقطة مضيئة في تاريخ الجزائر والمنطقة كلها..

وحكم بوتفليقة فترة رئاسية أولى من سنة ١٩٩٩ إلى سنة ٢٠٠٤، حيث تمت الانتخابات الرئاسية، ولسنا بصدد التعليق على هذه الانتخابات ولا نزاهتها ولا

تفاعل الشعب معها، لكن المهم أن بوتفليقة نجح من جديد في هذه الانتخابات ليحكم فترة رئاسة ثانية من ٢٠٠٤ إلى ٢٠٠٩.


بوتفليقة وتعديل الدستور الجزائري

إلى هنا والأمور تسير في اتجاه تحويل الجزائر إلى قدوة جيدة في تدعيم نظام الانتخابات الحر، وعودة إلى احترام الشعوب، واهتمام بإقرار الدستور، وتصحيح لمسار الأمة بعد التخبط في ظلمات الدكتاتورية، والسحق تحت أقدام الطغاة..

لكن - للأسف الشديد - نُكِبَ المسلمون في الجزائر - وكذلك في الأمَّة كلها - بالقرار الذي أخذه بوتفليقة في أكتوبر ٢٠٠٨، ووافق عليه البرلمان الجزائري بتعديل الدستور الجزائري الذي لا يسمح للرئيس بأن يُرشّح للرئاسة أكثر من فترتين، وجعله يسمحُ بالترشيح لفترات مفتوحة، يعني إلى آخر الحياة !!

إنها صفعة على وجه الشعب بكامله!

إن الدستور هذا لا معنى له في غالب الدول العربية كما نرى..

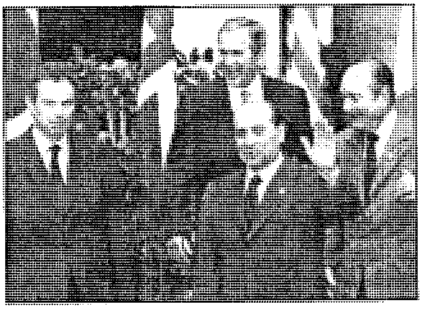
إنه يمكننا أن نعدّل فيه ونغيّر، ونضيف إليه ونحذف، كما يحلو لنا، وكما يروق لأهوائنا، والجيش من ورائنا يهدِّد ويرعد، والشعوب تقبلُ في وجَلٍ، وتُسْحقُ في صمت!

ما هذا يا أمة الإسلام؟!

إننا لسنا في هذا المقال معنيين بتقييم السنوات العشر التي حكمها بوتفليقة للجزائر، ولسنا معنيين كذلك بمقارنة وضع سيئ بوضع كان أسوأ منه، ولكننا نناقش المبدأ الذي بدأ يضيع في نفوس المسلمين، ونناقش القانون الذي لا احترام له

ولا تقدير، ونناقش الزعماء الذين لا يصبرون على مغادرة كرسيِّ الحكم الوثير !!

هل ترك شيراك مثلاً حكم فرنسا لأنه أفسد فيها؟ وهل ابتعد بلير عن حكم بريطانيا لأنّ الشعب يرفضه؟ وهل كان الشعب الروسي يكره بوتين؟ وهل كان الشعب الألماني لا يحب هيلموت كول؟!



احترام الدستور في الدول الغربية

إنّ هؤلاء الزعماء كان أداؤهم مُرْضيًا إلى حدٍّ كبير عند شعوبهم، لكنهم خرجوا من دائرة الحكم لأنّ تعديل الدستور من أجل شخص جريمةٌ في حقّ الشعب كلِّه، مهما كان هذا الشخص..

لقد أصبح الزعماء العرب يشعرون أنهم لو تركوا حُكمَ البلاد فإنها ستضيعُ وتنهار، وكأنّ الأمهات اللاتي أنجبتهم عقمْنَ أن يلدن مثلهم!

ولذلك كُتبَ على أُمَّتنا أن تعيش في زمان الطوارئ السنوات الطوال، فهذه تعيش الطوارئ عشرَ سنوات، وتلك عشرين، وأخرى ثلاثين، ورابعة إلى يوم الدين!

إنّ الزمان الذي نعيش فيه الآن ما عاد يصلُح لبقاء الزعماء حتى آخر نفس يتردد، إنما يصلح لتداول السُلْطة، والاستفادة من عقول الشعوب وآرائها، ولا تجتمع أمَّة الإسلام بإذن الله على ضلالة..

لقد ظهرت لنا بوضوح الآفات الكبرى لبقاء الزعماء في كراسيهم أبدًا..

أولاً: يشعر الزعماء أنّ البقاء في الكرسيّ أصبح غايةً في حدِّ ذاته، ومِن ثمَّ يسخِّر إمكانيات الدولة ويرهقها جدًّا؛ من أجل الحفاظ على هذا الكرسيّ، فهذا يتطلبُ توجيهَ طاقات الدولة المالية والأمنية والعسكرية والإعلامية، بل والدينية لترسيخ البقاء في الحكم .

ثانيًا: يشعر الحاكم بمرور الوقت أنّ الأمر أصبح ملكًا خالصًا له فتنطلق يده هنا وهناك تعبث بمقدّرات الدولة دون رقابة ولا حساب.

ثالثًا: انطلاقًا من النقطة الثانية، وأن البلاد أصبحت مُلكًا خالصًا له، فإنه قد يسعى إلى توريث الحكم لأبنائه، بصرف النظر عن رغبة الشعب أو إرادته.

رابعًا: تتوحش الهيئة الحاكمة مع مرور الوقت، ويزداد طغيانها لطول المكوث في الحكم، ومِن ثَمَّ ينتشر الظلم، وتسود الكراهية، وتصبح القوة هي الوسيلة المثلى لإقرار الأمن والأمان .

خامسًا: يخاف الحاكم من شعبه لكثرة المظالم، فيدخل في دائرة مغلقة من الحرص الشديد على عدم مغادرة الكرسي، لأنه يعلم أن أعداءه من الشعب كُثُرٌ، وبذلك أصبح أمنه الشخصي مرهونًا ببقائه حاكمًا.


الانفلات الأمني رغم تشديد القبضة الأمنية للحاكم

سادسًا: تُهمّش كلُّ الطاقات الفعّالة في الدولة، وتتحول الدولةُ إلى الرأي الواحد والحكم الواحد، حتى في ظل وجود أحزاب وهميَّة لا قيمة لها.

سابعًا: لا يهتم الحاكم كثيرًا بما يرضي شعبه، ويصلحُ أمرَه، لأنّه يضمن البقاء طول عمره في الكرسي، على عكس ما يحدث في أوربا وأمريكا بل ودول أمريكا اللاتينية، بل والكيان الصهيوني! حيث يحاول الحاكم في فترة رئاسته الأولى أن يسترضي شعبه ويخدمه، حتى يُقبِل الشعبُ على اختياره مرة ثانية.

ثامنًا: تُقْتل الهمَّة في نفوس الشعب، ويشعر بالإحباط الشديد، ويفقد الانتماء للدولة، ومِن ثَم يقلّ إنتاجُهم، وتتخلف بلادهم، بل قد يصلون إلى حدّ الكراهية لها، والسعي إلى الهجرة منها، فهي ليست بلدهم، إنما بلد الزعيم!

تاسعًا: تهدر مقدّرات الدولة وثرواتها، وذلك لحساب الحكّام وأعوانهم، ويصبح السؤال عن ثروة الزعيم جريمة لا تغتفر، ويترسّخ الفسادُ ويتغلغل، ويكادُ الإصلاحُ يصبحُ مستحيلاً!

عاشرًا: يرقُب أعداءُ الأمَّة كلّ هذه التداعيات بعناية، ويعرفون موازين القوى في الدولة، وبالتالي تصبح السيطرة على زعيم واحد وعصبته إيذانًا في السيطرة على الدولة بكاملها، وهذا واقع مشاهد في كل بلاد العالم العربي تقريبًا..

فهذه بلوى عاشرة، فتلك عشر كاملة!!

وأعود وأكرر أنّ هذا التحليل لا يقصد به أبدًا التعليق على فترة حُكم بوتفليقة، إنما يناقش المبدأ الذي انكسر بهذا التعديل الدستوري الخاطئ..

وأنا أعلم أن هناك من سيرسل لنا بأن الأوضاع الأمنية قد تحسّنت بشكل كبير في ظلّ حكم بوتفليقة، وأن المصالحة قد أصبحت أمرًا واقعًا، وكلّ هذا - لا شك - أمر محمود نشكر الرئيس بوتفليقة عليه، كما نشكر القوى المختلفة في الجزائر على التعاون من أجل استقرار الجزائر، لكننا يجب أن ننظر بشكل أوسع وأعمق للأمور، ويجب أن نستطلع المستقبل الذي تُقبل عليه البلاد في ظل هذا الوضع، كما يجب أن ننظر إلى الجوانب الأخرى من مسئولية الزعامة والقيادة، فالجانب الأمني مهم جدًّا، ولكنه ليس الجانبَ الوحيد؛ فتقرير التنمية البشرية للعام ٢٠٠٨ يكشف أن الأميَّة ما زالت متفشية في الجزائر، وتصل نسبتها إلى ٢٥,٤٪ في الأفراد الأكبر من ١٥ سنة، وتصل نسبة الفقر في الجزائر إلى ١٨,١٪ من هؤلاء العاطلين من الشباب تحت سن الخامسة والثلاثين.

وفوق كلِّ ما سبق فإنّ إحصائيات تقرير الشفافية تثبت أن الفساد متغلغل بشدة في الأوساط الإدارية والحكومية والسياسية الجزائرية، فقد حصلت الجزائر على ٣,٢ من ١٠ في تقرير الشفافية للعام ٢٠٠٨، وهو ما يثبت أنّ البلاد تحتاج إلى تغيير إلى الأصلح حتى تستقيم الأمور..

وإضافةً إلى هذه الأرقام والإحصاءات فإننا جميعًا نشاهد حالة الإحباط التي وصل إليها الشعب الجزائري، والتي دفعت إلى الفتور عن المشاركة في الانتخابات التشريعية سنة ٢٠٠٧، حتى وصلت نسبة المشاركة إلى حوالي ٣٠٪ فقط، مما ينبئ عن فتور آخر في انتخابات الرئاسة القادمة، وهو ما لا نتمناه أبدًا، حيث سنفقد بذلك رأيَ الشّعب واختياره..

وتبقى الإشكالية الكبرى، وهي أنّه في ظلّ هذه التّداعيات، وفي وقوفِ الجيش وإمكانات الدولة كلِّها خلف بوتفليقة في الانتخابات القادمة، فإنّ الانتخابات تبدو هزليَّة، حيث أصبح بوتفليقة بلا منافس حقيقي، وقد يجد الشعب أنّ بوتفليقة أفضلُ من غيره من المرشحين، أو أنه سينجح على كل حال، ولذلك لا داعي لإرهاق النفس بالوقوف في طوابير الاقتراع..

إننا نعلم أن الوضع في الجزائر الآن ليس غريبًا على العالم العربي، وأنّ ما يحدث هناك يحدث - للأسف - في كل بلادنا، بل لعلّه يحدث في البلاد العربية الأخرى، بصورة أشدَّ وأقسى، لكننا ما ذكرنا هذا الكلام إلا لأننا كنا نرى مثالاً أوشك أن يكون قدوة صالحة، لكنه - للأسف - لم يكتمل..

أعلم أن هذا وضع معقد الآن، والخروج منه صعب، لكنه ليس مستحيلاً، ولعلّ بداية الطريق أن نفقه أنّ ما حدث ما كان ينبغي أن يحدث، وأن هذا خطأ يحتاج إلى إصلاح، ولا داعي للبحث عن تجميل للصورة، وعن بعض الإيجابيات التي تسكِّن الشعوب، وتجعلها ترضى بهمومها دون سعي حثيث للتغيير والنهوض..

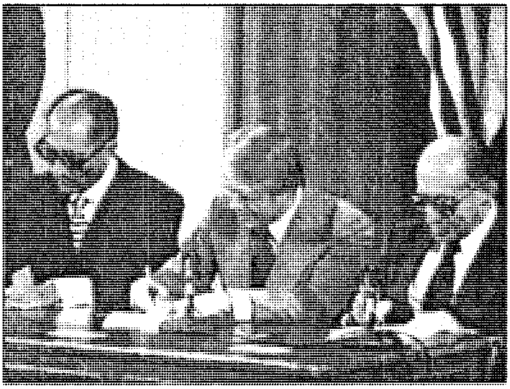
ولي أمل كبير أن أستمعَ إلى آراء الشعب الجزائري الحُرّ، وأن أعرف فيما يفكر، وإلى أيّ طريق يسير، وأن يكتب لي أحبابي هناك - وما أكثرَهُم - عن رؤيتهم من الداخل، وعن واقعهم الذي يعيشون فيه، ومستقبلهم الذي يرغبون فيه..

اللهم احفظ الجزائر، وبارك في أهلها، وارفع قدرهم في الدنيا والآخرة..

وأسألُ الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

(١٥)
كامب ديفيد.. وثلاثون عامًا من السلام [١]

من أكثر الموضوعات التي اختلف عليها المحللون والنقاد معاهدة كامب ديفيد، والتي اتفقت فيها مصر مع الكيان الصهيوني على وقف حالة الحرب، وإرساء السلام بين الطرفين، وذلك برعاية أمريكية في يوم ٢٦ من مارس سنة ١٩٧٩م.


معاهدة كامب ديفيد

لقد عارض الكثيرون، وأيَّد الكثيرون كذلك، وكلٌّ له حُجَّته، وكلٌّ يعرض وجهة نظره، وتوقعاته للنتائج..

وكان المجال في ذلك واسعًا أولَ الأمر، ولكن مع مرور الزمن، بدأت تتكشّف الأمور، وتحولت الظنون إلى حقائق، وظهرت النتائج جلية.. إننا الآن بعد ثلاثين عامًا من سلام كامب ديفيد نستطيع أن نقوِّم التجربة، ونضع أيدينا على السلبيات والإيجابيات، وليس الحديث حديث العواطف، إنما هو حديث الأرقام والأدلة والمعلومات.

ماذا حدث في هذه الأعوام الثلاثين؟!

أولاً: حدث تطور خطير جدًّا في ملف الصراع العربي الصهيوني، وهو الاعتراف الرسمي بدولة إسرائيل، وهذه كارثة أضخم من تخيُّلاتنا، فهي إقرار بملكية الأرض

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢/ ٤/ ٢٠٠٩م.

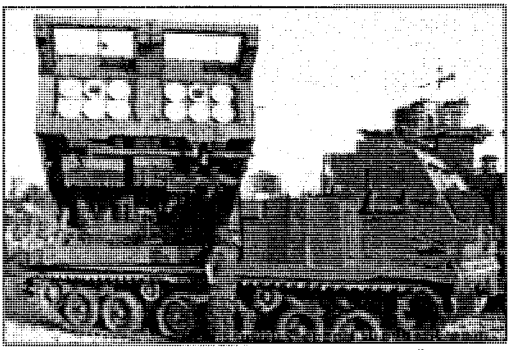
الفلسطينية لليهود، وفيها أعلنت مصر أنها ترغب في استرداد أراضيها في مقابل التنازل عن ٧٨ ٪ من مساحة أرض فلسطين، واعتبرت ذلك شيئًا من الواقعية، ولم يتوقف الأمر عند مصر، بل كانت هذه البداية، ثم أعقب ذلك بسنوات اعترافُ الأردن والمغرب وتونس وجيبوتي وقطر وموريتانيا، بل اعترفت منظمة التحرير الفلسطينية بالكيان الصهيوني، مضيِّعةً بذلك آمال الملايين من المهجَّرين خارج أرض فلسطين. لقد كنا قبل كامب ديفيد نتحدث عن قضية الوجود الصهيوني في فلسطين، ثم صرنا بعدها نتكلم عن الحدود والمستوطنات، وشتَّان!!

ثانيًا: نصَّت معاهدة كامب ديفيد على تحديد عدد أفراد الجيش المصري في سيناء، وقسَّمت سيناء إلى ثلاث مناطق طولية؛ منطقة (أ) في غرب سيناء، وهذه يُسمح فيها للمصريين بقوات لا تزيد على ٢٢ ألف مقاتل. ومنطقة (ب) في الوسط ليس فيها إلا أربعة آلاف جندي من حرس الحدود بأسلحة خفيفة. ثم منطقة (ج) في شرق سيناء، وهي ملاصقة لدولة فلسطين المحتلة بإسرائيل، وهذه ليس فيها إلا قوات شرطة فقط، وبينما يُسمح للقوات العسكرية المصرية أن تبقى فقط في غرب سيناء، فإن القوات المسلحة اليهودية توجد على بُعد خمسة كيلو مترات فقط من الحدود المصرية الشرقية؛ مما يعني أن أي هجوم على سيناء سيعرِّضها لاحتلال سريع مباغت. ولعلنا نأخذ في الاعتبار أن اليهود احتلوا سيناء في ١٩٥٦م في ثلاثة أيام، واحتلوها في ١٩٦٧م في ست ساعات، ففي كم من الوقت سيحدث الاحتلال الآن، والفارق بين القوَّتين العسكريتين يتسع جدًّا لصالح اليهود كما سنبيِّن لاحقًا؟!

إن المتدبِّر في الوضع بعين الإنصاف يدرك أن سيناء - وإن كانت خالية من الجنود الصهاينة الآن - على خطر عظيم، وليس هناك معنى للشعارات العنترية التي تطمئن الشعوب العربية والإسلامية أن سيناء في أمانٍ؛ فإن العاقل من قرأ تاريخه، وتدبَّر واقعه!

ثالثًا: تم فصل مصر عن العرب والمسلمين يوم وُقِّعت هذه المعاهدة، بل قبل

التوقيع بأشهر خمسة عقدت القمة العربية في بغداد في ٢ من نوفمبر ١٩٧٨م وأعلنت رفضها لكامب ديفيد، وتعليق عضوية مصر، ومقاطعتها تمامًا، وتم نقل مقر جامعة الدول العربية من القاهرة إلى تونس، واستمرت هذه المقاطعة ٩ سنوات كاملة حتى عادت العلاقات في ٨ من نوفمبر ١٩٨٧م بالقمة التي عُقدت في عمان، وحتى هذه العودة للعَلاقات لم تكن كاملة، إنما كانت مع ثمانية دول فقط، ولم تكن هذه العلاقات قوية نشطة، بل كانت فاترة. ولعلنا نلمس أثر ذلك حتى زماننا الآن، ونشاهد نتائجه على مؤتمرات القمة العربية، وفقدت مصر بذلك رصيدًا كبيرًا في قيادة العالم العربي، وضيَّعت إيجابيات الوَحدة المهمَّة التي حدثت بعد حرب ١٩٧٣م، وبدأت تبحث عن بدائل لا معنى لها، لدرجة أنه ظهرت حركة ثقافية أيام المقاطعة العربية تدعو إلى نبذ العروبة والإسلامية، والاتجاه إلى الفرعونية والوطنية، وقاد هذه الحملة توفيق الحكيم ولويس عوض وأنيس منصور وغيرهم، ولا شك أن هذا تفتيت هائل للأمة يصبُّ في الأساس في مصلحة اليهود.


تنمية وتطوير القدرات العسكرية للجيش الإسرائيلي

رابعًا: في ظل السلام المزعوم بدأ الكيان الصهيوني في تنمية قدراته العسكرية، واعتبر هذه المرحلة مرحلة إعداد وتطوير، ووصلت التقنية العسكرية اليهودية إلى درجة عالية جدًّا لا تخفى على أحد. ولعلّ الكثير يعجب عندما يعلم أن الكيان الصهيوني في عام ٢٠٠٧م كان رابع دولة على العالم في تصدير السلاح، وأنه في السنوات الثمانية الأخيرة كانت دومًا في المراكز السبعة الأولى على العالم، وأنه كذلك يسبق دولاً عتيقة في صناعة السلاح مثل بريطانيا وكندا والصين.

وعلى الرغم من هذا التطور العسكري الفائق فالكل يلاحظ في نفس الوقت أن

التطور العسكري في البلاد العربية ومصر لا يجري على نفس النسق، بل إن الدول العربية بكاملها من الدول المستوردة للسلاح، ولا جدال في ذلك، وفوق ذلك فإن بيانات البنك الدولي تشير إلى انخفاض نسبة الإنفاق على الجيش المصري من ١٦،٣٪ عام ١٩٩٥م إلى ٩،٩٪ عام ٢٠٠٦م، وهو تراجُع كبير في الميزانية له دلالات خطيرة.

خامسًا: نتيجة التفوق العسكري اليهودي، ونتيجة التدهور العربي الملموس، ونتيجة انفراط العِقْد، وتفكُّك الوَحدة، ونتيجة معاهدة السلام التي كبَّلت مصر، ومنعتها من الاعتراض على التعدّيات الصهيونية، وجدنا عربدة صهيونية فاضحة في سماء العالم العربي!!


تدمير لبنان

فاليهود لم يصبروا كثيرًا بعد توقيع الاتفاقية، وإخراج مصر من المعادلة العربية، إنما توجَّهُوا بعدها بسنتين تقريبًا، وضربوا المفاعل النووي العراقي في يونيو ١٩٨١م، وقاموا بما هو أكبر وأعتى في عام ١٩٨٢م حيث احتلوا نصف لبنان تقريبًا، وحاصروا بيروت، وتدخَّلت مصر كوسيط للسلام! فتوسطت للسماح لياسر عرفات ومنظمة التحرير بالانتقال إلى تونس، وواصل اليهود تعدّيهم، وضربوا تونس في عُقْر دارها في عام ١٩٨٥م، وكذلك مجزرة قانا في جنوب لبنان ١٩٩٦م، وضربوا سوريا جنوب دمشق في عام ٢٠٠٧م، بل وصلت طائراتهم إلى السودان في يناير ٢٠٠٩م، وقاموا بعِدَّة غارات عسكرية كما سمعنا مؤخرًا، فضلاً عن الضرب المستمر للشعب الفلسطيني، وخاصة ما حدث في مخيم جنين٢٠٠٢ م، واغتيال الشيخ أحمد ياسين والدكتور عبد العزيز الرنتيسي في ٢٠٠٤م، وحصار بيت حانون ثم غزة في عام ٢٠٠٦م، ثم أخيرًا حصار غزة وقصفها في أواخر ٢٠٠٨م، وقد تخلَّل ذلك الحرب

المدمرة التي قام بها الصهاينة ضد لبنان في سنة ٢٠٠٦م .

إنها النتائج المباشرة لتحييد الجانب المصري - القوة الكبرى في المنطقة - والانطلاق يمينًا وشمالاً دون رادع أو رقيب.

سادسًا: نسفت هذه المعاهدة ما بناه الفلسطينيون على مدار عِدَّة سنوات، وشُلَّ مشروع المقاومة، وتاهت منظمة التحرير الفلسطينية بين العرب بعد خروج مصر منفردة، ثم ركعت منظمة التحرير، ووقَّعت اتفاقية أوسلو في سنة ١٩٩٣م، وبعدها بثلاث سنوات، وتحديدًا في ٢٤ من إبريل سنة ١٩٩٦م حذفت منظمة التحرير الفلسطينية من دستورها كل البنود التي تصف اليهود بالأعداء، وحذفت كذلك كل ما يلغي الاعتراف بإسرائيل كدولة.



مباحثات أوسلو وتركيع منظمة التحرير الفلسطينية

وهكذا تهاوت مقاومتها تمامًا، بل ودخلت في صراع داخلي مع الذين تمسكوا بحق التحرير للبلاد، وبحق العودة للاجئين، وظهر الانقسام الفلسطيني بشكل سافر، وأدى هذا إلى عرقلة كل مشاريع الوَحدة بين الفصائل المختلفة، وصار البعض ينادي بالسلام كخيار استراتيجي، والآخر يطالب بالجهاد حتى تحرير الأرض، وما زال الصراع - كما يعرف الجميع - مستمرًّا حتى لحظتنا هذه!

سابعًا: كنتيجة مباشرة لعملية السلام دخلت مصر، ومن بعدها دول العالم العربي كلها تقريبًا، في أحضان أمريكا !لقد كانت أمريكا ترعى مباحثات السلام بقوة، وليس هذا - بلا شك - من أجل عيون المصريين، إنما كانت تحرص في المقام الأول - ولعله في المقام الأخير كذلك - على مصلحة اليهود، ومن أجل اليهود عرضت أمريكا على مصر المساعدات الأمريكية (المعونة) لكي توقِّع الاتفاقية، ووقَّع

المصريون، وجاءت المعونة، والتي كانت في البداية ٢٠٠ مليون دولار سنويًا، أخذت في الازدياد حتى فاقت المليار دولار سنويًا، ثم تناقصت الآن من جديد، والثمنُ أن يكون توجُّهنا أمريكيًّا خالصًا، لا روسيًّا ولا صينيًّا ولا حتى أوروبيًّا؛ فالمساعدة أمريكية، والسلاح أمريكي، والمستشارون أمريكان، والوسطاء أمريكان، بل وقوات حفظ السلام الموجودة في سيناء تحت قيادة أمريكية، ويمثِّل الأمريكان فيها ٤٠٪ من الجنود! كل هذا التوجُّه لأمريكا والجميع يعلم أن أمريكا لن تخذل اليهود، ولن تقوم بما يضرُّ مصالح الصهاينة، ولن تصدِّر سلاحًا إلى العرب إلا إذا صدَّرت أفضل منه لليهود، ولن تتوسط إلا لصالح اليهود، وتحولت أمريكا إلى قطب واحد يتسابق الجميع إلى مصادقته أو اتِّباعه، وهو وضع لم يكن على الساحة أبدًا قبل معاهدة السلام.

ثامنًا: حدثت بعد معاهدة السلام كارثة التطبيع، وكارثة التعامل الاقتصادي مع الكيان الصهيوني، وفُتحت مكاتبُ التمثيل التجاري مع اليهود في أكثر من دولة عربية، وكان أخطر التعاملات الاقتصادية مع مصر والأردن؛ فأما مصر فقد صدَّرت - للأسف الشديد - الغاز المصري إلى الكيان الصهيوني، وكان ذلك في عام ٢٠٠٥م، وبشكل سرِّي مفاجئ، وقضت الاتفاقية بتصدير ١٫٧ مليار متر مكعب سنويًا من الغاز الطبيعي لمدة ٢٠ عامًا كاملة، وبسعر يتراوح بين ٧٠ سنتًا و١٫٥ دولار لمليون وحدة حرارية، بينما السعر الطبيعي للغاز المصري يصل إلى خمسة دولارات، ويصل سعر التكلفة إلى ٢٫٦٥ دولار! وهذا يعني أن اليهود يأخذون الغاز بخسارة اقتصادية على مصر، وحتى لو كان هناك ربحٌ، فتمويل الكيان الصهيوني بالطاقة أمر لا يُتخيَّل، وبرغم الاحتجاجات الكثيرة، وبرغم حكم محكمة القضاء الإداري



تصدير الغاز المصري لإسرائيل

المصرية بوقف قرار الحكومة بتصدير الغاز إلى اليهود، إلا أن ضخ الغاز ما زال مستمرًّا!

أما الأردن فقد أقامت عدة مصانع يهودية في أرضها، وزادت من التبادل التجاري مع الكيان الصهيوني، ولقد وصل التعامل معها في عام ٢٠٠٧م إلى ٣٠٦,٩ مليون دولار، واشترطت أمريكا في اتفاقية الكويز الشهيرة في سنة ٢٠٠٤م، أن تكون الصادرات المصرية إلى أمريكا تحتوي على أحد المكوِّنات الإسرائيلية حتى تُعفى من الجمارك، وهو إغراء اقتصادي يدفع في اتجاه زيادة العلاقات الاقتصادية مع اليهود.

ولا يخفى على أحدٍ أن المصانع اليهودية تنتج مواد تحتاج إلى سوق للتسويق، وأن العالم العربي سوق كبير سوف يخدم المستثمرين اليهود بشكل ملموس، أما الفائدة التي ستعود على العالم العربي فمحدودة؛ فالكيان الصهيوني دولة من عشرات الدولة البديلة في العالم، والتي من الممكن أن نصدِّر لها موادَّنا الخام، والمشكلة الكبرى أن الأمر لم يعُدْ على نطاق الحكومة، بل سُمح لرجال الأعمال الكبار أن يتعاملوا مع الكيان الصهيوني، سواء بالاستيراد أو بالتصدير، ولعل الجميع يعرف التعاملات التجارية التي أدت إلى شراء الأسمنت المصري لبناء الجدار العازل في فلسطين المحتلة.

تاسعًا: نتيجة معاهدة السلام سُمح للسياح اليهود بدخول سيناء، وبدون تأشيرة، ومِن ثَمَّ توافدت أعداد ضخمة من السياح إلى شرم الشيخ ودهب ونويبع وطابا والطور، وبلغت هذه الأعداد في عام ٢٠٠٦م - على سبيل المثال - حوالي ١٧١ ألف سائح، وأقل ما توصف به السياحة اليهودية بأنها سياحية فاجرة غير أخلاقية بالمرة، وهذا وغيره أدى إلى إباحية هذه المناطق بصورة كبيرة، ولقد دفع كثير من الشباب المصري دينه ثمنًا لهذه السياحة! وفوق ذلك فهي سياحة فقيرة لا تنفق

كثيرًا من المال لصالح التجارة المصرية، كما أنها تتطلب حراسة أمنية خاصة تحمِّل الدولة أعباءً اقتصادية وأمنية وسياسية كبيرة.

عاشرًا: إضافةً إلى كل ما سبق تبقى مشكلة من أكبر المشكلات في معاهدة السلام، وهي نزع كل ما يشير إلى عداء الكيان الصهيوني من مناهج التعليم، وكذلك من وسائل الإعلام، وهذا من أخطر آثار معاهدة كامب ديفيد؛ حيث سيؤدي هذا الأمر إلى نشوء أجيال رخوة لا تعرف عدوَّها من صديقها، ولا تمانع في أن ترى الفلسطينيين يُشرَّدون في البلاد، بينما نبحث عن حق الشعب اليهودي في الحياة، وهذه كارثة كبرى في الحقيقة، فإن كل ما ذكرناه قبل ذلك قد يكون مشكلة بالنسبة لأحد الأجيال، أما تدمير الأجيال اللاحقة فهي جريمة تعلو غيرها من الجرائم.

هذه هي البَلِيَّة العاشرة في معاهدة كامب ديفيد..فتلك عشر كاملة!!

وبعد..

فهناك من يقول: لقد نعمت مصر بالسلام فوجَّهت ثرواتها إلى التنمية والإصلاح بدلاً من الحروب؛ لكن للأسف الشديد، وفي ظل الفساد الإداري والمالي والسياسي فإنَّ حدَّة العجز في الميزان التجاري قد تزايدت، وكذلك زاد الدَّين المحلي، واستمرت الديون الخارجية، وتدنّت نسبة الاستثمارات العامَّة، وتفاقم العجز في الموازنة العامة، وكل هذا له انعكاساته على الشعب المصري، وطالِعُوا نسب البطالة، والبطالة المقنَّعة، وطوابير الخبز، وارتفاع الأسعار، وجنون الحديد والأسمنت والعقارات، وتأخر سن الزواج، ومعدّلات الهجرة المتزايدة، والمراكب التي تغرق بشباب يهربون من ذُلِّ المعيشة في الداخل إلى ذلها في الخارج!

وهناك من يقول: لقد حُفظت أرواحنا، وسلمنا من القصف والعدوان؛ وأقول لهم: إن هذا كله إلى أجلٍ، وسوف يغدر اليهود يومًا ما، وعندها ستكون الفاجعةُ

كبرى، وستكون الأزمة عظمى، ثم إنني على يقينٍ أن الحياة مرفوع الرأس ساعةً خيرٌ من الخلود أبد الدهر في هوانٍ.. ولن نكون أقل من عنترة بن شداد حين قال:

لا تَسقِني ماء الحياةِ بذِلَّة　　　بل فاسقني بالعزِّ كأسَ الحنظلِ

ماءُ الحياة بذِلَّة كجهنم　　　وجهنمٌ بالعزِّ أطيبُ منزل

وجهنم التي يقصدها الشاعر ليست جهنم الآخرة، فهو لم يكن مؤمنًا أصلاً، ولكن حرّ النار في الدنيا أهون من الذل الذي نعانيه ونحن نرى إخواننا وأبناءنا ونساءنا يُقتّلون على بُعد أميال منا، فلا ننصرهم بحُجَّة أننا قد تعاهدنا مع قاتلهم على السلام!.

وقد يقول قائل: وأين البديل؟!

أقول له: يا أخي، ويا أختي، ألم تقرءوا قول الله تعالى:

﴿أَلَيْسَ اللهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ وَمَن يُضْلِلِ اللهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٣٦].

إنني لا أهابُ اليهود، ولا أخشى سطوتهم..

كيف يخشى اليهود أو أمريكا من يعتمد على ربِّ العالمين؟!

وكيف نُوالِي كيانًا صهيونيًّا مغتصبًا، ولا نوالي المؤمنين من العرب والمسلمين؟!

وكيف نصدِّق وعود اليهود وعهودهم، ولا نصدِّق ما قاله ربُّنا في كتابه: ﴿أَوَ كُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

إننا لم يُكتب علينا أن ندفع ثمن الأخطاء التي وقعت فيها الأجيال السابقة، فالعالم كله يراجع اتفاقياته ومعاهداته، وينسحب منها إن رأى أن أضرارها أكبر من منافعها..

إن ثلاثين عامًا من الاستسلام كافية، وآنَ للأُمَّة أن تعود إلى رُشدها، وصدقوني أيها المسلمون ..لو أنّ اليهود قادرون على غزونا واحتلالنا لما تـأخروا، فلِـمَ الرَّهْبـة والجزع؟! وكيف يفشلون في دخول غزة، وينجحون في اجتياح عِـدَّة دول مهـما قـلَّ عتادها، أو ضعفت إمكانياتها؟!

إنني أعلمُ أن القرار جريء، وأن الإعـداد طويـل، ولكـن الأمـر يبـدأ بعزيمـة مخلصة، وفَهْم عميق، وقبل ذلك وبعده، يقين في الله ﷻ، وحُسن التوكُّل عليه..

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وأسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(١٦)
أمريكا وتدمير العراق !! [١]

لا ينكر أحد أبدًا أن فترة حكم صدام حسين للعراق كانت فترة كئيبة حزينة، دفع فيها الشعب العراقي الكثير والكثير من ثرواته وحريته، وحُكم فيها العراق بالحديد والنار، وأصبح القهر والظلم والاستبداد هي السمات الغالبة على طريقة سياسة الناس، تمامًا كما يحدث في معظم البلاد العربية .

وترقب كثير من أبناء الشعب العراقي يوم الخلاص من الطاغية الجبار، وفعلوا كما يفعل الناس يوم القيامة، فإنهم من هول ذلك اليوم يظنون أن النار أهون، فيسألون الله الحساب ولو إلى النار!


حكم صدام الديكتاتوري للعراق

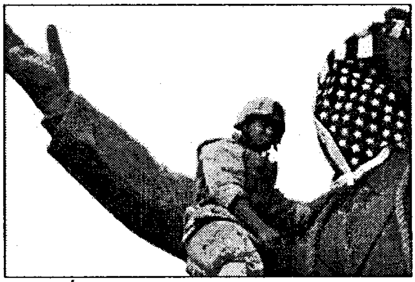
وهكذا ظن كثيرٌ من أفراد الشعب العراقي أن الخلاص من صدام هو الغاية، ولو إلى الأمريكان!

وحدث ما تمناه البعض، وما يتمناه كذلك الكثير من أبناء الدول العربية الأخرى، حيث تعاني الشعوب من قهر حكامها فيلجئون إلى الزعامات ذات التوجُّه الأمريكي الواضح؛ أملاً في أن تنظر أمريكا إلى البلد بعين الرأفة بعد إزاحة طغاتها. ولقد سمعتُ بأذني أكثر من واحد يقولون: يا ليت أمريكا تأتي إلى بلادنا كما ذهبت إلى العراق، فتقيم حكمًا ديمقراطيًّا، وتُقِرّ انتخابات نزيهة، وتزيل طُغمة حاكمة ظالمة، وتسمح للشعب أن يختار قيادته وممثليه، بل إنني قابلتُ عراقيًّا في أيرلندا

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٠/ ٤/ ٢٠٠٩م.

يلومني بعد إلقائي محاضرة هناك؛ لأنني في آخر المحاضرة دعوت الله ﷻ أن يحرِّر العراق، ووجهُ اللوم أنه يرى أن الجيوش الأمريكية جيوش صديقة أتت برضا النظام الحاكم، وقد أزالت الطاغية صدام الذي استحالت الحياة تحت حكمه !!

وأنا لا أتعجب من سعادته لذهاب صدام، فقد كان طاغية حقًّا، ولكني أتعجب من أنه لا يرى الحال الذي آلت إليه العراق بعد الاحتلال الأمريكي.


يوم سقوط بغداد وبداية الاحتلال الأمريكي

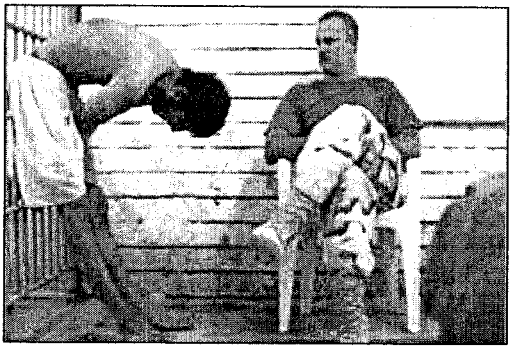
إننا عند سرد النظريات نتكلم كما نشاء، ونفترض كما نشاء، ونحلِّل كما نشاء، ولكن بعد مرور ست سنوات على الاحتلال خرج الأمر من طور التنظير والتوقع إلى طور تحليل الواقع المرئيّ، والأحوال المشاهدة.

إننا نستطيع الآن أن نقوِّم التجربة، وأن نرى النتائج، وأن نعلم حالة الشعب العراقي بعد ست سنوات من دخول أمريكا إلى الأرض العراقية..

أولاً: قتلى الشعب العراقي في هذه السنوات الست بلغ عددًا لا يمكن تخيله!

قدَّر مركز استطلاعات الرأي الإنجليزي ORB عدد القتلى العراقيين من إبريل ٢٠٠٣ إلى أغسطس ٢٠٠٧ (قبل ما يقرب من عامين) بمليون وثلاثة وثلاثين قتيلاً!! وهو رقم هائل، ولكنه ليس عجيبًا بالقياس إلى عدد القتلى الذي نشاهدهم على شاشات التليفزيون كل يوم، وقد تعددت أسباب الوفاة، ولكن الموت واحد. وقد ذكر مركز الاستطلاع أن عدد القتلى الذين قتلوا برصاص الأمريكان وصل إلى ٤٠٪ من القتلى، إضافةً إلى ٨٪ قُتلوا عن طريق غارات جوية. ولا شكَّ أن هذه الأرقام المفزعة أكثر بكثير مما كنا نراه أيام صدام، مع بشاعة ما كان يحدث أيام صدام، فقد دأبت المصادر على تصوير إجرام صدام عندما قتل خمسة آلاف في قرية حلبجة الكردية، وهو رقم كبير ولا شكَّ، ولكن أين هو من المليون؟!

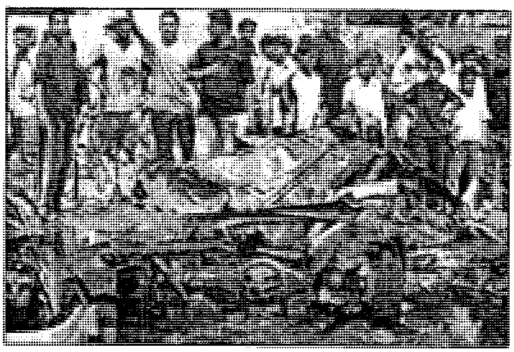
ثانيًا: ذكرت منظمة هيومان رايتس ووتش في تقريرها عن العراق عام ٢٠٠٨ أن عدد المحتجزين في السجون العراقية بشأن قضية الاحتلال ومقاومة المحتل الأمريكي بلغ عدد ٢٤ ألف معتقل في عام ٢٠٠٨، وليست المشكلة فقط في مجرد الاحتجاز، ولكننا جميعًا شاهدنا ما يحدث في سجن أبي غريب من إهانة وامتهان لكرامة المسلمين، وذلك بصورة لفتت أنظار العالم أجمع، كما نعلم.



التعذيب في سجون الاحتلال

ثالثًا: بلغ عدد المشردين العراقيين ٤،٨ مليون عراقي !وقد ذكرت منظمة هيومان رايتس ووتش في تقريرها أن حوالي ٢ مليون من هؤلاء مشرَّد خارج الحدود العراقية، وأغلبهم في سوريا والأردن، وهذا يعني أن خُمس الشعب العراقي المتبقي بعد القتل أصبح مشردًا. كما أن مستقبل الجميع في خطر شديد، ليس أمنيًّا فقط، وليس اقتصاديًّا فحسب، ولكن لأن الكثير منهم من الأطفال الذين فقدوا عائلهم، وقد ذكرت إحصائيات اليونيسيف أن هذا القتل البشع في العراق قد خلَّف من ٤ إلى ٥ ملايين يتيم تعولهم ١،٥ مليون أرملة!

رابعًا: حالة الفوضى الأمنية التي تتعرض لها العراق الآن غير مسبوقة في تاريخ العراق كله، بل لعلها غير مسبوقة في تاريخ المنطقة بكاملها. ولعلَّنا إذا قارنا الوضع بما يحدث في فلسطين لأدركنا الكارثة، فإن فلسطين تتعرض لمشكلة كبيرة جدًّا تحت



تدهور الوضع الأمني العراقي بعد الاحتلال

الاحتلال الصهيوني، ومع ذلك فمصابهم أقل بكثير مما نراه في أرض العراق، وليس هذا تقليلاً من الأزمة الفلسطينية، ولكنْ لفت الانتباه لحجم المشكلة العراقية.

خامسًا: كيف كان الجيش العراقي قديمًا، وكيف صار الآن؟ اسألوا أنفسكم يا من توقعتم الخير للعراق بعد دخول الأمريكان! لقد سُرِّح الجيش العراقي بأكمله تقريبًا، وبعد أن كانت العراق القوة السادسة عسكريًّا على مستوى العالم، وكان جيشها أقوى جيوش الشرق الأوسط، وكان يبلغ من العدد أكثر من مليون جندي سنة ١٩٩٠م، وهو بذلك رابع جيش في العالم من ناحية العدد، صارت دولة بلا جيش أصلاً. ولا يخفى على أحد أن ما يسمَّى الآن بالجيش العراقي، والذي تقوم القوات الأمريكية المحتلة بتدريبه، ما هو إلا قوات هزيلة تهدف إلى حفظ الأمن الأمريكي قبل العراقي، وهذه القوات لا تملك بحالٍ من الأحوال طاقات الجيوش، ولو خرج الأمريكان في يوم ما فإنَّ هذا الجيش لا يقوى على دفع أي جيش محتل آخر، سواء كان صهيونيًّا أو إيرانيًّا.


الجيش العراقي السادس عالميًا وقت حكم صدام

سادسًا: من الناحية العلمية أصبحت دولة العراق متخلفة بمعنى الكلمة، فقد دُمِّرت البنية التحتية العلمية تمامًا، وأغلقت الجامعات الكبرى، بل ودمرت الآلاف من المدارس، وتسابقت العقول العراقية المتميزة في الخروج من العراق، والهجرة إلى أي مكان في العالم. والعجيب أن الدول التي احتلت العراق هي من أكثر الدول التي تستقبل المهاجرين العراقيين من العلماء، وقد بلغ عدد الأطباء العراقيين الذين هاجروا إلى



هجرة التخصصات العلمية

بريطانيا فقط أكثر من ألفي طبيب، فإذا أخذنا في الاعتبار أن الطبيب العراقي كان يكلِّف دولته في السبعينيات حولي ٤٥ ألف دولار لكي يُنهي دراسته التخصصية، علمنا أن الخسارة المادية بلغت نحو ١٠٠ مليون دولار (بحساب السبعينيات) في بريطانيا فقط، وبسبب هجرة الأطباء فحسب، فضلاً عن الخسارة العلمية بمغادرة هؤلاء للعراق، فضلاً عن الخسارة الصحيَّة الناتجة عن فَقْد الأطباء، فإذا أضفت إلى ذلك هجرة العلماء والمهندسين والفلكيين والمحاسبين وغيرهم من التخصصات علمت مدى الفاجعة التي نكبت بها دولة العراق.

وقد وصل الأمر إلى أن تقرير الاتجاهات الاقتصادية الاستراتيجية الصادر من القاهرة، والذي يشرح الحالة العلمية في الدول العالمية، ويعتمد على تقريرات من البنك الدولي، قد فشل في معرفة عدد العلماء أو الفنيين في العراق بالنسبة إلى عدد السكان، وذلك للندرة الشديدة لهم، إضافةً إلى فقْد الوسائل العلمية للإحصاء في ظل الوضع الأمني المتردي في الدولة.

سابعًا: الوضع الاقتصادي في العراق لا يحتاج إلى تعليق، فبعد أن كانت العراق من أغنى دول العالم، ومن الدول التي تستقبل العمال والفلاحين والمهنيين الراغبين في الثراء، تبدَّل الحال تمامًا حتى أصبحت من أفقر دول العالم! مع أنها تعوم على بحيرة من النفط تختزن ثاني مخزون بترولي في العالم، فضلاً عن بقية الثروات المعدنية والزراعية. لقد كانت صادرات البترول العراقي في سنة ٢٠٠١ تبلغ ١٥,٥ مليار دولار على الرغم من الحصار الأمريكي، فأين كل ذلك الآن؟! لقد ذكر تقرير التنمية البشرية لعام ٢٠٠٥ أن نسبة الفقر في العراق تجاوزت ٦٠٪، وأن البطالة المعلنة أكثر من ٣٨٪، هذا إضافةً إلى ٢٢٪ من البطالة المقنَّعة، مما يعني أن ٦٠٪ من الشعب المتبقي بعد القتل لا يجد عملاً أصلاً، فضلاً عن فقر الدولة وانتكاسها.

ثامنًا: دعمت أمريكا الفتنة الطائفية في العراق، وأعلنت بمجرَّد دخولها عن رغبتها في رفع الظلم عن الطوائف المقهورة أيام صدام، وبذلك فتحت مجالاً واسعًا

للشيعة بشكل خاص، وصاغت الدستور العراقي بالطريقة التي تجعل خروج رئيس الوزراء شيعيًّا بشكل إلزامي، والدستور يعطي رئيس الوزراء صلاحيات اختيار الوزراء، إضافةً إلى شغل منصب القائد العام للقوات المسلحة، وبذلك يستطيع رئيس الوزراء الشيعي أن يختار من يشاء من طائفته في المناصب السيادية، ولن يمر هذا بهدوء في الشعب العراقي السُّنِّي، وسيحدث صراع وقتال وتصادم. ومع أن هذا التصادم لم يحدث على مدار عشرات السنين إلا أنه حدث - وبضراوة - في ظل الاحتلال الأمريكي.


أمريكا تشعل الفتنة بين السنة والشيعة بالعراق

وقد يتساءل بعض القُرّاء عن سر ميل أمريكا للشيعة، وذلك له خلفيات كثيرة، ومسائل توازنات في المنطقة، ولعلّنا نتحدث عن هذا الأمر في المقالات القادمة. لكن ينبغي أن نلفت انتباه القراء إلى خداع الأمريكان للعالم الإسلامي عن طريق التهديدات الوهميَّة لدولة إيران، وراجعوا مقالي السابق "بعبع تحت السيطرة"(١)، الذي يتحدث عن هذا الجانب من الصورة. كما ينبغي أن نلفت انتباهكم كذلك إلى أن أوباما قد أبلغ الزعيم الديني الإيراني الشهير خامنئي بتهانيه بمناسبة عيد النيروز الفارسي!! (الجزيرة ٩ من إبريل ٢٠٠٩م).

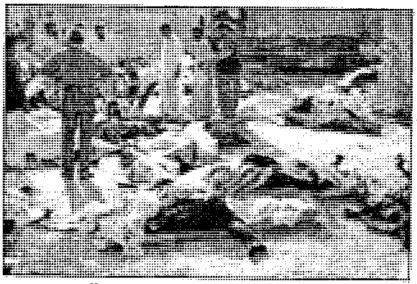
وعودة إلى الفتنة الطائفيَّة، فقد حصدت أرواح الآلاف والآلاف من أبناء الشعب العراقي، ودخل الجميع في نفق مظلم طويل.

تاسعًا: سمعنا كثيرًا من الزعماء الأمريكان أنهم سيخرجون بعد فترة قصيرة جدًّا من تحرير العراق من رئيسه صدام! ومرَّ شهر وشهران وثلاثة، ومرت سنة وسنتان وثلاثة، والآن مرت ست سنوات، والقوات الأمريكية ما زالت قابعة في

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٧/ ٧/ ٢٠٠٨م.

الأرض العراقية، ويبلغ عدد القوات الأمريكية في أرض العراق فقط حوالي ١٤٦ ألف مقاتل، فضلاً عن القوات الأمريكية في الكويت وقطر، ودعَّم أوباما - الذي وعد كثيرًا بسحب القوات الأمريكية من العراق - هذه القوات بزيارته لها بشكل مفاجئ، وذلك في ٨ من إبريل ٢٠٠٩ بعد أقل من ثلاثة أشهر من توليه الرئاسة! مما يعني أن عملية سحب القوات - إن كانت حقيقيَّة - فهي ليست في القريب العاجل.

عاشرًا: بهذا السحق للشعب العراقي وحكومته، وبهذا التدمير الرهيب للجيش والدولة، فقدت المنطقة توازنها التاريخي، وبدأت إيران في التدخُّل المباشر في أرض العراق، بل وقامت بالتهديد السافر الواضح للبحرين والإمارات. ويجب على الجميع أن يتوقع أنه عند خروج الجيش الأمريكي فإنَّ معظم الأنظمة التي تحيط بإيران لن تقوى بحال على صَدِّها، خاصةً إذا وضعنا في الحسبان التنامي المستمر لحزب الله في لبنان، إضافةً إلى السيطرة العَلَويَّة في سوريا، وهذا كله يشير إلى مستقبل خطير لا بُدَّ من دراسته بعمق.

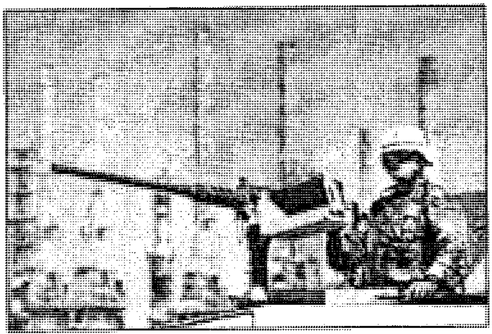


سحق وتدمير الشعب العراقي

كانت هذه هي الكارثة العاشرة لاحتلال أمريكا للعراق ..فتلك عشرة كاملة!!

يبقى أن نقول إننا لا نذكر كل هذه الحقائق والإحصائيات ليشعر المسلمون بالإحباط واليأس، فإن الجيوش المحتلة حتمًا ستخرج، وإنَّ البلاد العراقية حتمًا ستحرَّر، ولكننا ذكرنا كل هذه الحقائق لنخرج بالعِبْرة الكبرى من كل هذه القصة.. وهذه العبرة هي أنه مهما تفاقم ظلم الظالمين في البلاد المسلمة فإنَّ البديل لا يكون أبدًا في الاحتلال الأجنبي لهذه البلاد، ولقد رأينا أن الأمريكان أنفقوا في هذه الحرب حتى الآن أكثر من خمسمائة مليار دولار، فهل ساهمت أمريكا بهذا المبلغ شفقةً على

أهل العراق من صدام؟! أم أن الأجندة الأمريكية تحمل أهدافًا أخرى، في مقدمتها تدمير هذه القوة المتنامية في العراق، وحفظ أمن الصهاينة، ونهب المقدرات البترولية الثمينة، والاقتراب من العدو التقليدي روسيا، والتمركز في داخل بلاد الإسلام، وغير ذلك من أهداف عدوانيَّة لا تمتّ للشرف والفضيلة والأخلاق بشيء؟!



السيطرة الأمريكية على نفط العراق

إننا بعد أن رأينا هذه الصورة المفجعة للواقع العراقي لا نطالب الشعوب العربية بقبول حكامها الطغاة، ولا نطالب بالرضا بأمثال صدام حسين، ولكن نطالب كل شعب أن يبحث عن الآليات المناسبة للخروج من أزمته، ولرفع الظلم عن كاهله، على ألاّ تكون هذه الوسيلة هي جلب قوات محتلة إلى البلاد قد لا تخرج قبل عشرات السنين.

إنها رسالة واضحة إلى الشعب العراقي، وإلى الشعوب المسلمة في كل مكان:

ما حكَّ جِلدَكَ مثلُ ظُفرِكَ ... فتولَّ أنتَ جميعَ أمرِكَ

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(١٧)
بيان إلى حكام العرب والمسلمين.. «إني لكم ناصح أمين»[(١)]

من المؤكد أن قيمة الحاكم في الشّرع عظيمة، ومسئوليته جليلة، وهو من أقرب الناس إلى الجنة لو كان عادلاً، ولقد ذكر رسولنا ﷺ أن الله ﷻ يُظِلُّ بظله يوم القيامة سبعةَ أصناف من عِباده، فبدأ بالإمام العادل[(٢)]؛ لأن صلاح هذا الإمام وعدله لا يعود عليه فقط، ولا يعود على مجموعة من الأفراد فحسب، بل يعود على الأمة كلها. ومن هنا كان لزامًا على كل المخلصين أن يوجِّهوا نصحهم وإرشادهم إلى الحكام وولاة الأمر حتى يبصِّروهم بما ينبغي فعله، وبما يصلح شأنهم وشأن الرعيَّة؛ ولذلك فإنَّ رسول الله ﷺ قال في الحديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». ولما سألوه: لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»[(٣)]. فبدأ بأئمة المسلمين؛ لأن صلاحهم صلاح الأمَّة، وفسادهم فساد الأمَّة.

ومن هذا المنطلق وجدت واجبًا عليَّ أن أرسل هذه النصيحة المتجردة لله ﷻ لكل حُكَّام العرب والمسلمين، وأنا على يقين أن الله ﷻ سيحملها عنّي إلى الحكام الذين يحملون في قلوبهم خيرًا؛ عسى الله ﷻ أن يغيِّر من أحوالنا إلى الأصلح والأفضل.

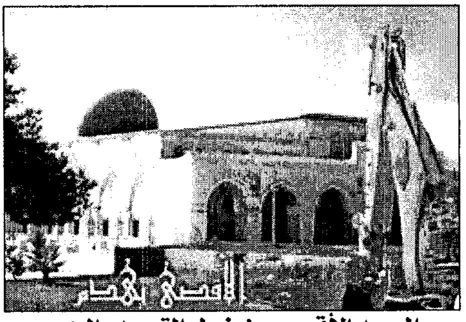
---

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١٤/ ٥/ ٢٠٠٩م.

(٢) البخاري: كتاب الجماعة والإمامة، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (٦٢٩)، ومسلم: كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (١٠٣١).

(٣) مسلم: كتاب الإيمان، باب بيان أن الدين النصيحة (٥٥)، وأبو داود (٤٩٤٤)، والنسائي (٤١٩٧)، وأحمد (١٦٩٨٢).

وسبب هذا التوقيت في إرسال الرسالة هو التزامن مع مرور إحدى وستين سنة على إعلان دولة الكيان الصهيوني في فلسطين الحبيبة، وإذا كنا نقول: إنّ هناك أدوارًا على كل المسلمين في تحرير فلسطين، فإنَّ الحكام عليهم أضعاف أضعاف هذه الأدوار، فعلى قدر المكانة تكون المسئولية، والزعامة - في تصوري - ليست تشريفًا إنما هي تكليف. أسأل الله أن يهديكم ويهدينا إلى سواء الصراط.


المسجد الأقصى بين خطر التهويد والهدم

السادة الأجِلاَّء حكام العرب والمسلمين..

لا يغيب عن حضراتكم - أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - الوضع المؤلم الذي تمرّ به الأرض المباركة، والأزمة الطاحنة التي تعيشها أمتنا، وهي ترى أولى القبلتين، وثالث الحرمين، ومسرى رسولنا الأكرم ﷺ في أيدي الصهاينة المعتدين، والسنوات تمرّ فلا نرى إلا ديارًا مهدَّمة، وأراضي مجرَّفة، وحُرماتٍ منتهكة، والآلاف من الشهداء، وعشرات الآلاف من المأسورين، ومئات الآلاف من المحاصَرين والمجوَّعين، وملايين المشردين.


الرؤساء والملوك العرب

والسؤال: إلى متى هذا الهوان؟!

أليس هناك سبيل لتحرير الأرض المباركة؟

أليس هناك وسائل لإرجاع الحقوق إلى أصحابها؟

إنَّ البعض قد يرى القضية معقَّدة غاية التعقيد، وقد نختلف عند البحث عن طرق الحل، فنقترح عشرات ومئات الحلول، ثم نرى أن هذه الحلول ما أسفرت عن

شيء، وما حققت تقدمًا، فلا بُدَّ إذن من وقفة، وإعادة النظر في الموضوع برُمَّتِهِ.



الحرب الصهيونية على غزة

وإني - أيها الحكام الكرام - قد قرأتُ التاريخ، ووعيت دروسه، ورأيت مثل هذا الموقف عشرات المرات، فكم من بلاد المسلمين احتُلَّ قبل ذلك، وكم من الأزمات مررنا بها، ولاحظتُ أن آليات الخروج من هذه الأزمات واحدة، ولو أخذنا بما أخذ به السابقون لتحقق لنا ما تحقق لهم من مجدٍ وعز وشرف، ومن هنا أحسست أنه من واجبي أن أتقدَّمَ إليكم بهذه النصائح، وشعاري في ذلك شعار الأنبياء: إني لكم ناصح أمين..

أولاً: لا بُدَّ من تطبيق شرع الله ﷻ في البلاد؛ فقد أنعم الله عليكم بالتمكين في وطنكم، فليس مقبولاً أن يكون شكرُ النعمة هو تجنيب الشرع، فوالله إنها لأمانة عظيمة، وجب عليكم أن تقوموا بها، وهذه هي مهمتكم الأولى، وشرع الله لا يعني الحدود فقط، ولكنه يعني تطبيق ما أراده الله منا في كل أمور الحياة، وهذا يشمل مجالات السياسة والاقتصاد والإعلام والجيوش والقضاء والقوانين والمعاهدات.. يقول تعالى: ﴿**مَّا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ**﴾ [الأنعام: ٣٨]. والعقل لا يمنع أبدًا تطبيق شرع الله ﷻ، بل إنَّ عقلاء العالم من غير المسلمين يشهدون للتشريعات الإسلامية بالروعة والإبهار، وإذا كان البعض يخشى من القوى العالمية - وفي مقدمتها أمريكا - إذا رأت توجُّهًا إسلاميًّا في البلاد، فإني أؤكِّد لكم أن الله ﷻ لا يترك من لجأ إليه، وأنكم بتطبيق شرع ربِّكم تنالون نصره وتأييده، وعندها لا تقف أمامكم قوةٌ في الأرض، فإذا أردتم عزًّا في الدنيا فعليكم بالقرآن والسُّنَّة، وإذا أردتم عزًّا في الآخرة فعليكم بالقرآن والسنة، وإذا أردتم عزًّا فيهما معًا فعليكم بالقرآن والسُّنة.

إننا - أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - لا يمكن أن نحقِّق نصرًا بغير تأييد الله لنا، والأمرُ بأيدينا، فقد قال تعالى: ﴿إِن تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]. فطلب منا كخطوة أولى في طريق تحقيق النصر أن ننصر الله ﷻ، ونصرُنا لله يكون بتطبيق شرعه، وتنفيذ قانونه.. قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

ومن هنا فأوَّل الخطوات لتحرير فلسطين، وكل البلاد السليبة، وكذلك الخروج من كل الأزمات السياسية والاقتصادية وغيرها، هي - بلا شك - تطبيق الشريعة الغَرَّاء التي سمتْ فوق كل قوانين الأرض.

ثانيًا: حفظ مكانة العلماء في الأمة:

لسنا في حاجة لتوضيح قيمة العلماء في الأمة، فقد جعلهم رسول الله ﷺ ورثة الأنبياء، وهم بذلك قد نالوا شرفًا ما ناله أحد، وإذا أردتم عِزَّة وشرفًا فعليكم بحفظ مكانة العلماء، وتقديم رأيهم، والاستماع إلى نصحهم، فكم من القضايا تلتبس على أفهام الناس، ويكون حلُّها عند عالم مخلص، لا يسعى إلى مديح، ولا يهدف إلى سلطة أو ثروة.

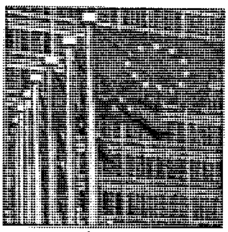
ولسنا نعني بإبراز قيمة العلماء أنهم سيقودون الأمة بدلاً منكم؛ فنحن نعرف جيدًا أن الساسة والأمراء لهم نظرة قيادية قد تغيب عن العلماء، ولهم دراية بفنون الإدارة والنظام، وبفنون التفاوض والتصالح، وكذلك بفنون القتال والمعارك.. إننا نريد تعاونًا وتكاملاً بين الأمراء والعلماء، ويوم يحدث هذا التعاون فإننا سنرى ثمارًا لا نحلم بها، ونعيش في مجدٍ لم نحلم به.

إنَّ حقيقة الأمر - أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - أن كثيرًا من العلماء في الأمة الإسلامية ممنوعون - للأسف الشديد - من الكلام، ولا يستطيعون أن يصلوا بنصائحهم إلى شعوبهم فضلاً عن حكامهم، بل قد تجد ثُلَّة من العلماء في غياهب

السجون، وقد نُسيت قضيتهم، وضاعت أوراقهم، وهذا وضع لا يُرجى معه رفعة، فالله َ اللهَ في علماء الأمة؛ فإنهم الذين يحملون مشاعل النور، وبغير كلماتهم تتوه الأمة وتضل.

ثالثًا: من أبرز أسباب الأزمة التي تعيشها الأمة، والتي تعتبر قضية فلسطين أحد أبرز مظاهرها، مسألة الفُرقة التي يعيشها المسلمون بكل أبعادها. ومن هنا فلا تحرير لفلسطين ونحن مشتتون ممزقون، فبادروا إلى توحيد كلمتكم، وسارعوا إلى تجميع قوتكم، فإن يد الله ﷻ مع الجماعة كما أخبر رسولنا الأكرم ﷺ (1). ولنبدأ بالوَحدة الداخلية في كل قُطر، حيث يصطلح الحاكم مع شعبه، ويبدأ في تجميع كل القُوى في وطنه لخدمة أهداف المجتمع ككل، ولا داعي للتصادمات العنيفة التي نراها في كثيرٍ من الأقطار، والتي يكون من جرَّائها تهميش قوى فاعلة، وإقصاء عناصر جيدة، وهذا أمرٌ بالغ الضرر على الفرد والمجتمع.

ثم بعد ترتيب البيت الداخلي، والاستفادة من كل طاقاته، فلنوحِّد أقطارنا مع الأقطار المجاورة لنا، وأخصُّ بالذكر هنا مصر والسعودية والأردن وسوريا ولبنان، فهذه دول تحيط بفلسطين الحبيبة، ولا شكَّ أن وحدتها بشكل قوي وحقيقي سيكون له أبلغ الأثر على العدو الصهيوني، ثم ليتسع إطار الوحدة بعد ذلك ليشمل دول العالم العربي كله. وأنا أعلم بوجود الجامعة العربية، لكن كلنا يعلم أنها كيان هشٌّ لا أثر له في الموازين العالمية، وهذا أمر عجيب بالنظر إلى الدول الأعضاء فيها، وقوة إمكانياتها، فنحن نريد وحدة على غرار وحدة الاتحاد الأوربي (2) وأفضل؛


الاتحاد الأوربي

---

(1) الترمذي: كتاب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٢١٦٦)، وصححه الألباني.

(2) مقال بعنوان: (قصة الاتحاد الأوربي)، بين التاريخ والواقع - الجزء الأول ص١٦٥.

فمقومات الوحدة عندنا أعلى بكثير من مقومات الوحدة عندهم، ومِن ثَمَّ فإنه يجب علينا أن نكون أكثر تماسكًا منهم، ثم ليتسع مجال الوحدة أكثر وأكثر ليضم كيانات العالم الإسلامي كله، وما أروع هذا الكيان الذي يضم كل الدول العربية، إضافةً إلى تركيا وماليزيا وإندونيسيا وباكستان ونيجيريا وغير ذلك من دول العالم الإسلامي! وليس هناك مانع أن يكون الأمر في البداية اتحادًا كونفدراليًّا يحافظ على كينونة كل دولة، ولا يتْرك فيها زعيمٌ مكانه، فهذه خطوة نحو الوحدة الشاملة، فليكن من أهدافنا الآن أن نفتح الحدود، وأن نلغي القيود الجمركية والاقتصادية، وأن نجعل القرارات المتفق عليها بين الدول المتحدة قرارات ملزمة، وأن نقف وقفات جادة مصيرية مع الدول المتضررة كفلسطين والعراق والسودان وغيرها .

إن العالم أجمع يتجه ناحية الوحدة لكي يصلح دنياه بها، أما نحن فلا نصلح بوحدتنا الدنيا فقط، بل نصلح بذلك آخرتنا أيضًا، وهذا أعظم وأجلُّ.

رابعًا: توسيد الأمر لأهله:

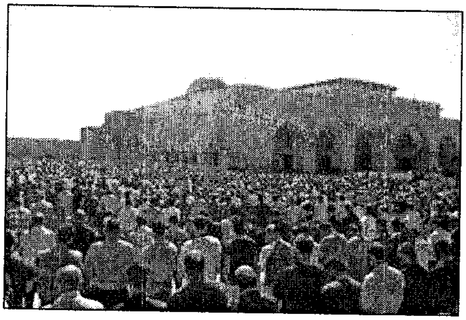
تسقط الأمم وتهلك إذا وُسِّد الأمر لغير أهله، وهذا تضييع للأمانة كما وصف رسولنا الكريم ﷺ[1]، فلتعيدوا النظر - أصحاب الجلالة والفخامة والسمو - فيمن حولكم من الوزراء والأعوان، فلو صلح هؤلاء صلحت الرعية بإذن الله، ولا تبحثوا بين الناس عن أهل الثقة فقط، بل ابحثوا قبل ذلك عن أهل الخبرة؛ فإنَّ الله ﷻ قدَّم القوة على الأمانة، فقال: ﴿**إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ**﴾ [القصص: ٢٦]. فلتكن هاتان الصفتان - القوة في التخصُّص والأمانة في الخُلُق - هما الصفتان الأساسيتان في كل من يحمل مسئولية في دُولكم، وهذا سيكفل لكم استقرارًا عظيمًا في البلاد، وسيدرُّ عليكم خيرًا كثيرًا، هذا فوق رضا ربِّ العالمين، والذي سيسعدكم في الدنيا والآخرة.

---

(١) البخاري: كتاب العلم، باب "من سُئل علمًا وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل" (٥٩).

أيها القادة المحترمون، إن كثيرًا من الزعماء يضلون بضلال أصحاب المشورة الذين حولهم، وقد يتحول الحاكم الصالح إلى غير ذلك إذا لم يحسن اختيار أعوانه وموظفيه، وهي في النهاية مسئوليتكم؛ فالصالح والطالح حولكم، وأنتم الذين تختارون.. يقول رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ وَالٍ إِلاَّ وَلَهُ بِطَانَتَانِ؛ بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَاهُ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَبِطَانَةٌ لاَ تَأْلُوهُ خَبَالاً، فَمَنْ وُقِيَ شَرَّهَا فَقَدْ وُقِيَ، وَهُوَ مِنَ الَّتِي تَغْلِبُ عَلَيْهِ مِنْهُمَا**»[1]. وفي الحديث السابق إشارة واضحة إلى أن أهل الشر من البطانة الفاسدة لا يحرصون على القائد، ولا يرغبون في الخير له، إنما يبحثون عن مصالحهم، وليس عندهم أيُّ مانع من تعرض الزعيم لكل شرٍّ إنْ كان هذا يصلح حالهم هم، ومِن ثَم فالقائد الذي يبحث عن البطانة الصالحة ينفع نفسه في المقام الأول. ثم إن الحديث يحذِّر تحذيرًا خطيرًا في آخره، فيقول: «وهو من التي **تغلب** عليه منهما». فإذا أردت أن تعرف سريرة نفسك، وكيف سيكون حالك مع ربِّك يوم الحساب، فانظرْ إلى أعوانك وبطانتك، فإن كانوا من أهل التقوى والصلاح والعلم والخبرة فأنت كذلك إن شاء الله، وإن كانوا من الفاسدين المفسدين الذين لا يبحثون إلا عن تضخيم ثرواتهم ونفوذهم، فسارعْ بتغييرهم لئلاّ يصيبك أذاهم في الدنيا والآخرة.

خامسًا: قضية فلسطين ليست قضية قومية خاصة بالفلسطينيين فقط، فهذا أمر لا بُدَّ أن تدركوه، وستنبني عليه أعمال كثيرة، فنحن - المسلمين - مطالبون بتحرير كل الأراضي الإسلامية المحتلة في كل مكان، وهذا فرضٌ في الشريعة كالصلاة والصيام، وهي مسألة سنُسأل عنها جميعًا أمام الله ﷻ، كلٌّ حسب موقعه وقدراته، وأنتم مواقعكم عظيمة، وقدراتكم جليلة، فكونوا على قدر هذه المكانة المهيبة.



فلسطين قضية إسلامية

---

(1) النسائي: كتاب البيعة، باب بطانة الإمام (٤٢٠١)، والترمذي (٢٣٦٩)، وأحمد (٧٢٣٨)، وصححه الألباني.

ثم إن فلسطين ليست أرضًا إسلامية فحسب، بل إنها مقياس الإيمان في هذه الأمة، ولو عظم اهتمامنا بها، فهذا دليل على عظم الإيمان في قلوبنا، ولو ضيعناها فإننا سنضيِّع غيرها. ولقد كانت فلسطين على مرِّ العصور محرِّكة للشعوب الإسلامية، وجامعة لصفوف الصالحين، فكونوا في طليعة هؤلاء تنالوا شرف الدنيا والآخرة.

ومن هنا فليس هناك معنى للمنِّ على الفلسطينيين بالمساعدة أو العون، فهذا من ضمن أولوياتنا وواجباتنا؛ ولهذا فعليكم - أيها القادة الغيورون على دينهم وأوطانهم وعرضهم - أن تتبنوا القضية الفلسطينية بشكل كامل، وأن تقدِّموا لها الدعم في كل المجالات، وأن تعينوا الشعب هناك اقتصاديًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، بل عسكريًّا أيضًا، وأن توفروا لهم الدعم الإعلامي الكامل، وأن تقفوا إلى جوارهم في المحافل السياسية، وأن تجمعوا فصائلهم في كيان واحد يكون على قيادته مَن يختاره الشعب الفلسطيني بمحض إرادته. كما عليكم أن تدعموا كل من يقدِّم العون لشعب فلسطين، سواءٌ من الأفراد أو الهيئات والمنظمات، أو الدول والحكومات.

سادسًا: أثبت التاريخ أن الحل الوحيد لتحرير فلسطين هو الجهاد والنضال والكفاح، وفي حالتنا - نحن المسلمين - لا يكون الجهاد إلا في سبيل الله، ولا توجد وسيلة أخرى لإخراج المحتلين، أو لردِّ الحق لأهله؛ فالجيوش الغاصبة لا «تُقنع» بالخروج، ولكن «تُرغم» على ذلك، والصهاينة على وجه الخصوص لا يفهمون إلا هذه اللغة، ومن ثَم فإنه يلزمكم أن تدعموا الفصائل المجاهدة في فلسطين، وعلى رأسها حماس والجهاد وكتائب الأقصى، وكل من وَضَحَتْ في



الجيوش الغاصبة تُرغم على الخروج

عينه الرؤية في هذه القضية، ولا تخشوا من الحروب؛ فإنها سبيل العزة والكرامة، ولن نموت قبل الموعد الذي كتبه الله ﷻ، ولن تغضب شعوبكم للدمار الذي سيلحق ببعض منشآتنا وديارنا؛ فإن الشعوب الإسلامية - والله - تتحرق شوقًا ليومٍ تحمل فيه السلاح، وتجاهد الصهاينة مهما كانت الأثمان، ولتحسنوا الإعداد لهذا اليوم الكريم، ولتجهزوا جيوشكم بأفضل سلاح، وأقوى عُدَّة.. ولقد أصبح العالم الآن سوق سلاح مفتوحة، فلا تعتمدوا على مصدر واحد قد يغدر بكم في أي لحظة، ولتسعوا للحصول على السلاح النوويّ الذي يمتلكه الكيان الصهيوني، فهو ليس حلالاً لهم وحرامًا علينا، ولتزيدوا من أعددا الجيوش الإسلامية حتى ترهبوا عدوَّ الله، ولترفعوا من ميزانيتها، ولتختاروا لها أهل الخبرة والأمانة، ولتبثُّوا في نفوس جنودكم حبَّ الجنة، فإنهم عند ذلك سيدفعون أرواحهم راضين في أرض القتال، وعندها لن يقف أمامهم أحد، فمَنْ هذا الذي يستطيع أن يقاتل قومًا يحبون الموت كما يحب أعداؤهم الحياة!

إنني - أيها السادة الأجلاَّء - لا أدعوكم إلى خراب أو دمار، بل أدعوكم إلى الشرف والمجد، وهذا ما يثبته التاريخ والواقع، بل هذا ما أقرَّ به المسلمون وغير المسلمين، ومن لا يملك الدفاع عن حقه فلا يلومَنَّ الغاصبين.

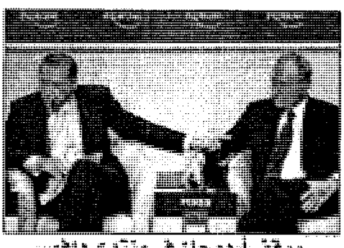
سابعًا: على من اعترف منكم بشرعية الكيان الصهيوني أن يسحب هذا الاعتراف فورًا قبل أن يلقى ربَّه بهذه الشهادة؛ فالله ﷻ يقول: ﴿**وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلهِ**﴾ [الطلاق: ٢]. ولو شهدنا أن يافا وحيفاَ وعكا وعسقلان وغيرها من مدن فلسطين الحبيبة أصبحت ملكًا لليهود فهذا هو الجَوْر بعينه، وليس وقوع الحكام السابقين في خطأ الاعتراف بالكيان



اتفاقية كامب ديفيد والاعتراف بإسرائيل

الصهيوني مبررًا لكم أن تكملوا السير في طريق الأخطاء؛ فكل دول العالم تراجع (معاهداتها واتفاقياتها) (١)، فما كان متعارضًا مع أمنها القومي ألغته بآليات الإلغاء المعروفة عالميًّا، وجميع رجال القانون يقولون إن هذه المعاهدات الدولية سياسيَّة في المقام الأول، وبالتالي فالقرار فيها يرتبط بسياسة الدول وأمنها أكثر مما يرتبط بالقوانين الدولية، والعالم كله يعرف أن الصهاينة اغتصبوا الأرض في فلسطين، لكنهم لا يتكلمون؛ إمَّا خوفًا من أمريكا واليهود، وإمَّا لأنهم يرون أصحاب الحق لا يدافعون عن حقوقهم، أمَّا نحن فلا نخشى إلا الله، والله ﷻ في عقيدتنا أقوى من أمريكا واليهود والخلق جميعًا، ولقد قال تعالى في كتابه الكريم يطمئنكم ويطمئن عامَّة المؤمنين: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ﴾. [محمد: ١١].

إنه لا ينبغي لكم أبدًا، أن تقبلوا بفتح سفارات تمثِّل كيانًا غاصبًا أسرف في الظلم، ولا ينبغي لكم أن تفتحوا مراكز تمثيل تجاري أو دبلوماسي لهم، ولا ينبغي أن تستقبلوا سائحيهم وتُجَّارهم وفنَّانيهم، وغير **ذلك** من صور التمثيل، واعلموا أن قدركم سيرتفع جدًّا في عيون شعوبكم إذا أقدمتم على هذه الخطوات، ولا يخفى عليكم مدى التعاطف الذي ناله أردوجان(٢) بموقفه من الرئيس الصهيوني شيمون بيريز في ملتقى دافوس الاقتصادي، فسوف تحققون أضعاف ذلك إن شاء الله، هذا غير التوفيق الرباني لكم حيث رضيتم بشرعه، وعملتم لأجله.


موقف أردوجان في منتدى دافوس

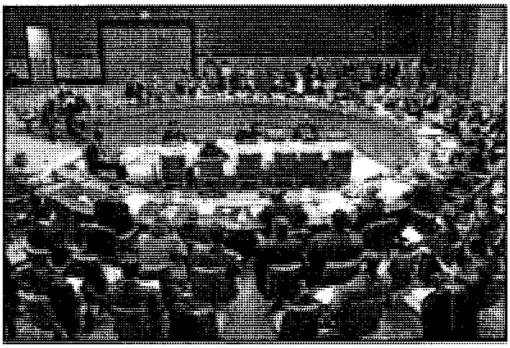
ثامنًا: عليكم بوقفة حازمة في الهيئات الدولية، وفي مقدمتها الأمم المتحدة، فكلكم يعلم أنها أصبحت كيانًا يكرِّس الظلم في العالم، ولا مكان فيه إلا للأقوياء، وأنتم باتحادكم معًا قوة لا يُستهان بها،

(١) للمزيد انظر مقال: (كامب ديفيد.. وثلاثون عامًا من السلام).

(٢) للمزيد عن أردوجان انظر مقال: (أردوجان.. عملاق في زمان الأقزام!).

فلا تقبلوا بالضيم، ولا ترضخوا للتهديد، ولن تكون نهاية الدنيا أن ينسحب المسلمون من هذا الكيان برُمَّتِهِ إذا استمرَّ على خدمة المصالح الصهيونية على حساب المسلمين.

إننا لا نرفض التعاون مع دول العالم أجمع من أجل العدالة والحق والفضيلة، أمَّا أن تُكَبَّل الأمم الإسلامية بقوانين جائرة، وأحكام ظالمة، فهذا أمر لا بُدَّ أن نقف ضده، وأن نسعى لتغييره. ولا تنسوا أن القصة بدأت بقرار التقسيم الظالم الذي أصدرته الأمم المتحدة في نوفمبر ١٩٤٧م، ولم تجرؤ هذه المؤسسة على إدانة اليهود على الرغم من التعدّيات الصارخة على الحقوق، بل والتعدّيات على الأمم المتحدة نفسها .


الهيمنة الصهيونية على مجلس الأمن

وما قلناه عن الأمم المتحدة ينسحب على كل الكيانات الدولية سواء السياسية أو الاقتصادية أو العسكرية، وأنتم - والله - لستم قلة، بل أنتم كثير كثير، ﴿فَلاَ تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٥].

تاسعًا: راجعوا - أيها الزعماء الكرام - مناهج التعليم في أوطانكم، فهي التي تكوِّن الجيل القادم، ولتسلِّموا صياغتها وتصحيحها إلى أهل العلم والصلاح، فلو فسدت هذه المناهج فعلى الأُمَّة السلام، ولتحرصوا على توضيح العدو من الصديق، ولتهتموا اهتمامًا خاصًّا بقضايانا الشائكة، وفي مقدمتها قضية فلسطين، فليفهم أولادنا وبناتنا القصة على حقيقتها، وليعرفوا عدوَّهم بشكل مفصَّل، وليدرسوا تاريخ رسول الله ﷺ معهم، وليتعمقوا في فهم الأحداث المشابهة لذلك في التاريخ؛

كالحروب الصليبية[1] وحروب التتار[2] والاستعمار الأوربي، بل وليدرسوا التجارب المشابهة في العالم كتجربة تحرير فيتنام، وتحرير كوريا، وتحرير دول أمريكا اللاتينية، وغير ذلك من تجارب.

كما لا يخفى عليكم أن بيت القصيد في مناهج التعليم أن تزرعوا في نفوس أبناء شعبكم الحبَّ لرب العالمين، والخوف منه، والإحساس الدائم برقابته؛ فهذا سيرفع من حماسة الشعب للعمل، فهو لا يحتاج إلى شرطي يراقب أعماله، ولا إلى سوطٍ يقود حركته، إنما يتحرك من تلقاء نفسه، فهو يعمل لينجو بنفسه قبل أن ينجو بمجتمعه.

ولتكن هذه المناهج على أحدث المستويات العلمية والعالمية، فإننا نريد لأبنائنا تنشئة متكاملة متوازنة، يرقى بها بالأمة بكاملها، ولنعلم أننا لن نحقق نصرًا بجيلٍ متخلف عن ركب العالم، ونحن أمة العلم، وقد بدأ دستورنا بكلمة «اقرأ»، فلنكن على هذا القدر الذي ارتضاه الله لنا.

عاشرًا: عليكم أيها الزعماء الأجلاء بالالتفات - وبقوة - إلى المنظومة الإعلامية في بلادكم، فما تقومون به من إصلاح في التعليم والشارع والمؤسسات والهيئات قد يهدمه الإعلامُ في لحظة واحدة، فلتجعلوا إعلامكم إعلامًا هادفًا صالحًا، يسعى لخير الأمة وصلاحها، لا إلى إفسادها وتضليلها، وليس مقبولاً أن تسمحوا بإباحيةٍ ومجون يفسد عقول الشباب، ويقتل همَّتهم، وأنتم قد ملكتم ومُكِّنتم.

ثم إن الإعلام لا بُدَّ أن يحفظ قضية فلسطين حيَّة في نفوس شعوبكم، ولا بد أن

---

(١) للمزيد عن الحروب الصليبية اطلع على كتاب: قصة الحروب الصليبية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، وانظر برنامج (قصة الحروب الصليبية من البداية إلى عهد عماد الدين زنكي) من إنتاج قناة الحوار، وموجود على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com.

(٢) للمزيد عن التتار اطلع على كتاب: قصة التتار، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، وانظر برنامج (قصة التتار من البداية إلى عين جالوت) من إنتاج قناة الحوار، وموجود على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com.

يستعمل الألفاظ التي ترسِّخ الحق وتؤكده، فبدلاً من أن يقول إسرائيل فليقُلْ الكيان الصهيوني الغاصب، وبدلاً من أن يقول القتلى الفلسطينيين فليقل الشهداء، وبدلاً من أن يقول أفراد المقاومة فليقل المجاهدون، فإنَّ هذه الأمور تؤثر تأثيرًا بالغًا على فكر الشعوب وحماستها.

إننا بالجملة - أيها الكرام - نريد إعلامًا جادًّا يتناسب مع قيمة الأمة الإسلامية وعظمتها، ولئن كان التعليم هو الأداة الأولى لتشكيل الأجيال وصياغتها، فإن الإعلام هو الأداة المكمِّلة لهذا التشكيل، فلتضعوا هذا الأمر نُصب أعينكم، ولتعيروه كل اهتمامكم.

كانت هذه هي نصيحتي العاشرة، فتلك عشر كاملة.

أصحاب الجلالة والفخامة والسمو..

لقد مَنَّ الله ﷻ عليكم بشرف عظيم، فأنتم تقودون خير أمة أُخرجت للناس، فلا ترضوا بصِغار الأهداف، ولا بسفاسف الآمال، إنما احرصوا على استغلال أعماركم وسلطاتكم وقدراتكم في سبيل عزَّة هذه الأمة ورفعتها.. واعلموا أن الحياة مهما طالت فهي قصيرة، وأن المُلْك مهما اتسع فهو منقطع، وأن الساعة لا ريب فيها، وأنكم إلى الله راجعون.

فليُعِدَّ كلٌّ منكم جوابًا لسؤال مالك المُلك يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

واعلموا - أيها الزعماء الأجلاء - أنه ما دفعني إلى هذه النصيحة إلا الخوف عليكم، والرغبة في فلاحِكُم، ولقد قال الفاروق عمر بن الخطاب[1] ﷺ يومًا لرجل نصحه: «لا خيرَ فيكم إنْ لم تقولوها، ولا خير فينا إن لم نَقْبَلْها»[2]. وقد نقلت ما

(١) للمزيد عن عمر بن الخطاب ﷺ اطلع على (قصة الخلفاء الراشدين) على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com

(٢) ابن شبة النميري: تاريخ المدينة ٢/ ٧٧٣، وابن الجوزي: مناقب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ص١٥٥.

عندي من لساني إلى آذانكم، ومن قلبي إلى قلوبكم، فاللهُمَّ قد بَلَّغْتُ، اللهم فاشهد.

أسأل الله ﷻ أن يشرح صدوركم، وأن يصلح أعمالكم، وأن يرزقكم البطانة الصالحة، وأن ينعم عليكم بحب القرآن، واتّباع خير الأنام محمد ﷺ.

والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

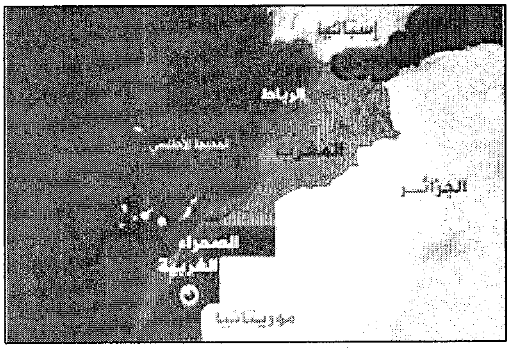
وأسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(١٨)
المغرب وقصة الصحراء الغربية [١]

يعتصر الألم قلبي عندما أجد كثيرًا من الشباب المسلم لا يعرف شيئًا عن قضايا مهمَّة وماسَّة تخصّ أمتنا الإسلامية، وينتج عنها آثار ضخمة هائلة، بينما تجد هؤلاء الشباب قد بذلوا جهدًا وافيًا في معرفة أمور لا ينبني عليها عمل، وقد تكون من الأمور الترفيَّة، أو أحيانًا من الأمور الحرام.

إننا نحتاج في هذه الفترة العصيبة التي تمر بها أمتنا أن نلمَّ بشكل كامل بمشاكل الأمة وهمومها، وأن نبذل الجهد والوقت في معرفة تفاصيل الأزمات التي نعيشها، وأن نبحث عن الحلول المنطقية لها أو نقترحها، وأن نشارك عموم المسلمين أحزانهم وأفراحهم، وأن نعيش المعنى العميق الذي ذكره ربنا ﷻ في كتابه عندما قال: ﴿إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٩٢].



ومن هذه المشاكل التي تحتاج إلى دراسة وفقه **مشكلة الصحراء الغربية**، والتي صارت محلَّ نزاع بين المغرب وجبهة البوليساريو، ودخل في الصراع أطراف أخرى مثل موريتانيا والجزائر، وأدت إلى تنافر هذه الدول الإسلامية، بل وصل الأمرُ إلى الحروب المفتوحة!

وأنا في تحليلي هذا لا أتوجَّه بالحديث إلى حكّام هذه الدول وشعوبها فقط،

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢١/ ٥/ ٢٠٠٩م.

ولكن أتوجّه به إلى عامة المسلمين الغيورين على أمتهم ووحدتها، ولا يقولَنَّ أحدُنا: وما لي وبلاد المغرب والجزائر وموريتانيا؛ فإنما نحن كالجسد الواحد كما علَّمنا حبيبنا ﷺ، ولا يقولَنَّ أحدنا: ليس في يدي شيء؛ فعسى أن يكون الفهم بداية العمل، وأن يصبح العمل الصغير كبيرًا، وإن لم تجد شيئًا فيكفيك أن تشعر بالهمِّ والألم؛ فإن هذا يدفع إلى دعاء مخلص، قد يفتح الله ﷻ لنا به السُّبل لحل أزماتنا.

* مشكلة الصحراء الغربية:

ومشكلة الصحراء الغربية مشكلة معقَّدة فعلاً، وذلك لأسباب كثيرة سنعرض لها بإذن الله، ومع ذلك فأنا أرى الحلّ فيها واضحًا جليًّا، ومع ذلك فالقوم يُعرضون عنه مع أنهم يعلمونه، وهذا من عجيب أحوالنا في هذا الزمن!

والمشكلة معقدة لأسباب عِدَّة، لعلَّ من أبرزها غيابَ المعلومة الصحيحة المؤكّدة التي يمكن أن نرجع إليها، ونتفق عليها، ويزيد المشكلة تعقيدًا تعددُ أطراف الصراع، وبالتالي وجهات النظر. كما أنّ القوى الاستعمارية قد حرصت قبل خروجها من العالم الإسلامي أن تترك أمورًا مبهمة تدفع إلى تصارع داخلي في الأمَّة الإسلامية، وليس هذا فقط، بل قد اكتشفنا أن القوى الاستعمارية ما خرجت حقيقةً من بلادنا، إنما بقي من زعمائنا من يدين لها بالولاء، ومِن ثَمَّ فهو يوجِّه دفة الأحداث نحو ما يريده طرف قد لا نراه ظاهرًا، وفوق كل ذلك فإنَّ القوى العالمية الحديثة كأمريكا وروسيا أدخلت أنفها كذلك في هذه الأحداث، فزادتها تعقيدًا وتشابكًا.

وكما تعوّدنا، فإننا لن نستطيع أن نفهم المشكلة على حقيقتها دون أن نعود إلى جذورها، وسأحاول أن أكون مختصِرًا، وإن كان الأمر يحتاج إلى تفصيل، إضافةً إلى أننا نحتاج إلى مقالات كثيرة موازية تشرح أمورًا ذات علاقة بقصتنا؛ مثل العلاقات الجزائرية المغربية، ومثل قصة الاحتلال الأوربي[1] لإفريقيا، ومثل تاريخ العائلة الحاكمة في المغرب، ومثل تاريخ الممالك الإسلامية في منطقة الصحراء الكبرى

(١) للمزيد انظر: قصة الاحتلال الأوربي في (أزمات عاصفة) على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com.

والسنغال وغيرها من مناطق غرب إفريقيا.

* مؤتمر برلين وتقسيم إفريقيا:

إننا سنبدأ قصتنا من أخريات القرن التاسع عشر، وتحديدًا في سنة ١٨٨٤م عندما عقدت الدول الاستعمارية الكبرى، وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا والبرتغال، مؤتمرًا في برلين بألمانيا، وفي هذا المؤتمر قاموا بتقسيم إفريقيا بكاملها على الحضور! وهذا المؤتمر يحتاج منا إلى دراسة مفصَّلة لأهميته في فهم قصة إفريقيا، لكنّ المهم لدينا الآن أنه تم الاتفاق في هذا المؤتمر على أن تتقاسم فرنسا وإسبانيا مملكة المغرب، مع الأخذ في الاعتبار أنّ فرنسا كانت تحتل بالفعل الجزائر بدءًا من عام ١٨٣٠م، وكذلك تونس بدءًا من عام ١٨٨١م، وقد اعترض إمبراطور ألمانيا على هذه التقسيمة؛ لأنه يطمع في طنجة المغربية، فقامت فرنسا بترضيته عن طريق إعطائه الكونغو بدلاً من طنجة!!

إنهم يقسِّمون البلاد كما يقسِّم أيُّ مجموعة من اللصوص أموالاً سرقوها، والأغرب أن هذا التقسيم كان قبل السرقة الفعلية، ولقد تمت معظم توصيات مؤتمر برلين بشكل مذهل، ودفعت إفريقيا الثمن باهظًا، وما زالت تدفعه إلى الآن.

وما يهمنا في هذا المقال ما حدث لمملكة المغرب فهي موضوعنا الآن..

كانت مملكة المغرب آنذاك مملكة كبيرة تمتد من البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى السنغال جنوبًا، وهي بذلك تشمل في داخل أراضيها مملكة المغرب الحالية، وأرض الصحراء الغربية المتنازَع عليها، وكذلك دولة موريتانيا بكاملها، ولكن واقع الأمر أن السلطان المغربي لم يكن له هيمنة حقيقية على المناطق الصحراوية الجنوبية (الصحراء الغربية وموريتانيا)؛ حيث هي مناطق وعرة للغاية، وتعيش فيها القبائل الحياةَ الرعويَّة، وتطبَّق فيها نظام القبائل لا نظام المدن والدول، وهذا ما دفع إسبانيا أن تطلق كلمتها المشهورة: «**إن الصحراء الغربية أرض بلا مالك**». ومن هنا فإن هذه الأرض وإن كانت داخل حدود المملكة المغربية آنذاك إلا أن هذا لم يكن يعني

التزامًا معينًا من السلطان المغربي ناحية هذه الأراضي، خاصةً أن الحكم الملكي في هذا الوقت كان في غاية الضعف، وهذا يجرُّنا إلى الحديث عن نظام الحكم آنذاك.

*** الحكم المغربي:**

لقد حُكمت المغرب منذ سنة ١٦٣١م/ ١٠٤١هـ - وما زالت إلى الآن - بالأسرة العلويَّة الفلالية، وهم أبناء علي الفلال، وهو من نسل الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ ولذلك يُعرفون بالأشراف، وكانت المغرب في وقت مؤتمر برلين الاستعماري (١٨٨٤م) تحت حكم السلطان الحسن الأول بن محمد (١٨٧٤-١٨٩٤م)، وفي عهده ازداد النفوذ الأجنبي جدًّا، وكانت طنجة تُحكم بمجلس يتناوب على رئاسته الفرنسيون والأسبان، ثم ما لبثت فرنسا أن احتلت تونس سنة ١٨٨١م، إضافةً إلى الجزائر المحتلة من سنة ١٨٣٠م، وبالتالي فزع السلطان المغربي لأنّه علم أن الدور عليه، وأن فرنسا لن تترك بلاده، فما كان منه إلا أن لجأ إلى بريطانيا لتحميه من فرنسا، ولكن بريطانيا وفرنسا اتفقتا معًا على أن تُطلق بريطانيا يدَ الفرنسيين في المغرب على أن تغضَّ فرنسا الطرف عن احتلال بريطانيا لمصر! وبالفعل احتلت بريطانيا مصر سنة ١٨٨٢م، وأصبح الطريق مفتوحًا لفرنسا لكي تحتل المغرب، ولكن كما ذكرنا قبل ذلك فإنَّ احتلال المغرب لم يكن رغبة فرنسية فقط، إنما كان رغبة فرنسية إسبانية مشتركة، لكن أساطيل فرنسا كانت مشغولة بالعربدة في موانئ العالم المختلفة، فقد كان لها أطماع توسعية فوق التخيُّل؛ مما جعلها تؤجِّل الملف المغربي قليلاً، على عكس إسبانيا التي فقدت معظم مستعمراتها السابقة، وبالتالي كانت شغوفة جدًّا باحتلال جزء من الأراضي المغربية. ومن هنا فقد زحفت الأساطيل الإسبانية لترسو على ساحل منطقة الصحراء الغربية في وسط المغرب آنذاك، وقامت باحتلاله، وذلك في سنة ١٨٨٤م، وبذلك فَصَلتْ بين شمال المغرب الواقع تحت سيطرة السلطان الحسن الأول، وبين جنوبه الذي سمِّي بعد ذلك بموريتانيا.. وهذا هو الاحتلال الذي سيبقى ٩١ سنة متصلة (من ١٨٨٤ إلى ١٩٧٥م).

* أسرار الصحراء الغربية:

والآن وقفة مع هذه المنطقة المحتلة..

إن هذه المنطقة كانت - وما زالت - صحراء قاحلة تبلغ مساحتها ٢٦٦ ألف كم٢، ومعظم سكان هذا الإقليم من قبائل عربية هاجرت قديمًا من الجزيرة العربية ومن مصر، كما أن بها بعض القبائل التي تنتمي إلى البربر، ويبلغ سكان هذا الإقليم حاليًا (في تعداد ٢٠٠٥م) ٣٨٣ ألف نسمة؛ مما يعني أنه كان قليل العدد جدًّا وقت احتلاله (أقل من مائة ألف مواطن)، ولم يكن بهذا الإقليم أي ثروات في ذلك الوقت، ومن ثَمَّ فلم يكن هناك اهتمام مغربي به؛ مما سهَّل نزول القوات الإسبانية إلى مدينة العيون، وهي أهم مدن الإقليم، ثم احتلال الإقليم بكامله.

وعلى الرغم من قلَّة عدد السكان، وضعف إمكانياتهم إلا أنهم قاوموا المحتل الإسباني قدر استطاعتهم، وخاضوا عدة معارك مع الجيش الأوربي المتطور، وذلك دون مساعدة تُذكر من الجيش المغربي!

* الاحتلال الإسباني:

والسؤال الذي يطرح نفسه علينا: لماذا تهتم إسبانيا بهذا الإقليم الصحراوي الفقير؟! والإجابة على هذا السؤال تشمل عدة أسباب..



الاحتلال الإسباني

فأولاً: هذا الإقليم الصحراوي أخرج قبل ذلك رموزًا غيَّرت من خريطة إسبانيا في قديم الزمان؛ فمنه خرج طارق بن زياد -رحمه الله- الذي فتح بلاد الأندلس فصارت إسلامية ثمانية قرون متصلة، ومنه خرج يوسف بن تاشفين- رحمه الله- الذي انتصر على جيوش الصليبيين الأسبان في موقعة الزَّلاَّقة سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، وأسس دولة المرابطين العظيمة التي كانت

تمثّل تهديدًا مباشرًا لسلطة الأسبان في شمال الأندلس؛ فإسبانيا الآن تخشى إن قامت نهضة إسلامية في هذه المنطقة أن يصحو العملاق الإسلامي من جديد فيغيِّر خريطة إسبانيا، بل خريطة العالم.

وثانيًا: فإن إسبانيا تريد أن تضع قدمًا في المنطقة، حتى ولو كان في أفقر مناطقها، لعلَّها تتوسع قريبًا شمالاً أو جنوبًا أو شرقًا؛ فالأحلام التوسعية عند الدول الاستعمارية لا تتوقف، ولعل هذه المناطق تحوي كنوزًا من الذهب أو الحديد أو غير ذلك، وقد صدق حدس الأسبان كما سيتبيَّن لنا بعد ذلك!!

وثالثًا: كانت المنافسة محمومة بين القوى الاستعمارية المختلفة، وتستطيع الإمبراطورية أن تحقِّق مكاسب يُحسب حجمُها وقوتها لصالحها، ومن ثَمَّ كانت إسبانيا تسعى للمنافسة مع فرنسا خاصة، ومع الدول الأوربية بشكل عام.

ورابعًا: تريد إسبانيا أن تطوِّق المنطقة الشمالية في المغرب من جنوبها، ثم من البحر شمالاً؛ أملاً في التمركُز في منطقة الريف الأخضر في شمال المغرب لتحقِّق أهدافًا استراتيجية واقتصادية، وهذا ما تحقق لها بعد عدة سنوات قليلة.

وخامسًا: هذه الصحراء مواجهة لجزر الكناري المملوكة للأسبان، وبالتالي فإنَّ احتلال هذه المنطقة يوفِّر أمنًا عسكريًّا لجزر الكناري، وبالتالي لأساطيل إسبانيا وغيرها من دول أوربا.

استقرت إسبانيا نتيجة هذه الأسباب في هذه المنطقة، ولكنها لم تستطع أن تتوغل إلى عمق الصحراء لقوة المقاومة الداخلية، وكان يتزعم هذه المقاومة أحد الشيوخ الأفاضل، وهو الشيخ ماء العينين ابن الشيخ محمد فاضل القلقمي، وهو من كِرام العلماء وكِبار المجاهدين، ولقد قاوم المستعمر الإسباني بضراوة، بل أسس مدينة في عمق الصحراء اسمها مدينة السمارة، وذلك في سنة ١٨٩٨م لتجميع المسلمين المجاهدين للهجوم على القوات الإسبانية، وليس هذا فقط، بل صارت مدينة السمارة مدينة علمية متميزة يطلب المسلمون فيها العلم من كل المنطقة، وكان

الشيخ ماء العينين من شيوخ المالكية، وكان يقتني مكتبة من أكبر المكتبات في شمال إفريقيا، والحق أن قصته تحتاج إلى دراسة خاصة.

حاول الشيخ ماء العينين أن يستعين بالسلطان المغربي الذي أمدَّه أحيانًا ببعض السلاح، ولكنه عجز عن نصرته نصرًا حقيقيًّا؛ مما أثَّر سلبًا على المقاومة الإسلامية.

***سياسة القمع الفرنسية:**

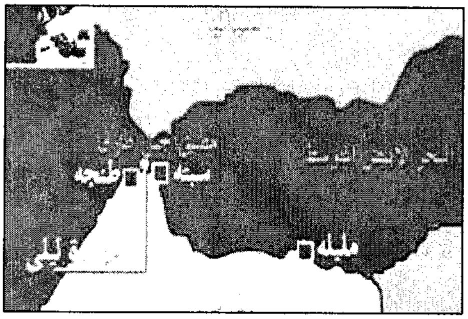
وكانت فرنسا في هذه الفترة مشغولة بتثبيت أقدامها في تونس، وبقمع الثورات المتتالية في الجزائر، ولكنها في نفس الوقت كانت تنظر بقلق بالغ إلى التوسع الإسباني في أرض المغرب، وهذا جعلها تدخل في مفاوضات دبلوماسية كثيرة مع إسبانيا بُغية الحد من توسعها إلا أنها اضطُّرت في سنة ١٩٠٠م إلى الاعتراف لإسبانيا بملكيتها لمنطقة الصحراء المغربية.

لكن فرنسا الاستعمارية لم تقبل بهذا الوضع، ومن ثَمَّ جهزت نفسها لتحتل الجزء الجنوبي من بلاد المغرب (جنوب الصحراء الغربية المحتلة من قِبل الأسبان)، وهي المنطقة التي عُرفت بعد ذلك بموريتانيا (مورو تانيا أي أرض المسلمين في اللغة الإسبانية)، ونزلت بالفعل الأساطيل الفرنسية في أرض موريتانيا سنة ١٩٠٢م لتحتلها بكاملها على الرغم من المقاومة الشعبية.

وجد الشيخ ماء العينين نفسه مضطرًّا لحرب الأسبان والفرنسيين في آنٍ واحد، فذهب لطلب النجدة من السلطان المغربي، وكان السلطان في ذلك الوقت هو السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول، الذي تولى الأمور بعد وفاة أبيه سنة ١٨٩٤م، ولقد أمدَّه في البداية ببعض القوات، إلا أنه تلقى تحذيرًا مباشرًا من فرنسا، فاضطُّر إلى وقف المساعدة! بل أكثر من ذلك لقد كوَّن في سنة ١٩٠٣م مجلسًا عجيبًا لإدارة مدينة طنجة الاستراتيجية، فقد كان هذا المجلس مكونًا من ستة وعشرين عضوًا تَرك تعيين اثنين وعشرين منهم للقناصل الأجانب (الأسبان والفرنسيين)، وواحدًا يعينه الحاخام اليهودي، بينما يتولى المسلمون تعيين ثلاثة فقط!!

* الثورة على السلاطين!

وإزاء هذا الوضع المخزي قامت ثورة شعبية في المغرب؛ فالشعب وجد الأرض تتناقص من حوله، فهذه الصحراء المغربية قد أخذها الأسبان، وهذه موريتانيا قد أخذتها فرنسا، وهذه طنجة تُدار بالقناصل الأسبان والفرنسيين، إضافةً إلى سبتة ومليلية المدينتيْن المغربيتيْن المحتلتين منذ ١٤١٥م (وسنُفرِد لسبتة ومليلية مقالاً خاصًّا إن شاء الله).


سبتة ومليلية

وجد الشعب المغربي هذه المأساة فثار على سلطانه، وأطلق عليه لقب «عبد الأجانب»، ووجدت فرنسا هذه فرصة للتدخُّل في شئون المغرب حمايةً للسلطان المغربي من شعبه!! وأسرعت فرنسا لكنها فوجئت بتحرك الإمبراطور الألماني إلى طنجة مهدِّدًا بحرب فرنسا إنْ دخلت بجيوشها إلى المغرب، فأعطته فرنسا جزءًا من الكاميرون كرشوة لكي لا يتدخل، وقَبِل الإمبراطور الألماني وترك فرنسا تدخل إلى المغرب، فاحتلَّتْ مدينة وَجْدة في أقصى شرق المغرب قرب الحدود الجزائرية، وكذلك مدينة الدار البيضاء على الأطلسي، وكان ذلك في عام ١٩٠٦م، وفي نفس الوقت دخلت القوات الإسبانية لتحتل منطقة الريف في شمال المغرب.

وجد الشعب المغربي نفسه وحيدًا بلا نصير، فثاروا على سلطانهم الموالي للنصارى، وقاموا بخلعه في سنة ١٩٠٧م، ونصَّبوا مكانه أخاه عبد الحفيظ بن الحسن الأول، وهرب عبد العزيز السلطان المخلوع إلى طنجة ليكون تحت الحماية الدولية (فرنسا وإسبانيا).

لم يتحسن الوضع في ظل السلطان الجديد عبد الحفيظ، بل ساء؛ حيث سعى إلى فرض ضرائب كثيرة بحُجَّة الإعداد لحملات عسكرية لإخراج فرنسا وإسبانيا من المغرب، فنَقَم عليه الشعب، وحاصره في مدينة فاس، فأرسلت فرنسا حملة عسكرية

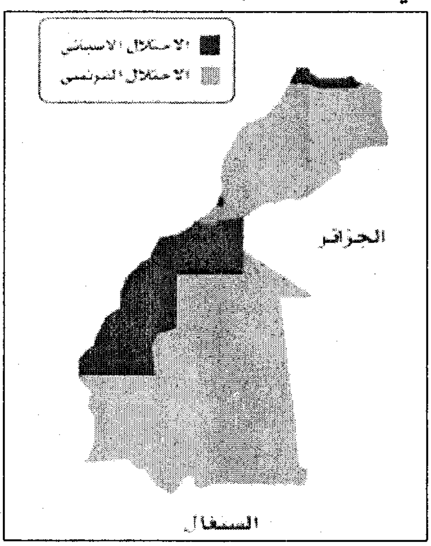
لنجدة السلطان عبد الحفيظ من شعبه، وذلك في سنة ١٩١١م. وبالفعل جاءت فرنسا لتحتل فاس ومكناس والرباط، وعلى الرغم من المقاومة الشعبية المستميتة، وعلى الرغم من إبادة الحامية الفرنسية في فاس، إلا أن فرنسا عادت من جديد، واحتلت المدينة وأنقذت السلطان. غير أن ثورة الشعب لم تتوقف؛ مما أخاف السلطان عبد الحفيظ، فتنازل عن الحكم لأخيه يوسف ابن الحسن الأول سنة ١٩١٢م، وهرب هو إلى مدينة طنجة لينعم بالحماية الدولية إلى جوار أخيه السلطان المخلوع عبد العزيز !



السلطان عبد الحفيظ

تسلَّم السلطان يوسف بن الحسن الأول الحكم ظاهريًّا، ولم يحرك ساكنًا لحرب الأسبان أو الفرنسيين، ودخلت الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٤م، وفي أثناء هذه الحرب توسعت فرنسا في بقية أجزاء المغرب جنوبًا حتى وصلت إلى حدود الاحتلال الإسباني في منطقة الصحراء الغربية.

والذي يطالع الخريطة المغربية آنذاك يجدها في غاية العجب؛ فالمنطقة الشمالية (منطقة الريف) احتلال إسباني، ثم المنطقة التي في جنوبها (وسط المغرب) احتلال فرنسي، ثم المنطقة التي في جنوبها (الصحراء الغربية) احتلال إسباني، ثم أقصى الجنوب (موريتانيا) احتلال فرنسي!! فهو تقطيع عجيب لم يخلق مأساة في المغرب فقط، إنما خلق جوًّا من التوتر كذلك بين الدولتيْن العدوتيْن إسبانيا وفرنسا، وهذا سيكون له آثار على تاريخ المنطقة.




عبد الكريم الخطابي

* الأمير عبد الكريم الخطابي:

وجد الشعب المغربي أن عليه أن يعتمد على نفسه في المقاومة والجهاد، ولا داعي للآمال الزائفة في السلطان يوسف، ومن ثَمَّ قامت حركة الأمير المجاهد العظيم عبد الكريم الخطابي في منطقة الريف في شمال المغرب، وهي حركة تستحق الدراسة، إلا أنه لم يلبث أن توفِّي سنة ١٩١٩م، ليخلفه ابنه القاضي المجاهد محمد بن عبد الكريم الخطابي[1]، الذي ألحق خسائر فادحة بالجيش الإسباني، لكنه أُسر في النهاية في سنة ١٩٢٥م، ليتم نفيه إلى جزيرة ريونيون.

وفي نفس الوقت نجح الشعب المسلم في منطقة الصحراء الغربية وموريتانيا في إلحاق الجيشيْن الإسباني والفرنسي عِدَّة خسائر، ودارت عدة معارك مع الجيوش المحتلة، كان من أهمها معركة أم التونسي قرب نواكشوط سنة ١٩٣٢م.

إنها قصة مؤلمة في واقع الأمر رأينا فيها الكثير من المخالفات الشرعية؛ من ولاية الضعفاء، ومن عدم إعداد القوة اللازمة، ومن الفُرقة، ومن موالاة النصارى، وغير ذلك من كوارث، وليس من فراغ أن تُحتل بلاد العالم الإسلامي؛ فنحن لا نُهزم بقوة الأعداء، ولكن بضعفنا.

تُرى ماذا حدث في قصتنا من مفاجآت؟ وما هو مصير المغرب؟ وما هو مصير الصحراء الغربية؟ وما هو مصير موريتانيا؟ وماذا اكتشفت إسبانيا في الصحراء الغربية؟ ولماذا تعقدت مشكلة الصحراء الغربية بعد تحريرها؟ وما هي طرق الخروج من الأزمة؟

أسئلة كثيرة تتصارع في أذهاننا، والإجابة عليها تكشف لنا بوضوح أبعاد الموقف الذي نعيشه الآن، وهذا ما سنتناوله في المقال القادم بإذن الله.

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

---

(١) للمزيد عن محمد بن عبد الكريم الخطابي انظر: أعلامنا، المجاهدون على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com.

(١٩)

الصحراء الغربية.. المغرب أم البوليساريو؟[١]

أحسب أن قصة الصحراء الغربية من القصص التي يجب أن ينتبه إليها المسلمون بقوَّة، ليس في المغرب وحدها، ولكن في كل بلاد العالم الإسلامي؛ فوضعها خطير، وقد يكون له تداعيات على المنطقة كلّها. ولقد ذكرتُ في المقال السابق «المغرب وقصة الصحراء الغربية» بداية القصة، وعرفنا الأطماع الاستعمارية الفرنسية والإسبانية في المنطقة، ورأينا كيف سبقت إسبانيا باحتلال منطقة الصحراء الغربية الواقعة في منتصف المملكة المغربية آنذاك، وذلك في سنة ١٨٨٤م، ثم تبعتها فرنسا باحتلال جنوب المغرب (المعروف الآن بموريتانيا) سنة ١٩٠٢م، ثم تطور الأمر في سنة ١٩٠٦م عندما أقدمت فرنسا وإسبانيا على احتلال بقية أجزاء المغرب؛ حيث احتلت إسبانيا منطقة الريف في أقصى شمال المغرب، واحتلت فرنسا بقية أجزاء المغرب؛ لتقع المملكة بكاملها في براثن المغتصبين من الفرنسيين والأسبان.

ورأينا جميعًا أن هذا الاحتلال لم يكن من فراغ، فقد كان الحكم في المغرب آنذاك في غاية الضعف، وكان الولاء للدول الأوربية هو السائد، ولم تكن هناك رؤية سليمة عند معظم من أداروا الأمور في هذه الفترة.. ومع ذلك فإننا رأينا حركة واعية من الشعب المغربي الأصيل، الذي لم يكتفِ بمقاومة



محمد عبد الكريم الخطابي في مصر

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٢٨/ ٥/ ٢٠٠٩م.

المستعمرين، إنما ثار على سلاطينه المرَّة تلو المرة، بل قام بخلع بعضهم ممن يوالون الأجانب صراحة، وقامت حركة الأمير المجاهد عبد الكريم الخطابي ثم ابنه محمد عبد الكريم الخطابي، إلا أن الأخير - برغم نجاحه في أكثر من موقعةٍ في مقاومة المستعمر الإسباني - قد تَمّ اعتقاله، ونفيه إلى جزيرة ريونيون بالمحيط الهندي .

هدأت الأمور نسبيًّا بعد نفي محمد عبد الكريم الخطابي، وتولى السلطنة في المغرب السلطان محمد بن يوسف المعروف بمحمد الخامس، وذلك في سنة ١٩٢٧م، واستقرت الجيوش الفرنسية والإسبانية في كل قطاعات المغرب من أقصى الشمال إلى جنوب موريتانيا.. وحدثت بعض الصراعات بين الجيشيْن الأوربيين نتيجة اختلافهما على تحديد أملاك كل واحد منهما !وانتهى الأمر في سنة ١٩٣٢م باتفاقية ضمت كل أجزاء الصحراء الغربية إلى إسبانيا، وتحديدًا إقليم الساقية الحمراء في شمال الصحراء الغربية، وكذلك إقليم وادي الذهب في جنوب الصحراء الغربية .



السلطان محمد الخامس

* **ثورة الشعب المغربي**:

استمرت ثورات الشعب المغربي الأصيل، سواءٌ في الشمال أو في الصحراء الغربية أو في موريتانيا، وزادت حدة الثورات في سنة ١٩٥٢م عندما عزل الفرنسيون السلطان محمد الخامس، ووضعوا مكانه رجلاً آخر هو محمد بن عرفة، ولكن فرنسا ازدادت في قمعها للثورة، وقامت بنفي السلطان محمد الخامس، وابنه الحسن إلى كورسيكا ثم إلى مدغشقر، وذلك في سنة ١٩٥٣م.

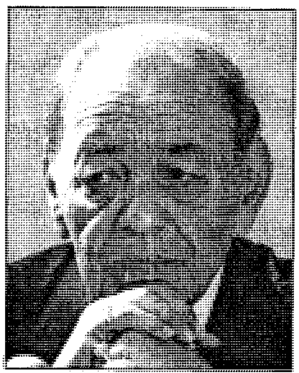
ولكن هذا لم يهدِّئ الثورة، بل زادت وتوهجت، وعُرفت بثورة «الملك والشعب»، وشعرت فرنسا أن الأمور تخرج من يدها، فاضطرت إلى إعادة السلطان محمد الخامس إلى المغرب ١٩٥٥م، بل قامت بالجلاء عن الشمال المغربي سنة

١٩٥٦م؛ لينال هذا القسم من المغرب استقلاله، وفي نفس الوقت رحلت إسبانيا عن منطقة الريف في أقصى شمال المغرب، وإن ظلت تسيطر على مدينتي «سبتة ومليلية».

ومع استقلال هذا الجزء من المغرب إلا أنّ الصحراء الغربية ظلت تحت الاحتلال الإسباني، وكذلك موريتانيا ظلت تحت الاحتلال الفرنسي، وازدادت الثورات في هذه المناطق لتحقُّق التحرير كما حدث في الشمال، لكنَّ الاستعماريْن الفرنسي والإسباني قاما بالتنسيق معًا سنة ١٩٥٨م في اتفاق أم قرين (شمال موريتانيا)؛ لقمع ثورات المسلمين في هذه المناطق. وبالفعل تم القضاء على الحركة المسلحة في منطقة الصحراء الغربية، وفي نفس السنة ١٩٥٨م لتتوقف لأكثر من عشر سنوات عن المقاومة، لكن الأمر في موريتانيا كان مختلفًا؛ حيث أدت الثورات إلى خروج فرنسا من موريتانيا سنة ١٩٦٠م، لتعلن هذه المنطقة استقلالها، ولكن كدولة منفصلة عن المغرب، وهي المعروفة الآن بدولة موريتانيا.

*** انقسام على السيادة:**

شعرت إسبانيا بالقلق الشديد لاستقلال المغرب وموريتانيا، ومِن ثَم أعلنت سنة ١٩٦١م أن الصحراء الغربية محافظة إسبانية، في محاولة لصرف أذهان المغاربة تمامًا عن هذه المنطقة. وفي هذا الوقت توفِّي السلطان محمد الخامس ليخلفه في حكم المغرب ابنه الملك الحسن الثاني، الذي آثر الطريق السلميّ في حل مشكلة الصحراء الغربية وموريتانيا، فلجأ إلى الأمم المتحدة لكي يطالب بتحرير الصحراء الغربية، وضمّ موريتانيا إلى المغرب كما كانت قبل الاحتلال الفرنسي لها، وهذا - لا شك - أدى إلى أزمة واضحة بين المغرب وموريتانيا.


الملك الحسن الثاني

تحررت الجزائر في سنة ١٩٦٢م من الاحتلال الفرنسي، وما لبثت أن دخلت في صراع عسكري مع المغرب الشقيق بخصوص منطقة تندوف، وهي أرض

مغربية ضمها الاستعمار الفرنسي للجزائر، وطالب بها المغرب بعد استقلال الجزائر، لكنْ لم يتوصل الطرفان إلى حل؛ فدارت معركة عُرفت بـ «حرب الرمال» سنة ١٩٦٣م، كانت لها تداعيات سلبية كبيرة على قصتنا، وسوف نُفرِد لها مقالاً لاحقًا - بإذن الله - للحديث عن العَلاقات الجزائرية المغربية، نوضح فيه هذا الملف بالتفصيل.


استقلال الجزائر عن فرنسا سنة ١٩٦٢م

تدخلت الدول العربية لحل النزاع، وتم بالفعل وقف الحرب، لكن ظلت البراكين في النفوس؛ فقد بقيت تندوف بيد الجزائر، وهذا - لا شك - سيكون له أثر مستقبلي على قصة الصحراء الغربية.

ظلت الأمور ساكنة في الصحراء الغربية، مع مطالبات في الأمم المتحدة خاصة بقضية الصحراء، والجديد في الأمر أن كلاًّ من المغرب وموريتانيا بدأتا تطالبان بالصحراء الغربية! ومِن ثَمّ انقسم العرب على أنفسهم حتى في الأمم المتحدة!

في سنة ١٩٧٠م قامت انتفاضة عسكرية في مدينة العيون في الصحراء الغربية عُرفت بانتفاضة الزملة، تطالب بتحرير الصحراء الغربية من إسبانيا، وقامت إسبانيا بقمع هذه الانتفاضة بعنف شديد، وقُتل واعتقل عدد كبير من الصحراويين، لكن الأمور لم تهدأ، بل استمرت المقاومة بقوة.

وفي ١٠ مايو ١٩٧٣م تأسست جبهة عسكرية من أهل الصحراء الغربية تهدف إلى مقاومة المحتل الإسباني، وقد عُرفت هذه الجبهة باسم البوليساريو. وكلمة البوليساريو عبارة عن الحروف الأولى لكلمة «الجبهة الشعبية لتحرير الساقية الحمراء ووادي الذهب»، وهذا باللغة الإسبانية. وقد بدأت الجبهة حربها مباشرة مع المستعمر الإسباني بعد عشرة أيام من تأسيسها.

كان التوجُّه العام لجبهة البوليساريو توجُّهًا شيوعيًّا ماركسيًّا، ومن ثَم فقد

حصلت على الدعم مباشرة من ليبيا ثم من الجزائر، والذين كانوا ينتمون إلى نفس الاتجاه، بينما كان توجُّه المغرب أمريكيًّا واضحًا، وهذا يؤثر على الأوضاع كما هو معلوم.

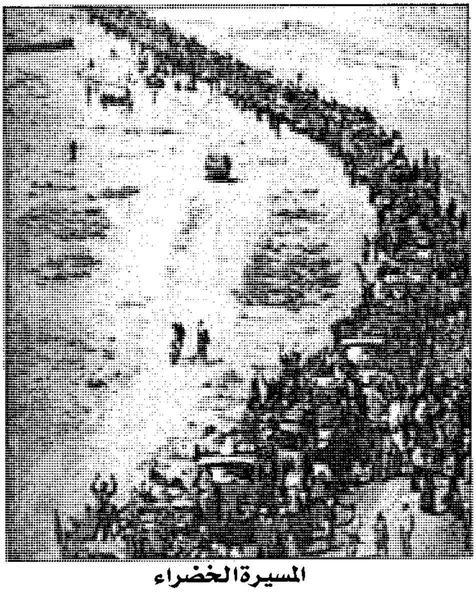
*** إسبانيا وإثارة القلاقل:**

حاولت إسبانيا أن تقمع المقاومة العسكرية في الصحراء الغربية ولكنها فشلت في ذلك، مما جعلها تقرر الخروج من الصحراء الغربية نهائيًّا في سنة ١٩٧٥م، لكنها لم تشأ أن تخرج دون أن تترك وراءها مشكلات تُبقِي على الصراع في هذه المنطقة دومًا؛ بحيث لا تنعم باستقرار أبدًا، ومن ثَم يمكن للاستعمار أن يدسَّ أنفه من جديد في المنطقة عندما تحين الظروف. ولذا فقد قامت إسبانيا بعقد مؤتمر في مدريد يضم المغرب وموريتانيا، وأعلنت أنها ستخرج من الصحراء الغربية نهائيًّا لتترك هذه المنطقة للدولتيْن يحكمانها بالطريقة التي يريدان!

وكان هذا المؤتمر في سبتمبر ١٩٧٥م، وعُرف باتفاق مدريد، وتلاحقت الأحداث بسرعة؛ فالمنطقة يطمع فيها الكثيرون، وكل واحد له حُجّته ودليله! فالمغرب يريد الصحراء الغربية لأنها - فعلاً - جزءٌ من أراضيه، وقد احتلت ٩١ سنة ثم تحررت، فلماذا لا تعود إلى أصولها؟ وموريتانيا ترى أن أخذ المغرب للصحراء الغربية سيجدد مطالبها بضم موريتانيا ذاتها إلى المغرب، ومن ثَم فالمطالبة بالصحراء الغربية أو بجزءٍ منها سيكفل أمانًا للحدود الموريتانية. أما أهل الصحراء وجبهة البوليساريو فيرَوْنَ أن المغرب وموريتانيا لم يبذلا جهدًا عسكريًّا لحل الأزمة، وأنه لو ظل المغرب يطالب ألف سنة بالصحراء الغربية في الأمم المتحدة فإن إسبانيا لن تخرج من الأرض، ومن ثَم فهُم الذين بذلوا الجهد والدماء في سبيل التحرير، ومن هنا فهُمْ يريدون إعلان منطقة الصحراء الغربية دولة مستقلة لا تتبع المغرب أو موريتانيا، ومن الجدير بالذكر أن الجزائر وقفت مع جبهة البوليساريو في مطالبها، وذلك بالطبع نظرًا للتوجُّه الماركسي للفريقيْن، إضافةً إلى الخلفية التاريخية للصراع

بين المغرب والجزائر.

سارعت المغرب وموريتانيا إلى محكمة العدل الدولية للبتّ في هذه القضية الشائكة، فقضت المحكمة في ١٦ أكتوبر ١٩٧٥م بأن هناك علاقة تاريخية بين الدولتين المغرب وموريتانيا مع هذا الإقليم الصحراوي المتنازَع عليه، ومع ذلك فإن ينبغي استفتاء جمهور الناس في الصحراء الغربية لمعرفة رغبتهم فيما لو أرادوا الانضمام إلى إحدى الدولتين أو الاستقلال.


المسيرة الخضراء

سارع الملك المغربي الحسن الثاني في نفس اليوم بمخاطبة الشعب المغربي، طالبًا منه القيام بمسيرة سلميَّة ضخمة عُرفت بـ «المسيرة الخضراء» للتوجُّه إلى الصحراء الغربية (والتي ما زالت تحت الاحتلال الإسباني)، وذلك بالتنسيق مع السلطات الإسبانية؛ لكي يتم فرض الأمر الواقع : أن هذه الأرض تابعة للمغرب وليست لموريتانيا أو البوليساريو .وقد شارك في هذه المسيرة السلميَّة ٣٥٠ ألف مغربي، وخرجت إلى الصحراء الغربية في ٥ نوفمبر ١٩٧٥م وعادت بعد أربعة أيام في ٩ نوفمبر ١٩٧٥م .

* **تقسيم الصحراء:**

وعلى الرغم من هذه المسيرة، وعلى الرغم من مطالبة المغرب بالصحراء الغربية كلها، بل بموريتانيا أيضًا، إلا أن المغرب جلست مع موريتانيا في حضور إسبانيا، وذلك يوم ١٤ نوفمبر ١٩٧٥م بهدف تقسيم أرض الصحراء الغربية بين الدولتين!! فأخذت المغرب ثلثي الصحراء الغربية (إقليم الساقية الحمراء)، وأخذت موريتانيا

الثلث الجنوبي (إقليم وادي الذهب)، وهذا بمنطق شيء أفضل من لا شيء!!

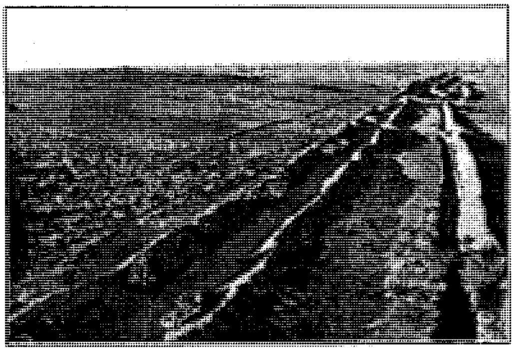
وفي يوم ١٢ يناير ١٩٧٦م خرجت الجيوش الإسبانية من الصحراء الغربية، لتنطلق الجيوش المغربية إلى إقليم الساقية الحمراء، وكذلك الجيوش الموريتانية إلى إقليم وادي الذهب، بينما رفضت جبهة البوليساريو هذا الأمر كُلِّيَّة، بل تفاقم الأمر جدًّا عندما أعلنت جبهة البوليساريو قيام الجمهورية الصحراوية الشعبية الديمقراطية، وذلك في يوم ٢٦ فبراير ١٩٧٦م، وجعلت مقرها في تندوف (في الجزائر)،وكانت الجزائر أول الدول اعترافًا بهذه الجمهورية الجديدة، وتوالت اعترافات الدول صاحبة التوجُّه الشيوعي الماركسي مثل ليبيا وكوريا الشمالية وإثيوبيا وإيران (تحت حكم الشاه) وأفغانستان (تحت الحكم الروسي)، وغير ذلك من دول.

وبدأ صراع من نوع جديد، فهذه القوة الصحراوية بدأت في الحرب مباشرة ضدَّ ما أسمتهم بالمحتلين الجدد: المغرب وموريتانيا. وإزاء هذا الموقف عُقدت اتفاقية رسمية بين المغرب وموريتانيا في يوم ١٤ إبريل ١٩٧٦م تقضي بتقسيم الصحراء الغربية بينهما؛ مما أشعل غضب البوليساريو، فتوجَّهَتْ بمهاجماتها العسكرية ناحية الطرف الأضعف وهو موريتانيا، ووصل الأمر إلى الهجوم على نواكشوط في ٩ يونيو ١٩٧٦م، في حملة قُتل فيها قائد الحملة مصطفى السيد، وهو رئيس جبهة البوليساريو.

ازداد الموقف تأزمًا؛ مما دفع موريتانيا إلى عقد اتفاقية دفاع مشترك مع المغرب في ١٣ مايو ١٩٧٧م، فردَّت البوليساريو بهجوم جديد على نواكشوط في ٣ يوليو من نفس السنة، وشعرت موريتانيا بالخطر الشديد؛ مما دفعها إلى قبول وساطة الجزائر في ٥ أغسطس سنة ١٩٧٩م، وتم عقد اتفاق يقضي بخروج موريتانيا من إقليم وادي الذهب، وقد تم هذا الخروج سريعًا جدًّا إلا أن القوات المغربية دخلت فورًا في ١٤ أغسطس ١٩٧٩م إلى هذا الإقليم، معلنةً ضمَّه إلى التراب المغربي.

*** الصراع والاستفتاء:**

خرجت موريتانيا بذلك من الصراع، بل اعترفت بالجمهورية الصحراوية الشعبية الديمقراطية في ٢٧ فبراير ١٩٨٤م؛ وبذلك تكثَّفت هجمات البوليساريو على المملكة المغربية، وكانوا يُكثِرون من التسلل إلى داخل المغرب، حتى قامت المغرب ببناء ما يسمَّى بـ«الجدار الرملي»؛ بهدف منع مقاتلي البوليساريو من دخول المغرب، وكان هذا الجدار بدعم من الكيان الصهيوني المسمَّى إسرائيل! وتحت إشراف أرييل شارون!! وتم بناؤه بين عامي ١٩٨٠ و١٩٨٧م.



الجدار الرملي

استمر الصراع العسكري بين أفراد البوليساريو والمغرب حتى سنة ١٩٨٨م (مدة ١٣ سنة)، حتى تمت موافقة الطرفين على الجلوس للتفاوض السلمي في الموضوع، وقام الطرفان في سنة ١٩٨٨م بعقد ما يسمَّى باتفاق المبادئ، والذي يسعى لمعرفة رأي جمهور الصحراء الغربية في القضية، وعمل استفتاء يحل المشكلة، وقد تزامن هذا الأمر مع حدوث تصدعات كثيرة في التحالفات الموجودة بين الجمهورية الصحراوية وبين حلفائها، وخاصة الجزائر التي شُغلت بأحداثها الداخلية. كما تنامى المد الإسلامي في المنطقة وهو يرفض التوجُّه الماركسي لجبهة البوليساريو، وتزايدت حدة الهجوم العالمي على المغرب بخصوص قضايا حقوق الإنسان، والتعذيب في السجون، والديكتاتورية، وغير ذلك من ملفات.. كل هذا أدى إلى قبول الأطراف المختلفة بالجلوس للبحث عن حل سلمي للقضية.

لكنْ هل وصل الفريقان إلى حل؟!

إن الفريقين يتكلمان لغة مختلفة، فلا المغرب يفهم الصحراويين، ولا

الصحراويون يفهمون المغاربة، ومن ثَم طال أمد المفاوضات وطال وطال، وهم يطرحون ما طرحته الأمم المتحدة من إجراء استفتاء تحديد مصير في الصحراء الغربية، ولكن هذا الاستفتاء يكاد يكون مستحيلاً في هذه الظروف، فمَن هم الذين سيقومون بالإدلاء بأصواتهم ؟ هل هم السكان في الصحراء حسب السجلات الإسبانية قبل خروج الأسبان سنة ١٩٧٥م، أم هم السكان الحاليون الذين فيهم الكثير من المغاربة، والذين دخلوا المدن الصحراوية وعاشوا فيها منذ سيطرة المغرب على الأرض، وهذا منذ ١٩٧٥م وحتى الآن، فنحن نتكلم عن ٣٤ سنة كاملة ؟ ثم مَن الذي سيشرف على الاستفتاء؟ وما هي فترة الاستفتاء وآلياته؟ ومن الذي يضمن قبول كلِّ الأطراف بنتيجة الاستفتاء ؟ وفي حالة عدم قبول طرف هل تتدخل الأمم المتحدة بجيوشها الأمريكية وغيرها لحلّ الأزمة، أم أن الأطراف المتصارعة لها القدرة على تطبيق ما تريد؟ !

* **الحكم الذاتي وافتقاد الحياد**:

إن الأزمة شديدة التعقيد، والثقة منعدمة بين كل الأطراف، والاستعماريون ينفخون في النار ليستمر الاشتعال، والعرب في حالة من الموات، وكل هذا أدى إلى الدخول في طريق مسدود؛ فاستمرت المفاوضات سنة وسنتين وعشرة حتى أعلنوا في سنة ١٩٩٩م توقف خطة الاستفتاء لاستحالتها!

وفي ٣١ مايو سنة ٢٠٠٠م تتقدم فرنسا وأمريكا بمبادرة مشتركة لمجلس الأمن لصياغة حلّ سياسي يقوم في الأساس على إعطاء حكم ذاتي للصحراويين في الصحراء الغربية، وذلك تحت السيادة المغربية، وهو يبدو في ظاهره حلاًّ يُرضِي الطرفين، لكن الثقة - كما ذكرنا - منعدمة بين المغرب والبوليساريو.

كما أنه لا يخفى على الجميع أن فرنسا وأمريكا لم يدخلا في حل القضية بدوافع الطِّيبة والحرص على حقوق الإنسان؛ ففرنسا أحد أسباب المشكلة في المنطقة، وأمريكا أحد أسباب مشاكل الدنيا كلها، ولكنهما يريدان وضع أقدامهما في كل نقاط

الصراع في العالم، ومن هنا فقد رفضت جبهة البوليساريو - ومن ورائها الجزائر - لهذا الطرح، خاصةً أن التقارب بين أمريكا والمغرب كبير، ولن تكون الوساطة تامَّة النزاهة!

وماتت المفاوضات عدَّة سنوات، ثم برزت أمريكا من جديد كوسيط وحيد في مشكلات العالم لتدعو الطرفين للتفاوض تحت رعايتها، وقَبِل البوليساريو في ظل الوضع المتردي لجمهوريتهم الاسميَّة والموجودة في تندوف بالجزائر، وبدأت سلسلة من المباحثات في ضاحية مانهاست بنيويورك في أمريكا، ووصلت عدد الجولات بين الفريقين إلى أربعة، وقد باءت كلها بالفشل الذريع، وهم الآن يمهدون للجولة الخامسة، وأغلب الظن أنها ستفشل كما فشلت الجولات الأربعة السابقة.

لقد أصدرت الأمم المتحدة قرارًا خطيرًا بوجوب الاستفتاء في الصحراء قبل ٣٠ إبريل ٢٠١٠م، وتميل جبهة البوليساريو إلى هذا القرار، أما المغرب فتميل إلى فكرة الحكم الذاتي تحت سيطرة المغرب، وأصابع الأمريكان والفرنسيين والأسبان واليهود ليست بعيدة عن الأحداث.

فما هو حل هذه المشكلة المعقَّدة؟!

هل ينبغي أن تضمَّ المغرب الصحراء الغربية كلها وتعرض عن رغبات الصحراويين؟!

أم هل يتم تقسيم الأرض بين المغرب والبوليساريو؟!

أم هل يُقام حكم ذاتي للصحراويين داخل إطار الحكم المغربي؟!

أم هل يُجرى استفتاء بين الصحراويين لتحديد المصير؟!

أم هل يستقل الصحراويون بالصحراء الغربية، ويكوِّنون دولة ذات سيادة كاملة على أرضها؟!

أم هل تظل المفاوضات مائة سنة أخرى؟!

أم هل يرسل مجلس الأمن وأمريكا قوَّاتهم لفرض الأمن والأمان؟

شاركونا يا أصحاب الرأي، ويا أهل المغرب والصحراء الغربية وموريتانيا والجزائر، ويا عموم المسلمين الذين يريدون لأمتهم وحدةً وقوَّةً وسيادةً ومجدًا.

أمَّا أنا فأرى الحل واضحًا، والسبيلَ ممهدًا، لكنْ لهذا حديثٌ آخر، وهو موضوع مقالنا القادم بإذن الله.

وأسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(٢٠)
حل مشكلة الصحراء الغربية [١]

من العبث أن نظنّ أنَّ حلَّ مشكلة الصحراء الغربية سيأخذ عامًا أو عامين، أو أنْ نظن أن الاقتراحات التي سنقدمها ستكون مقبولة من كلّ الأطراف، فنحن نعلم أن المشكلة بالغة التعقيد، وذلك كما فصَّلنا في المقاليْن السابقين: «المغرب ومشكلة الصحراء الغربية» و«الصحراء الغربية.. المغرب أم البوليساريو». ولقد زاد من درجة تعقيدها الأخطاءُ المركَّبة التي وقع فيها كل الأطراف المشتركة في القضية..

*** أخطاء المغرب:**

فالمغرب أخطأ - أولاً - في أنه لم يأخذ الحلّ العسكري، أو على الأقل يؤيده بقوَّة منذ تحرر سنة ١٩٥٦م وإلى سنة ١٩٧٥م لكي يحرر الصحراء الغربية من الأسبان.. إنه أراد ألاّ يدخلَ في مشاكل جديدة، وترك الأمر للصحراويين الذين عانوا كثيرًا في مقاومة الأسبان، حتى إذا خرج الأسبان شعر الصحراويون أن الأرض أرضهم دون شريك؛ لأنّ غيرهم لم يدافع عنها معهم.


المغرب يلجأ إلى مجلس الأمن

وثانيًا: لجأ المغربُ إلى كيان كلُّنا يعلم عدم نزاهته وهو الأمم المتحدة، ولجأ إلى كيان أقلَّ نزاهة بصورة أكبر وهو أمريكا، وهذه الكيانات لا تبحث عن مصالح

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ٤/ ٦/ ٢٠٠٩م.

الدول الضعيفة، إنما تسخِّر إمكانياتها لخدمة الأقوياء، ولو كان بالظلم والقهر.

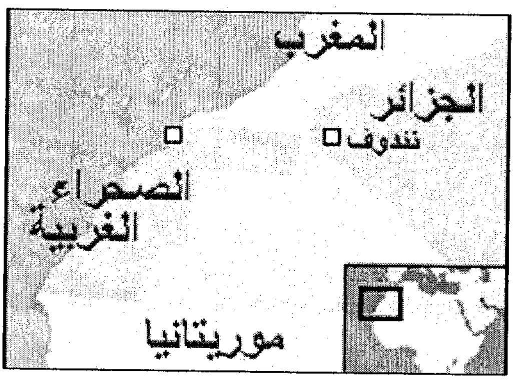
وثالثًا: إن المغرب قد عانى من غياب الرؤية في أكثر من موقف، فنحن نراه يطالب بالصحراء الغربية كلها ثم لا يمانع في سنة ١٩٧٦م أن يجلس مع موريتانيا ليقسِّمها معها ! ونجده يطالب بتندوف في الجزائر، ثم يغلق الملفّ في صمت، ونجده يجلس مع البوليساريو سنوات طويلة دون حلول مقنعة تُنهي المشكلة، إنما الوضع كله مجرَّد تسكين للآلام دون علاج.

* أخطاء البوليساريو:

أما البوليساريو فقد أخطأوا بحمل السلاحِ ضدَّ إخوانهم وأشقائهم من أهل المغرب وموريتانيا، وكان من الأَوْلى أن يجلِسوا مع إخوانهم مجلس الشرفاء المجاهدين الذين يسعون إلى خير البلد بعد رحيل الأعداء عنها، لكنهم نظروا إلى الأمور نظرة مصلحِيَّة بحتة، خاصة أن التوجُّهَ الماركسي الذي ينتهجونه لا ينظر إلا إلى المادة والمصلحة فقط .

* أخطاء الجزائر:

والجزائر كذلك أخطأت بدخولها في الصراع إلى جانب البوليساريو، إضافةً إلى استقبال جمهوريتهم الوهميَّة في داخل أرض تندوف المغربية الأصل الجزائرية السيطرة، وليس خافيًا أن الجزائر لم تدخل في هذا الصراع نصرةً للمظلومين أو دفاعًا عن الحقوق؛ إنما دخلت لتُضعف المغرب، وذلك لتحقق توازنًا سياسيًّا في المنطقة. كما أن الجزائر كانت تنتمي إلى المعسكر الروسي، والمغرب تنتمي إلى المعسكر الأمريكي، وحتى بعد سقوط الاتحاد السوفييتي وانتهاء ما كان يُعرف بالحرب الباردة، فإنّ هذه



الحرب الباردة - وأحيانًا الساخنة- ما زالت مستمرة في عقر دارنا!

*** أخطاء الجميع :**

والجميع أخطأ بإدخال العناصر الاستعمارية التي كانت السبب الأصلي للمشكلة في حلبة الصراع، فالكل الآن يُدلي برأيه، ويتقدم بمشروعه، ويعرض وساطته، وهذه في الحقيقة وقاحة من الدول الغربية، وحماقة من الدول العربية، والضحية هم المغاربة والصحراويون على السواء.

ويزيد الأمر تعقيدًا الإمكانيات الاقتصادية الهائلة للصحراء الغربية، والتي تجعل لعاب الجميع يسيل للسيطرة عليها.. وبدلاً من أن تكون هذه الإمكانيات مصدر سعادة لأهل المغرب وعموم المسلمين، صارت سببًا في شقاء الأشقاء!

*** إمكانات اقتصادية كبيرة:**

والصحراء الغربية تعدّ من الكنوز الحقيقية في الأمة الإسلامية؛ فهي تنتج بمفردها ٣٥٪ من إنتاج المغرب من الفوسفات (المغرب ثالث دولة في العالم في إنتاج الفوسفات)، واحتياطي الفوسفات في الصحراء الغربية يمثّل ٢٨،٥٪ من احتياطي العالم، وبالصحراء الغربية أكبر منجم فوسفات في العالم، وهو منجم بوكراع الذي ينتج بمفرده ٩٪ من إنتاج العالم! وكان دخل المغرب من فوسفات الصحراء الغربية في العام الماضي يفوق ٦٦٠ مليون دولار.

كما أن الصحراء الغربية تحتوي على احتياطي حديد يقدر بـ٦.٤ مليار طن، وبها رواسب كثيرة من خامات النحاس، بل تحتوي على الذهب في منطقة «وادي الذهب»، وبها أيضًا كميات كبيرة من الأحجار الكريمة وخاصةً الزُّمرُّد والياقوت، وكذلك تحتوي على مناجم مهمَّة من الملح الحجري سهل الاستخراج، وفوق كل ما سبق فإنّ أرض الصحراء الغربية بها احتياطيات كبيرة واعدة من البترول والغاز والفحم الحجري؛ مما يجعلها من مخازن الطاقة البِكر التي لم تمسَّ بعدُ. أما الثروة السمكية فأكثر مما نتخيل؛ فالصحراء الغربية تشرف على أغنى حوض سمكي في

إفريقيا تقدَّر مساحته بـ ١٥٠ ألف كم مربع، وله القدرة على إنتاج مليونَيْ طن من الأسماك سنويًّا!!

إنها ثروة هائلة يمكن أن تجلب الخير للعقلاء، وهي - في ذات الوقت - مصدر صراع ونزاع وشقاق للحمقى والأغبياء!!

* الصحراء الغربية أرض مغربية:

ومن الذي يملك هذه الأرض؟ ومن الذي ينبغي أن يحكمها؟ !



الصحراء الغربية مغربية

إن الرأي الذي أراه حقًّا في هذه القضية، والذي أتمنى ألاّ يُغضب أحدًا من الأطراف، هو أن الصحراء الغربية أرض مغربية مائة بالمائة، وأنه لا يجوز أصلاً إجراء استفتاء تحديد المصير بين أهلها، مع أننا نلوم المغرب على تركه للقضية في سنة ١٩٥٦م إلى سنة ١٩٧٥م، ومع أننا نقدِّر الجهد المشرِّف الذي قام به المغاربة الصحراويون في إخراج الأسبان، إلا أن هذا لا يُلغي مغربية الأرض، وهو أمر غير مقبول عقلاً ولا عُرفًا، وإلاّ أصبح الطريق مفتوحًا لكل مدينة قاومت الاستعمار أن تطالب باستقلالها عن الكيان الأم، وغدًا نسمع عن دولة الرباط ودولة الدار البيضاء ودولة فاس، وهكذا!! وهذه الفكرة الخبيثة صدَّرتها لنا الأممُ المتحدة لتساهم بشكل كبير في تفتيت العالم الإسلامي، فهي تعلم أن أهل الصحراء إنْ أدلوا بأصواتهم فإنهم سيطلبون الاستقلال عن المغرب؛ لأنهم يريدون السيطرة على كل هذه المقدَّرات دون شريك، كما أنهم يتصرفون بعاطفتهم دون النظر إلى عواقب الأمور.

راجعوا أنفسكم يا إخواني..

إنَّ أهل الصحراء الغربية يبلغون من العدد ٣٧٣ ألفا حسب تعداد سنة ٢٠٠٥م، فهل يكفي هذا العدد لإقامة دولة قوية، بجيش عظيم يحمي كلَّ هذه الثروات، أم أننا سنفاجأ بعد أيام قليلة بقدوم الأسطول الإسباني أو الفرنسي أو الأمريكي للسيطرة على الأمور بأي حُجَّة، ولو كانت البحث عن أسلحة الدمار الشامل؟!

أليس من الأولى والأحكم أن يعود هذا الجزء إلى الكيان، وأن يتوحَّد المتفرِّقون، وأن يُصبح الجميع مغاربة دون النظر إلى اعتبارات الجغرافيا والعرق والنسب؟!

ومن هذا المنطلق أيضًا ففكرة تقسيم الصحراء الغربية فكرة فاشلة؛ لأنها تزيد من تفتيت المنطقة وإضعافها، كذلك فإنّ فكرة الحكم الذاتي لا تعني إلا ترحيل المشكلة عدة سنوات حتى تنفجر من جديد في ظروف أخرى.

* **الحلول العشر:**

إن الشرع والعقل والعُرف والقانون والتاريخ يشهد بأنّ هذه الأرض مغربية، ومع ذلك فنحن نعلم أن آليات تطبيق هذا الأمر صعبة، وأن تنفيذ هذا الحكم عسير، ومن هنا فأنا أعرضُ في هذا المقال عشرة أمور أحسبُ أن تطبيقها ييسِّر من عملية ردِّ الأوضاع إلى نصابها الصحيح، وأسأل الله ﷻ أن يُلهِم ولاة الأمور رُشدهم.

أولاً: لا بُدَّ من بث الروح الإسلامية الأصيلة في المجتمع المغربي بكامله، وليس في أهل الصحراء الغربية فقط؛ لأنّ الإسلام هو العامل الوحيد الذي يجمع الشتات، ويؤلِّف بين قلوب المتخاصمين والأعداء، وليس هذا كلامًا نظريًّا، بل وجدنا تطبيقه في كل بقاع الأمَّة الإسلامية، ووجدناه أيضًا في تاريخ المنطقة، وما توحَّدت هذه المنطقة في زمن المرابطين أو الموحِّدين إلا بالإسلام. ومن هنا كان واجب التوعية الدينية، ونشر الدعاة والعلماء، وفتح المجال الواسع لهم في وسائل الإعلام.. كان كل

ذلك داعيًا إلى تهدئة الصراع بين الأطراف.

وأنا أعلم أن الحكومة المغربية متخوِّفة من الإسلام السياسي، وتجعله من الخطوط الحمراء التي لا ينبغي تجاوزها، لكنني - والله - أطمئنهم مخلصًا أن العزة في الإسلام، والمجدَ والشرف في اتّباع الشريعة، ويا ليت قومي يعلمون! ولقد دانت الدنيا لأسلافنا عندما تمسكوا بهذا الدين، أما الذين أعرضوا عنه فإنهم يعيشون حياةَ الضنك، ولو كانوا ملوكًا أو سلاطين!

ثانيًا: نريد من العلماء الأجِلاَّء في المغرب والجزائر وموريتانيا أن يكتبوا لنا قصة هذه المنطقة بكل تفصيلاتها، وليس من الناحية التاريخية فقط، بل أيضًا من النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية والأمنية والدينية. إننا تنقصنا المعلومة، فنجد أنفسنا مكبَّلِين بجهلنا، فإذا عرفنا انفتحت أمامنا سُبل الهداية والتوفيق، ثم على هؤلاء العلماء الأجلاَّء أن يخرجوا لنا هذا العلم إلى النور، فلا يظل حبيس الأرفف في المكتبات الأكاديمية، أو في المحافل العلمية، بل نريده في متناول الجميع؛ ليصل إلى كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، فتُوضع دول المغرب العربي وموريتانيا بذلك في بؤرة اهتمام المسلمين، وهذا سيكون له مردود في أكثر من اتجاه دينيًّا وسياسيًّا واستثماريًّا، وغير ذلك.

ثالثًا: على الحكومة المغربية أن تُبرز اهتمامًا كبيرًا باللاجئين من أهل الصحراء، الذين يعيشون في ظروف صعبة في المناطق الحدودية بين المغرب والجزائر وبالقرب من تندوف، فهؤلاء في وضعهم المزري لن يجدوا سبيلاً للانتماء للمغرب في قلوبهم، ومن هنا فنحن لا نطلب مجرَّد إعانات، أو مجرد إرسال هيئات إغاثية، إنما نريد حلاً



لاجئوا الصحراء الغربية

جذريًّا يوفر لهم الرعاية الصحية والغذائية والعلمية والحياتية بشكل عام، وإلاّ سيصبح هؤلاء بركانًا قابلاً للانفجار في أي لحظة، وهم - في النهاية - مغاربة لهم حقوق، فالمغرب لا تملك الصحراء الغربية دون واجبات عليها، بل تحكم الأرض وترعى شعبها.

رابعًا: على الدولة المغربية أن تسرع باستصلاح أرض الصحراء الغربية، والتنقيب عن المياه الجوفية، أو استقدام المياه من أحد الأنهار القريبة، أو تحلية مياه البحر. كما أن عليها أن تُنشئ عدة مدن حديثة في الصحراء، لتكون ملاذًا آمنًا مريحًا لأهل هذه المنطقة الصعبة، ويمكن أن تكون هذه المدن بالقرب من المناجم ليسكن فيها العمال والاقتصاديون، كما يمكن أن تكون بالقرب من ساحل البحر لتتعامل مع الثروة السمكية والموانئ التجارية، وهناك عدة تجارب لإنشاء مدن في الصحراء في أكثر من دولة عربية، وفي مصر - على سبيل المثال - هناك مدن كثيرة أُنشئت في وسط الصحراء فغيّرت من طبيعتها وجلبت الاستثماريين وأصحاب المصانع، مثل مدينة العاشر من رمضان ومدينة السادات ومدينة النوبارية وغير ذلك. ويمكن أن يقوم الاقتصاديون ببناء المصانع المتخصصة التي تصنع المواد الخام الموجودة بالصحراء الغربية بدلاً من تصديرها في صورتها الخام فقط، كما يمكن إنشاء مصانع تعليب الأسماك وتصنيعها، ولقد تحسَّن الاقتصاد الفيتنامي - على سبيل المثال - بتصنيع الأسماك فقط!

ثم إن هذه المصانع ستحتاج إلى عمّالٍ وإداريين وموزِّعين وغير ذلك، ويمكن أن تعطي أولوية لأهل الصحراء للعمل في هذه الأماكن مع ربطهم بالنظام العام في المغرب حتى يزداد ولاؤهم للدولة.

وصدقوني - يا ولاة الأمر - فإنّ المواطنين لا يمكن أن يشعروا بالانتماء إلى بلدٍ تتوجه فيه الثروات إلى طائفة دون طائفة، وينعم فيها قوم دون آخرين.

إن هذه ليست أحلامًا ورديَّة وهمية، فالعالم العربي والإسلامي مكدَّس

بالأموال، ولو أحسنت المغرب تسويق هذه المشاريع لجاءت رءوس الأموال من كل مكان، فتحقِّق الفائدة لكل الأطراف.

خامسًا: لا بُدَّ من تقليص الوجود الأجنبي في منطقة الصحراء الغربية، بل في المغرب بكاملها، سواءٌ كان هذا الوجود عسكريًّا عن طريق جيوش حفظ الأمن والسلام، أم كان اقتصاديًّا عن طريق الشركات العالمية العملاقة؛ لأن هؤلاء لهم أجندة مختلفة عن آمالنا وطموحاتنا، وسوف يؤدي تواجدهم إلى إعادة فتح ملفات قديمة قد تؤثِّر سلبًا على الأحداث. ولا مانع إن كنا سنضطر إلى الاستعانة بشركات متطورة أن نتعامل مع بعض الدول الأخرى مثل الصين وكوريا واليابان وماليزيا، ولا داعي للأمْرَكَةِ في كل شيء؛ فواقع الأمر أن هذا يؤدِّي إلى احتلال اقتصادي واجتماعي ومعنوي قد يكون أشدَّ من الاحتلال العسكري.



الملك محمد السادس - بوش علاقة مصالح

سادسًا: لا بد للحكومة المغربية أن تُصدر عفوًا شاملاً حقيقيًّا عن قيادات البوليساريو ومقاتليه، وعن رئيس حكومة الجمهورية الصحراوية ووزرائه، وأن تعطيهم ما يعوِّضهم عن الطموحات التي في أذهانهم، وليست القضية في الأموال بحسب، ولكن في السلطات أيضًا، فلا مانع أن تقسَّم الصحراء الغربية إلى أقاليم، ويكون على قمة هذه الأقاليم رجال من أهل الصحراء. كما لا بُدَّ أن يُشْرَك أهل الصحراء جميعًا في منظومة الحكم المغربي، فيمكن لهم أن يدخلوا



قادة البوليساريو

البرلمان والوزارات والمؤسسات الكبرى، بل من الأفضل أن تكون لهم نسبة ثابتة في الحكومة تبعًا لنسبة السكان في الصحراء الغربية، ولا مانع أن يكون منهم السُّفراءُ والقضاةُ ومديرو البنوك والشركاتِ الكبرى.. إنها عملية دمج طبيعية تحقِّق الأمن والسلامة، وتزرع الانتماء، وقبل كل ذلك فهو حق من حقوقهم؛ لأنهم من أفراد الشعب المغربي.

سابعًا: على الحكومة المغربية أن تفتح ملف حقوق الإنسان بمنتهى الشفافية؛ فسُمْعة المغرب في هذا المجال - للأسف - غير طيِّبة، وأنا أعرف أن هناك الكثير من الإصلاحات التي قامت بها الحكومة في عهد الملك محمد السادس، لكن هذه الإصلاحات لم تصل إلى الحدّ المطلوب، وإن كنا سعداء بها اعترفت به الحكومة في سنة ٢٠٠٤م - عند إنشائها لهيئة الإنصاف والمصالحة - بأنها تعدَّتْ ظلمًا على ٢٠ ألف مواطن في عهد الملك الحسن الثاني، وأنها تبحث طرق تعويضهم. لكنْ كل المؤشرات تشير إلى أن جوانب كثيرة من حقوق الإنسان المدنية والسياسية ما زالت منتهكة، ومن المؤكد أن أهل الصحراء الغربية لو شعروا بشفافية الأمور، وحياديَّة الحكومة، وقوة القانون، وعدم إمكانية التلاعب به، فإنّ هذه كلها أمور تدفع إلى قبول الاندماج بشكل طبيعي في الدولة المغربية.

ثامنًا: نريد مراجعة صادقة من المسئولين في المغرب لنظام الحكم فيها؛ فالأنظمة الديكتاتورية تتهاوى في العالم أجمع، ولم يبقَ لها معاقل إلا في عالمنا العربي! وما عاد الناس في العالم يقبلون أن «يملكهم» إنسان، وقد تبدو وجوه الشعب راضية، ولكن في نفوسهم براكين، وفي قلوبهم غليان، وهذا لا ينذر بخير أبدًا.. إنه ليس من العيب أبدًا أن نراجع أنفسنا، وأن نعدِّل من مسارنا ونظامنا إنْ وجدنا خيرًا منه، والعالم الآن لم يعُدْ مغلقًا كأيام القرون الأولى، بل أصبح قرية صغيرة، يستطيع فيها الشعب المغربي الأصيل أن يتابع ما يحدث لإخوانه في الإنسانية في كل بلاد الدنيا، سواءٌ من الفضائيات أو الإنترنت أو التليفونات، ولم يعد هناك إمكانية للسيطرة على

مدارك الناس، فلا شكَّ أنهم يتساءلون: لماذا يحدث هذا الجبر والقهر في بلادنا، وما عاد يحدث في رومانيا أو بولندا أو فنزويلا أو بوليفيا؟!

إنه من الأسلم أن نجلس جلسات مصارحة ومكاشفة وبحثٍ عن الأفضل؛ حتى نضمن أمنًا وأمانًا للبلاد، وفي ذات الوقت نُخرِج أفضل الطاقات للعمل من أجل رفعة الأمة.

تاسعًا: لا بُدَّ لدولة الجزائر أن تتدخل بشكل إيجابي لحلِّ الأزمة؛ فدولة المغرب أبقى لها من جمهورية الصحراء، ونحن في النهاية جميعًا مسلمون، ولا داعي للمراهنات السياسية التي تحافظ على أتُونِ الفتنة في المنطقة، ولو رفعت الجزائر يدها عن دعم الجمهورية الوهميَّة المستقرة عندها في تندوف لاقتربت المشكلة كثيرًا من الحل، ولا يعني هذا إلقاء القائمين على هذه الجمهورية، إلى التهلكة، بل نريد أن نحفظ دماءهم وأعراضهم وأموالهم، فهم أيضًا مسلمون ومغاربة ولهم حقوق، إنما نريد للجزائر كدولة عريقة وأصيلة أن تجلس بإيجابية للمصالحة بين المتخاصمين، ولإعادة جمع الشمل من جديد.



الرئيس الجزائري وزعيم البوليساريو

عاشرًا: يا أمتي العربية والإسلامية، أين أنتِ؟! ألا يمكن أن يجتمع المخلصون من ستين دولة إسلامية لحلِّ هذه الأزمة، ولغلق هذا الملف، ولفتح صفحة جديدة للنهضة والإعمار والاستصلاح والاستثمار؟!

إن الأمَّةَ غابت كثيرًا وكثيرًا عن أداء دورها، وعن القيام بالأعمال المنوطة بها، فهانت على الدنيا، بل هانت على نفوس أبنائها، فما عاد المسلمون ينتظرون منها شيئًا.. أين الجامعة العربية؟ وأين منظمة المؤتمر الإسلامي؟ وأين منظمة الوحدة

الإفريقية؟ وأين العلماء والدعاة؟ وأين الرؤساء والأمراء؟

آهٍ لو تحرَّك هؤلاء وهؤلاء..

إن كنا سنعجز عن إنهاء الصراع بين الأشقاء، فماذا سنفعل في قضايانا في فلسطين والعراق والشيشان وكشمير وغيرها من جروحنا النازفة؟!

هذه هي الآليات التي أراها في هذه القضية.. فتلك عشرة كاملة.

وأعلم أن الكثير سيقولون: هذا في معظمه دور الحكام، فأين دور الشعوب؟ فأقول لهم: بداية الأمر أن تفهم الشعوب ثم تتحرك، فلو رأى الله ﷻ الصدقَ في قلوبها، والجِدَّ في أعمالها، رزقها من يُعيد لها مجدَها وعِزَّها.

فيا أهلنا في المغرب استقبلوا إخوانكم في الصحراء بالكرم المغربي المعروف، ويا أهلنا في الصحراء عودوا إلى وطنكم الأم، ويا أمتنا أفيقي؛ فأنتِ خير أُمَّةٍ أخرجت للناس.

هذه شهادتي للتاريخ، والله من وراء القصد، وهو يهدي السبيل.

وأسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

*****

(٢١)
أيتام على مائدة أوباما!! [١]

سأل موظف رئيسه في العمل: هل يمكن أن ندخِّن السجائر ونحن نعمل؟ فثار الرئيس وقال: هذا إهمال جسيم، وتضييع لوقت العمل. فذهب الموظف، وجاء آخر يقول لرئيسه: هل نستطيع أن نعمل ونحن ندخن؟ فقال الرئيس: بالطبع تستطيعون، وأنا أقدِّر لكم حرصكم على العمل في كل أوقاتكم، حتى وأنتم تدخنون!!

لقد حدثت مشكلة التدخين في الحالتين، بل لعلَّ الوضع سيكون مزريًا بصورة أكبر؛ لأنّ الموظفيْن حصلا على موافقة صاحب العمل، والفارق بين الموقفيْن هو أسلوب العرض، لكن النتيجة واحدة، وقد تم خداع صاحب العمل، وأقرَّ بالتدخين في داخل شركته!

هذا هو ما حدث في زيارة أوباما الأخيرة لمصر!

لم يحدث أي اختلاف في الاستراتيجية الأمريكية، ولا في الأهداف العليا للدولة، ولكن الذي اختلف هو التكتيك والخُطَّة، فالجميع: بوش وأوباما ومَن قبلهما يتجهون إلى نقطة واحدة، ولكنْ كلٌّ منهم بطريقته، وإذا انخدع المسلمون بما يفعل الرؤساء الأمريكيون فهذا خطأ المسلمين في المقام الأول.

لقد أعلن أوباما في منتهى الوضوح والصراحة أنه يرأس أمريكا، ومن ثَمَّ فهمُّه الأول أن يحفظ أمنها واستقرارها، وأن يحقق مصالحها قدْر ما يستطيع، وهذا أمرٌ لا يلومه عليه أحد. ثم إنه تطوّر في الصراحة، وقال في منتهى الوضوح: إن علاقة

(١) تم نشر المقال على موقع قصة الإسلام www.islamstory.com بتاريخ ١١/ ٦/ ٢٠٠٩م.

أمريكا بإسرائيل علاقة ثابتة غير قابلة للانكسار، وأن الجذور التي بينهما تاريخية. وهذا الإعلان في هذا المكان عجيب، حيثُ تجاهلَ تمامًا أنه يخطبُ مِنَ القاهرة، وتجاهل أنه يخاطبُ العالمَ الإسلاميَّ. وهذا التجاهلُ متعمَّد؛ فهو يريدُ للمخدوعين أن يفهموا هذه الحقيقة جيدًا، وأن يدركوا أن أصولَه الإسلامية الإفريقية لا تعني شيئًا بالمرَّة، بل إنَّه أعلن بوضوح أنّه مسيحيٌّ متمسك بالمسيحية. وفوق ذلك فقد أدخل - بلا داع - موضوعَ المحرقة اليهودية في أوربا، زاعمًا أنّ الذي ينكرها جاهلٌ، ولا ندري لماذا يُدخِل مثل هذه النقطة في حواره مع المسلمين؛ فالذين قاموا بالمحرقة - إن كانت حدثتْ على النحو الذي يصفون - نازِيُّون ألمان، فما دخْل المسلمين بهذا؟! وإذا كانت فعلاً ألمانيا تجنّت على اليهود فلماذا لم تقطعوا جزءًا من ألمانيا وتقيموا فيه دولة إسرائيل؟!



التراث اليهودي الأمريكي

إن إدخال أوباما لهذه النقطة في حديثه لكي يُعلِن لنا أنّه صهيوني حتى الثُّمالة، وقد وعدَ في برنامجه الانتخابي أن يجعل إسرائيل أقوى دولة في الشرق الأوسط، وكان منذ شهر واحد في أمريكا يحتفل بالتراث اليهودي الأمريكي، وقال في هذا الاحتفال: إنه لولا جهود اليهود لما كانت أمريكا على المستوى الذي هي عليه الآن .

إن الرؤية واضحة جدًّا في عين أوباما.. إنها المصلحة الأمريكية والمصلحة الصهيونية، بل إن المصلحة الصهيونية قد تسبق المصلحة الأمريكية، وراجعوا مقالاً سابقًا لي بعنوان (**مصلحة أمريكا أم مصلحة اليهود؟**)[1]؛ حيث يظهر لنا بوضوح مدى تضحية الأمريكيين لصالح أمنِ وقوَّة الصهاينة، أما المصلحة العربية أو الإسلامية فهي ليست في الحسبان، بل تستطيع أن تقول: إنهم ضدُّ هذه المصلحة

---

(١) بين التاريخ والواقع الجزء الثاني ص١٧٢.

حتى إن لم تضرهم؛ لأنّ قوة المسلمين تمثِّل خطرًا داهمًا عليهم، ومن ثَمَّ يصبح إضعاف المسلمين دينيًا وسياسيًّا واقتصاديًّا وعسكريًّا أحد الأهداف الرئيسية لأمريكا واليهود.

والآن ماذا يريد أوباما منا؟!

لقد خطب أوباما بلباقة، وصاغ كلماته بحِرَفِيَّة عالية، واستشهد بآيات القرآن الكريم، وأحاديث الرسول العظيم ﷺ، وطلب بعد هذا الأداء من المسلمين أن يتعاونوا معه في أمورٍ تهدف إلى السلام والمودَّة والمحبَّة بين الشعوب !



خطاب أوباما للعالم الإسلامي

ما هذه الأمور يا سيادة الرئيس؟!

إنّه يطلب أولاً إقامة دولتيْن: فلسطينية ويهودية.

ونتساءل: وهل هذا جديد؟! لقد أعاد صياغة الأوهام التي عشنا فيها ستةَ عشرَ عامًا كاملة، ونذكِّر الأمَّة الإسلامية التي أصابتها حالة من النسيان الجماعي بخريطة الطريق، ونذكِّرهم أنّ الذي كان يرعاها كان الرئيس السابق جورج بوش، ونذكرهم أن بوش كان في كل خطاباته مؤيدًا لحل الدولتين، وكذلك كلينتون من قبلُ؛ فأوباما إذن لم يأْتِ بحلٍّ سحريٍّ عجيب، لكنّ السؤال الأهم: هل هذا الحل مُرْضٍ للمسلمين؟ وهل يجب أن نصفّق ونسعد ونهتف بحياة أوباما أنّه سيقف وراء إعطاء الفلسطينيين أقل من ٢٠٪ من أرض فلسطين؟!

لقد ذكّرني هذا الموقف بطُرفة يقولون فيها: إنَّ أحد كبار قُطّاع الطريق سرق من أحد المساكين بيته وماله وحماره، فأخذَ المسكينُ يصرخُ وينتحبُ، فأشار عليه أحد رجال العصابة أن زعيم العصابة طيِّب، ولو شرحت له حالتك فسوف يُعيد لك

حقك، وشرح المسكين حالته، ووعده زعيمُ العصابة أن يُعيد له يومًا ما الحمار، لكنْ عليه أنْ ينسى الدارَ والمالَ، فخرج المسكينُ يهتف: يحيا العدل.. يحيا العدل!!

يا أمتي.. لا ينبغي لكِ أن تكوني مسكينة!!

هل كان يقبلُ صلاحُ الدين بدولة صغيرة في عكا أو حيفا أو القدس ويترك بقية فلسطين للصليبيين؟! أنا أعلم أن زعماءنا ليس فيهم صلاحٌ، ولكنْ علينا أن نعرف على الأقل ما هو حقنا، وأين هي مصلحتنا، حتى وإن كنا غير قادرين على تحقيقها.

ثم خبِّروني يا عقلاء المسلمين: ما هي الدولة الفلسطينية التي سيقيمها أوباما إلى جوار إسرائيل؟ وما هي مواصفاتها؟ هل تعتقدون أنها ستكون دولةً حرَّة مستقلة لها جيشها القوي، ودبابات وطائرات وأسلحة ومتفجرات؟ هل سيكون لها اقتصاد متماسك؟ هل سيُسمح لأهلها بالتحرُّك بحرية أمْ أن الأنْفَاق والجسور التي تربط بين أراضي هذه الدولة المزعومة ستكون تحت سيطرة اليهود؟!

إن المحللين يقولون: إنّه يستحيلُ الآن في ظل المستوطنات الكثيرة في الضفة الغربية وغزة أن تقوم دولة فلسطينية، وإن كان أوباما يطالب بوقفِ الاستيطان، فقد طالب به غيره قبل ذلك بوقف المستوطنات، وبشكل أكبر، مثل: جيمس بيكر وزير خارجية جورج بوش الأب، ولكنَّ شيئًا لم يحدث، وحتى لو حدث ووقفت المستوطنات فالوضع الموجود الآن يعوِّق قيام أي دولة، ولا نرى هذا الأمر إلا مجرد تسكين للأمَّة المكْلُومة؛ حتى تتوفر ظروف أفضل فيتم فيها السحق والإبادة كالمعتاد.

وماذا يريد أوباما أيضًا؟!

إنه يريد من حماس نفس الذي كان يريده بوش قبل ذلك، فهو يريد منهم الاعتراف بدولة إسرائيل، كما يريد منهم التخلِّي عن مقاومة المغتصبين.. هكذا ببساطة، ثم قال بتبجُّحٍ ظاهر: إنه لا يقبل أن تُلقى صواريخُ حماسٍ على عجائز


تدمير غزة

إسرائيل، بينما لم يعلّق البتّة على حصار غزة مدَّة ثلاثة أعوام حتى الآن، وقصف غزة بالصواريخ والطائرات والبوارج، واستشهاد المئات، وجرح الآلاف، وتدمير البنية التحتية!! لقد اكتفى بقوله أنه يقدِّر المعاناة الفلسطينية على مدار ستين عامًا، وهذا ما كان يقدِّره كذلك بوش وكلينتون وغيرهما !!

وماذا أيضًا يا فخامة الرئيس؟!

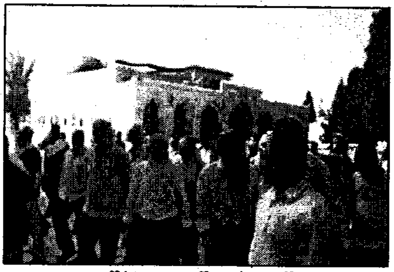
لقد طلب أيضًا أن يتعاون معه المسلمون في حرب المتطرفين، فهو لا يحارب الإسلام والحمد لله، بل يحارب من تطرّف في الإسلام، ونسي **الشيخ أوباما** أنْ يذكر لنا مَن الذي سيحدد تطرُّفَ إنسان أو تفريطَ آخر، ومَن الذي سيفتي بتشدد واحد وتساهل غيره!! فالذين يقاومون الصهاينة في فلسطين لا شكَّ أنهم متطرفون في زعمه، والذين يحاربون الأمريكان في العراق لا شكَّ أنهم متشددون في تصَوُّره، والذين لا يرغبون في التواجد الأمريكي في أفغانستان وباكستان إرهابيون في تعريفه..

فالكارثة أصبحت مركَّبة؛ فأوباما لا يطلب من العالم الإسلامي أن يترك أبناءه لرصاص الأمريكان فقط، بل يطلب منهم أن يساعدوه في ذلك، وحُجَّته أن الله خلق الناس - كما يحكي القرآن الكريم - ليتعارفوا ويتعاونوا، فلنتعاون جميعًا على سحق من يرفضُ السلامَ من المنظور الأمريكي!!

إن أوباما كان يلقي هذا الخطاب، وصواريخه تدُكُّ سوات في باكستان لسحق «المتطرفين المسلمين»، وكان يلقي الخطاب وهو ينشر ١٧ ألف جندي في أفغانستان لمقاومة «الإرهابيين المتطرفين». ونسأله أن يجيب علينا بصدق: هل ستحرك جيوشك يومًا ما لحرب المتطرفين اليهود الذين لا يقبلون بحل الدولتين؟! أم أن الصواريخ لا

تنزلُ إلا على رءوس المسلمين؟!

كما لا ننسى أن أوباما طالب بـ«تدويل القدس»؛ لأنها مدينة تهمُّ المسلمين والنصارى واليهود، مما يعني أنّ السيطرة الرسميَّة عليها - في رؤية أوباما - لا ينبغي أن تكون للمسلمين .



تدويل وتهويد القدس

ولم ينسَ أوباما أن يذكر أن جيوشَه لن تخرج من العراق قبل آخر سنة ٢٠١١م، وتذكروا معي أن الجيوش الأمريكية عندما دخلت العراق سنة ٢٠٠٣م قالت: إن هذا الدخول مؤقَّت لعدة أشهر فقط، ثم أجَّلوا الخروج عامًا ثم عامين ثم أربعة، والآن يتأجل إلى سنة ٢٠١١م، وعندما تأتي هذه السنة نكون قد تعوَّدنا على وجود الأمريكان، فلا نطالب بخروج!

هذه - يا إخواني وأخواتي - بعض مطالب أوباما، وهذه هي خُطته، وتلك هي أهدافه، فما الجديد فيما قدَّم؟!

إنني لا أفزع مطلقًا من طلباته هذه، ولا أخشى أبدًا من تخطيطاته وتكتيكاته، فهذا شيء متكرر ومعهود في كل مراحل التاريخ الإسلامي .كما أنني لا أفزع كذلك من رؤية الركوع الرسمي والانبطاح الحكومي للدول العربية في مواجهة هذه الطلبات، فأنا أعلم أنّ أهداف أوباما تتفق تمامًا مع أهداف الزعماء العرب، فالجميع يرغب في تركيع حماس، والجميع يهدف إلى إقامة دولتيْن إحداهما صهيونية قويَّة، والأخرى فلسطينية هشَّة! والجميعُ يتفق على زعامة الرجالِ الذين يعلنون بوضوح خضوعهم لليهود والأمريكان، والجميعُ ضدّ الإسلاميين، بل إنني أقولها في صراحة: إن السجون العربية تمتلئ بأضعاف أضعاف الإسلاميين الذين تحتجزهم سجون أمريكا واليهود!!

لذلك فأنا لم أتعجَّب من التلميع الباهر لخطاب أوباما، ولم أتعجب من طلب



الإحاطة الذي قدمه النائب مصطفى بكري يتساءل فيه عن إنفاق ٥٠٠ مليون جنيه مصري للتجهيز لزيارة أوباما (حوالي ١٠٠ مليون دولار للتجهيز لزيارة ٨ ساعات!)، ولم أتعجب من العنوان الرئيسي لإحدى الصحف حيث وصفت الرئيس الأمريكي بأوباما المنتظر! وصحيفة أخرى تشيد بأن الرئيس الأمريكي خلع «نعليه» وهو يدخل مسجد السلطان حسن!!

لم أتعجَّب من كل ذلك، كما لم أتعجّب من حالة هيستريا التصفيق المستمر، فنحن نعلم جميعًا مَن هؤلاء الذين سُمح لهم بمقابلة الرئيس الأمريكي، وحظُوا بشرف الاستماع إلى صوته!

كل ما سبق لا يفزعني، ولا أستغرب له، ولكن الذي يفزعني حقًّا أن أرى كثيرًا من شباب الأمة ورجالها ونسائها قد تعلقت آمالهم به، حتى ظنوا أن هذا «بداية الخلاص»، وأن الحقبة القادمة ستكون ألطف كثيرًا، وأنه قد آن الأوان أن يقف ضدّ اليهود أحد الزعماء الأمريكان، وأن هذا الرجل الأسمر يقدِّر مشاعر الظلم التي يشعر بها المسلمون، كما أن جذوره الإسلامية سترقِّق قلبه علينا، خاصة أنه تلاعب بمشاعر المسلمين عندما ردَّد في خطابه بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

يا أمتي، أفيقي.. واقرئي التاريخ.

لقد خطب نابليون في مصر عندما دخلها محتلاً وقال: «يا أيها المصريون، قد قيل لكم إنني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح فلا تصدقوه، وقولوا للمفترين: إنني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظالمين، وإنني أعبد الله ﷻ أكثر من المماليك، وأحترم نبيه والقرآن العظيم، وقولوا أيضًا لهم: إن جميع الناس متساوون عند الله، وإن الشيء الذي يفرقهم عن بعضهم هو العقل والفضائل والعلوم فقط»[1].

---

(١) الجبرتي: عجائب الآثار ٢/ ١٨٢-١٨٤.

هذا كلام نابليون عندما احتلَّ مصر، وكلكم يعلم ما ارتكبه بعد ذلك من الفظائع هو وجيشه في مصر وفلسطين.

ومن قبله قال فرديناند وإيزابيلا مثل هذا الكلام للمسلمين عند سقوط الأندلس، ووعدوا المسلمين بالحفاظ على ممتلكاتهم وأرواحهم ومساجدهم، ثم لم تمرَّ إلا سنوات قليلة، وقامت حملات الإبادة ومحاكم التفتيش، وانتهى الأمر بقتل كلِّ المسلمين أو ترحيلهم، وتحويل كل مساجد الأندلس إلى كنائس(١).

ومن قبلهم كان هولاكو وزعماء التتار المجرمون يستشهدون بآيات من القرآن الكريم عند مخاطبتهم للحكام والشعوب الإسلامية، وهم الذين قالوا في رسائلهم لقطز رحمه الله: «باسم إله السماء الواجب حقه، الذي ملَّكنا أرضه، وسلَّطنا على خلقه»، واستشهدوا في رسالتهم بقوله تعالى: ﴿فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٠]، وكذلك بقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧](٢).

* رسالة إلى أوباما...

إنني في هذا المقال لا أقول مثلما قال الكثيرون: نريد أفعالاً لا أقوالاً، بل أقول: إن الأقوال التي قلتها يا أوباما ليست مقبولة أصلاً حتى نسألك أن تحققها.. فلا نحن نريد دولتين، ولا نحن نرضى بإسرائيل، ولا نحن نشجب المقاومةَ أو ندينُها، ولا نحن نرضى ببقاء جيوشك في بلادنا، ولا نحن نقبل بتعريفاتك للإرهاب والتشدُّدِ والتطرُّفِ، كما أننا لا نقبل بولاء زعمائنا لك وطاعتهم لأوامرك.

إننا يا فخامة الرئيس قومٌ أعزنا الله ﷻ بالإسلام، وأكرمنا به، وندرك يقينًا أننا مهما ابتغينا العزةَ في غيره أذلنا الله ﷻ، كما أننا - والله - أكثر شعوب الأرض حبًّا للسلام، ولكنِ السلام العادل الذي لا تضيع معه الحقوق، وتنتهك فيه الحرمات.

(١) د. عبد الرحمن الحجي: التاريخ الأندلسي ص٥٦٩-٥٧١.

(٢) المقريزي: السلوك ١/ ٥١٤.

إن رسولنا ﷺ قال لنا: «**قُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَ اللهُ تُفْلِحُوا، وَتَمْلِكُوا بِهَا الْعَرَبَ، وَتَـذِلُّ لَكُمْ بِهَا الْعَجَمُ**»[1]. ونحن نوقن تمام اليقين في قوله، ونعلم أننا يوم نقـول لا إلـه إلا الله بصدق، ويوم نحقِّقها في حياتنا يوم أنْ نفلح ونملك العرب والعجم.

ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريبًا.

إنني أتوجَّه إلى الرئيس الأمريكي بكلمتين..

أما الأولى..فهي ألاّ يعتبر التصفيق الحاد الذي قوبل به في جامعة القاهرة تعبـيرًا عن الشارع الإسلامي، فهؤلاء ليسوا إلا مجموعة منتقاة مـا خرجـت مـن بيوتهـا إلا لتصفِّق لك مهما كان كلامك! وهم- للأسف - كالأيتام على مائدتك، لا نصيب لهم من الطعام أو الشراب، إنما ينتظرون الفتات!

أما الكلمة الثانية ..فأقولها من قلبي، وأهمس بها في أذنك بكل أمانـة: حتـى لـو وصلْت يا أوباما إلى كرسيٍّ أكبر دولة في العالم، فـإنّ هـذا لا يمثل شيئًا أمام الإسلام الذي خسرته، وإنني - والله، وبكل صدق - أتمنى أن تعود إلى ما كان عليه أجـدادُك المسلمون البسطاء في كينيا، والذين كانوا على خـير عظـيم، حتـى وإن كانت قبيلتهم بسيطة على هامش التاريخ.



إنني أدعوك بكل صراحة وإخلاص وأقول لك: يا عظـيم أمريكـا، أدعـوك إلى الإسلام، وأقول لك صادقًا: أَسْلِمْ تَـسْلَمْ، وأسـلمْ يؤتـك الله أجـرك مـرتين، فـإن توليت فعليك إثم الأمريكيين!

والحمد لله على نعمة الإسلام، وكفى بها نعمة.

ونسأل الله ﷻ أن يُعِزَّ الإسلام والمسلمين.

بقلم:

د/ راغب السرجاني

---

(١) ابن قيم الجوزية: زاد المعاد ٣/ ٤٣.

فهرس الكتاب

*****